الرؤية الإسلامية

في

الحكومة والحاكمية

بقلم

السيد صالح الموسوي الحرسان

الرؤية الإسلامية

في

الحكومة والحاكمية

بقلم
السيد صالح الموسوي الخرسان

▼

الرؤية الإسلامية في الحكومة و الحاكمية
تأليف السيد صالح الموسوي الخرسان
منشورات دليل‌ما بمساعدة مكتبة الإمام الباقر عليه السلام (النجف الأشرف)
الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ ق ـ ١٣٨٨ هـ.ش.
طبع في ٢٠٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
السعر مُجلّداً: ٤٢٠٠ تومان
شابك (ردمك): ٧ ـ ٥٠٦ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ٦٥
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣ – ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١+)
صندوق البريد: ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥
WWW.Dalilema.com

انتشارات دليل ما

مركز التوزيع :
١) قم ، شارع صفائيه ، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل‌ما ، الهاتف ٧٧٣٧٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١
٢) طهران ، شارع إنقلاب ، شارع فخررازي، رقم ٣٢، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٣) مشهد ، شارع الشهداء ، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان ، بناية گنجينه كتاب التجارية ، الطابق الأول ، منشورات دليل‌ما ، الهاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣
٤) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي ،مكتبة الإمام الباقر عليه السلام، الهاتف ٠٧٨٠١٥٥٣٢٨٩

سرشناسه	:الموسوي الخرسان، السيد صالح
عنوان و پديدآور	:الرؤية الإسلامية في الحكومة و الحاكمية / بقلم السيد صالح الموسوي الخرسان.
مشخصات نشر	:قم : دليل ما، ١٣٨٨.
مشخصات ظاهری	:٣٢٠ ص.
شابک	:978-964-397-506-7
وضعيت فهرستويسی	:فيپا
يادداشت	:عربی
يادداشت	:كتابنامه: ص ٣٠٩ – ٣١٦؛ همچنين به صورت زيرنويس
موضوع	:اسلام و دولت
موضوع	:اسلام و سياست
رده بندی كنگره	:١٣٨٨ ٩ر ٨٤٧م / BP ٢٣١
رده بندی ديويی	:٢٩٧/ ٤٨٣٢
شماره كتابشناسی ملی	:١٧٨١٣٢٥

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كل باحث عن الحق وإجلاء الحقيقة من اجل الاهتداء بنورهما في الحياة .

إلى كل من إشرأبت عنقه وتاقت نفسه إلى الحق ومعرفة الحقيقة لكي يتبصر.

إلى كل من وقف على الحقيقة و أبصر نور الحق ثم اهتدى.

إلى كل نافض عن ردائه غبار التعصب. ولافظ لما لفقه الوضاعون والدساسون والمحدثون في التأريخ.

إلى كل ماسح عن عينيه وعقله غبار الجهل والتقليد الأعمى ليرى نور الحقيقة الواحدة.

إلى كل ذي عينين وضمير حي لا يأخذ الأمور إلا بتدبر وروية.

إلى كل واقف على ساحل بحر الحق ليخوض في عبابه ويغوص على درره ويظفر بكنوزه ولئالئه.

إلى كل الذين هم نشاد ضالة وبحاث عن حقيقة، فان تبين لهم الحق اتبعوه وعملوا به وجسدوه على ارض الواقع.

إلى الذين هم الحق. ويدور الحق معهم حيثما داروا. وهم الخمسة أصحاب الكساء ,فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها» الذين لم يخلق الله سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمسا مضيئة ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري إلا لأجلهم ومحبتهم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. اهدي كتابي المتواضع هذا راجياً القبول وحسن العاقبة ونيل الشفاعة. في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد على سوابغ آلائه، وجزيل عطائه، ووفير نعمائه، وأفضل الصلاة وأزكى السلام على خاتم أنبيائه، الممدوح في أرضه وسمائه. أبي القاسم محمد وعلى آله أئمة الحق والهدى، وصحبه النجباء.

إن من الحقيقة بمكان إن الله تبارك وتعالى أبدع الكون في احكم تكوين، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وفضله على غيره من مخلوقاته، وشرفه بعنصري العقل والإرادة فبالعقل يبصر ويكتشف الحق ويميزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحا له ومحققا لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميز حجة على خلقه، وأعانه بما أفاض عليه من معين هدايته، والله سبحانه قد علّم الإنسان ما لم يعلم وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرفه الغاية التي خلقه من اجلها وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من اجل تحقيقه.

فبالعقل يهتدي الإنسان إلى معرفة الحق والوصول إلى الحقيقة إلا أن أهل المطامع الدنيوية والأغراض الشخصية من كتاب وحكام طغاة ومؤرخين ومحدثين يفعلون المستحيل من اجل غذاء عقائدهم المنحرفة، وإرضاء أنفسهم أو محيطهم. فنلاحظ بوضوح أن نزعاتهم تظهر على أقلامهم وأحاديثهم وكتاباتهم وبما يتماشى مع الروح التي يحملونها والعقيدة التي يدينون بها.

لذا فقد اضطرب التأريخ وخاصة الإسلامي منه، فقد أحيط بالغموض والشك، وذلك لكثرة ما لفقه الوضاعون والدساسون في القرون الأولى من الهجرة لاسيما القرن الأول، فأشاحوا بوجه الحقائق وقلبوها رأسا لعقب، ومما

يؤيد ذلك: «انظر ما كتبه مسلم في مقدمة صحيحه وخذ مثالا على ذلك، إن زياد بن ميمون روى كثيرا عن انس واعترف انه لم يسمع شيئا منه» [1]

وليس أدل على ذلك من التناقض والاضطراب الموجود في أكثر أحاديث الوقائع التاريخية فضلا عن الأحكام الشرعية، ما عدا الاختلاف في خصوصيات الحوادث والأحكام، مما يذهب بالاطمئنان إلى كل حديث، ولا أظن ناظرا في التاريخ لا يصطدم بهذه الحقيقة المرة، ولا يمكن أن يحمل كل ذلك على الغلط في النقل والغفلة في الرواية.

ولنعتبر بأهم حادثة وأجل مصيبة هزت المسلمين هزا عنيفا، إلا وهي وفاة النبي الأكرم ﷺ والتي يفترض أن لا يختلف فيها اثنان من جهة يوم وقوعها، لأنها أمر عظيم وحادث جلل شهده جميع المسلمين ولكنهم وللأسف الشديد فقد اختلفوا بين قائل انه ﷺ توفي في ربيع الأول لليلتين خلت منه، وبين قائل لأثني عشر خلت منه، وبين قائل إن وفاته في صفر [2].

إذن فماذا ننتظر بعدها من تأريخ حروبه وأحواله ومن نقل أقواله وأحاديثه لاسيما فيما يتعلق بالولاية التي ما نودي على شيء كما نودي على الولاية والتي اختلف فيها المسلمون فتحاربوا عليها أو تشاتموا لأجلها حتى بلغ الحال إلى أن يكفر بعضهم بعضا، وقد قيل: «ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة» إذن فأمر الإمامة أمر خطير وسبب مباشر كبير في هذا الاختلاف الحاصل بين المسلمين. وقد طبعت الأجيال على حب هذه العصبية والفت هذه الحزبية بدون تدبر وروية.

اجل لقد نشط الوضاعون والدساسون والمغرضون والمتصيدون في الماء العكر، تقودهم في ذلك أسباب عديدة:

---

(١) السقيفة/ ص٦.

(٢) راجع اختلافهم: تاريخ الإسلام / السيرة النبوية ص٥٦٨-٥٦٩، وتاريخ الطبري: ٣/١٩٩-٢٠٠ وما ذكره الواقدي في الطبقات: ٣/٣٧٧-٣٧٤ / السقيفة.

منها: حب تأييد النزاعات والعقائد المغرب على الكذب و الموحي بأنما يعتقدوه هو الصحيح وما وافق رأيهم ومذهبهم صحيح أيضاً وما عداه خطأ وربما كفر أو شرك. وهذا مما خدعهم وأوقعهم في فخ الوهم والانحراف، وسوغ لهم الوضع وتزييف الحقائق.

ومنها: حب الظهور والتفوق، فالمحدث أو الراوي يحضى بمنزلة عظيمة بين العامة في العصور الأولى، وكانت تلك المنزلة مدعاة للتفاخر والتقدم بين في الأمة، وخاصة إذا كان الحديث عنده فقط دون الناس، فأغرى ذلك ضعفاء العقول وعبدة الجاه ووعاظ السلاطين على الوضع والتزوير، فاحتالوا للحديث من كل سبيل وبأي طريقة متدنية وغير شريفة.

ومنها أيضاً: ما بذله أعداء الحق والحقيقة، أعداء أهل البيت عليهم السلام وعلى الأخص الأمويون وأشياعهم ومن سار على دربهم، ومن كل غال ورخيص للرواة والمحدثين والوعاظ وإغرائهم وشراء ذممهم من اجل تزوير الحقائق، وإبدال الحق بالباطل ، وسلب فضائل ومناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وجعلها فيهم وفي غيرهم، لكي يؤيد ملكهم وتنتشر خصومهم وأعدائهم، فكثرت القالة يومئذ، واتسع الخرق حتى طعن الإسلام طعنة نجلاء لم يبرأ منها إلى يومنا هذا[1].

فلذا وذاك أصبح من المؤكد إن جملة مما ينقله المؤرخون والمحدثون فيما يتعلق بالخلافات المذهبية وتعظيم شأن أعداء أهل البيت عليهم السلام محل نظر وشك وتحفظ.

لذا ينبغي التحرر مما روى أولئك المؤرخون والمحدثون، والتمرد على النفس الأمارة بالسوء ومسح غبار التعصب عن العيون والعقول لرؤية تلك الحقيقة الواحدة، والأبصار بنور الحق وترك الزيف، ونبذ الباطل وتداعياته لكي تبرأ الذمة وتتحقق الوحدة والأهداف المنشودة والنجاة في الدارين ويمحق الأعداء والحاقدون على الإسلام والمسلمين.

---

(١) راجع ما بذله الأمويين من جهود مضنية في ذلك: كتاب الصحيح في سيرة النبي ج١، ص١٥٣—١٥٩.

وعليه يجب التحري عن الحقيقة والوقوف على الحق، وكشف الوضع والتزييف والتزوير، ومن وراءه وما أغراضه، لتنطلق المسيرة على هدى وبصيرة نحو التكامل والتوازن والرقي، وترسو السفينة على شاطئ الأمن والسلام والمحبة والأخوة الصادقة.

إذن عندما نكتشف الحقيقة ونتعرف على الحق، ويتعرى دعاة الباطل والتزوير ، وتتوضح مقاصدهم الخبيثة وأغراضهم الماكرة ونواياهم السيئة، نكون بذلك قد سلكنا الصراط المستقيم الذي طالما ندعو الله سبحانه وتعالى في صلواتنا أن يهدينا إليه، واهتدينا إلى الحق، وانخرطنا في دعاته، وقدمنا خدمة جليلة لأنفسنا وللأجيال القادمة من امتنا العظيمة، وللتأريخ والعالم اجمع. واستطعنا أن نقضي على كل إفرازات الماضي المؤلم، وتداعيات الخلافات المذهبية المفرقة للصف والموهنة للأمة، والتي شوهت وجه الإسلام المشرق، وجاءت بالتطرف والإرهاب والبدع وحب المبادئ الغريبة عن الإسلام الواقعي ومبادئه الأصيلة، وقيمه النبيلة.

وبذلك قد أغلقنا الطريق أمام العابثين بمقدرات هذه الأمة، والأعداء الحاقدين المتربصين بنا الدوائر، وأصبحنا فعلا من العاملين بقوله تعالى: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » [1].

وطبقنا وصاياه ﷺ وما نص عليه من نصوص تصب جميعها في مصلحة الأمة وصلاحها، وحفظ وحدتها وازدهارها وعلى وجه الخصوص ما نص عليه ﷺ في حق الأئمة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. والذين لا يقاسون بغيرهم من هذه الأمة، لأنهم كما قال الرسول الأكرم ﷺ: «فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فأنهم أعلم منكم» [2].

---

(١) سورة الحشر/ آية ٧.

(٢) أخرج الطبراني في حديث الثقلين ونقله عنه ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه ص٨٩/ انظر المراجعات ص٣١.

وقال ﷺ: «يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل» [1]

وطبيعي عندما نأخذ بما أتى به الرسول الأكرم ﷺ وننتهي عما نهى عنه، نصبح أحرارا متفقهين، غير مشرقين ولا مغربين، ولا الحاديين ولا دهريين، ولا متطرفين ولا إرهابيين، ولا ظالمين لأنفسنا أو لغيرنا. وبذلك ننجو ونتحد، ونرتقي وننتصر، و نزدهر ورب الكعبة.

وللحقيقة ينبغي القول : إن مما يحز في النفس ويبعث على الأسى هو: إن الإسلام الحنيف النقي قد تعرض لطعنة خطيرة لا تزال آثارها شاخصة إلى يومنا هذا، مما شوه صورته المشرقة، ووجهه الجميل الوضاء. ومما زاد في الطين بلة، وفي النظرة قصورا وقتامه، إن الأجيال التي جاءت بعد الجيل الأول من المسلمين، قد ابتعدت أكثر عن جوهر الإسلام وأحكامه الحقة، وقيمه الأصيلة، نتيجة حذوا الناس لمن قلدوهم حذو القذة بالقذة من دون تدبر وروية.

إضافة إلى تقليدهم من يدعي العلم والمعرفة بأحكام الدين الحنيف وقد استند إلى الرأي والاجتهاد أو القياس والاستحسان مع وجود النصوص التي جاءت بها الآيات المحكمة والسنة النبوية الشريفة، علما بأنه: «لا اجتهاد مع النص» [2] و «السنة إذا قيست محق الدين» [3] و «إن الحكم المنكشف بغير واسطة الحجة ملغى في نظر الشارع وان كان مطابقا للواقع» [4]. وبذلك انقسم المسلمون إلى فرق وطوائف ومذاهب شتى. مما حدا بهم إلى الاقتتال والفرقة والتشتت والضعف والهزال، الذي أدى إلى إن يصبحوا كأيادي سبأ لا يملكون القدرة اللازمة على مواجهة الأحداث والخطوب، وقد تحول قسم منهم إلى متطرف في

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في حديث طويل ونقله ابن حجر في آخر المقصد ٤ من المقاصد التي ذكرها في تفسير آية المودة في القربى ص١٠٥ من صواعقه. / انظر المراجعات.

(٢) قاعدة أصولية.

(٣) مقولة الإمام الصادق/ الكافي ج٧، ص٢٩٩.

(٤) فرائد الاصول، ص١٩، ج١.

الفكر والعقيدة، أو إرهابي في الفعل والسلوك ويكفرون البشرية جميعهم إلا أنفسهم، باعتقادهم الخاطئ، ونظرهم القاصر مما سوغ لهم ذبح الجميع، المخالف لكل الشرائع السماوية والقيم والأعراف والأخلاق الإنسانية.

ونتيجة لهذا وذاك فقد المسلمون مكانتهم المرموقة في الدنيا وأضاعوا مجدهم التليد ومركزيتهم في العالم، وأصبحوا إذنابا للآخرين نتيجة لابتعادهم عن مبادئ الإسلام والواقعية، وتنكرهم لأهل العلم الحقيقيين، أهل بيت النبي ﷺ المعصومين المطهرين من الرجس. الذين أمرنا الله تعالى بالاعتصام بهم، والرجوع إليهم حيث قال سبحانه: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» وبذلك ضاع المبدأ الحق، وأنعدم الطريق المستقيم الموصل إلى التوازن والكمال والرقي.

وهكذا يصبح المسلمون بين مشرق ومغرب، ظنا منهم أنهم يحلوا مشاكلهم ويستعيدوا مجدهم بهذه الطريقة التقليدية البائسة ناسين أو متناسين انه لا يصلح آخرهم إلا بما صلح به أولهم.

إذن، فالرجوع إلى الحق والتمسك به ونفض غبار الماضي وإفرازاته، ونبذ الباطل وتداعياته، والسير على الصراط المستقيم الرحب الجلي، الذي رسمه الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الأئمة الاثنا عشر ﷺ تحت ظل حكومة اتخذت نهج الرسول ﷺ وأوصيائه الهداة الميامين منهجا وطريقا لها في الحياة، هو الطريق الأمثل المهدي إلى الكمال والتطور و التقدم والازدهار ، والسبيل الأفضل المؤدي إلى التعاون الإنساني المثمر البناء.

وهذا في اعتقادي لا يحتاج إلى دليل، وهو كذلك بحكم العقل والمنطق السليم، وأحب أن اذكر لأن الذكرى تنفع المؤمنين، وارجوا أن يتنبه المسلمون إلى ما هم فيه من واقع سيء متأثر بوضع الوضاعين وآراء المنحرفين ، ومليء بالنظريات الهدامة، والبدع الضالة، والأفكار الخاطئة، التي تقود إلى جعل الإسلام الحقيقي النقي على الرف، أو طرحه على الواقع طرحا مشوها يشمئز منه

الأخرون، لما في هذا الطرح من نقص و تطرف وتشويه وإرهاب، يفتك بالأمة والبشرية جمعاء.

لذا اختفى الجوهر الساطع والوجه المشرق الوضاء للإسلام الواقعي الإنساني، وطفت على السطح تلك القشور والتشويهات التي أوجدها الدعاة المنحرفون وأئمة الجهل بأحكام الشريعة،وأصحاب النظرة الخاطئة والأفكار السوداوية الظالمة، حتى ظن أغلب الناس إن الإسلام لا يصلح كنظام للحياة. وان عقيدته لا تواكب التطور والحضارة. ولكن:

إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم

وعلى الرغم من كل هذا يبقى الإسلام دينا واقعيا مشرقا يشع على البشرية نورا وهداية ونبلا وإنسانية وعطاء لا ينضب يتزود منه القاصي والداني. وهذه إرادة الله العزيز الغالب. لأنه يأبى إلا أن يتم نوره ويظهره على الدين كله ولو تضافر الكفر والشرك والجهل والمكر والتحريف.

وعليه يجب أن نعي إسلامنا ونفقه أحكامه ونتخلق بأخلاقه الجميلة، ونظهره بواقعه الحقيقي الإنساني ووجهه المشرق النقي، كما يجب أن نكون يدا واحدة وقلبا واحدا وفكرا واحدا نابعا من صميم ديننا الحنيف ولبابه، وقيمه الأصيلة الواقعية ليحترمنا الأخرون، ويقيموا لنا وزنا، ويحسبوا لنا ألف حساب وبهذا تحفظ الكرامات ، وتصان الحرمات وتتحقق الأهداف. المرجوة وبذلك نرضي ضمائرنا ويكون موقفنا سليما أمام الله «يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا» [1] .

ولقد عنى هذا الكتاب في قسمه الأول المتضمن فصولا أربعة بدراسة موضوعية مقارنة بين الإسلام الحنيف وغيره من المبادئ والأنظمة الوضعية. وقد ظهر من خلالها إن البشرية بحاجة ماسة لهذا الدين الحنيف القيم لأنه دين كامل

---

(١) سورة النبأ/ آية ٤٠.

متكامل يستوعب الحياة الإنسانية ويحل مشاكلها، ويواكب التطور، ويصنع الحضارة، لان المشرع هو الله العالم الحكيم و المنفذ هو المعصوم عليه السلام سواء كان رسولا لمحمد صلى الله عليه وآله أو وصيا كالأئمة المعصومين ألاثني عشر عليهم السلام وما يترتب على وجودهم من آثار تربوية وعلمية وروحية ووجدانية.

وقد عنى في قسمه الثاني الحاوي على فصول أربعة أيضاً، على الرؤية الإسلامية في الحكومة والحاكمية، مبينا أهم النظريات في هذا الخصوص، مستعرضا الإمامة كونها امتدادا طبيعيا للنبوة، وهل هي متعينة بالنص أم بالبيعة أم بالانتخاب؟ إضافة إلى تبيان منظور أمير المؤمنين عليه السلام في الحاكم والحكومة كما جاء في عهده الفريد القيم للأشتر النخعي.

إن هذه الدراسة الموضوعية المتنوعة والمتلازمة التي عنى بها هذا الكتاب، تهدف إلى تنمية الوعي بهذا الجانب المهم في الحياة الإنسانية، ورفع مستوى الفكر والأخذ بتوجيه العقل المدرك والضمير الحي للتحري عن الحق ومعرفته والعمل بمقتضاه، لتهذب النفوس، وتبرأ الذمم، ويتجسد الإخاء الصادق والمحبة الحقيقية، ويتحقق الكمال والأهداف المنشودة.

آملا أن أكون قد ساهمت في تنمية الوعي الإسلامي وحب البحث عن الحقيقة والتمسك بها. وإبراز ما يدعو إليه الإسلام وتجسيده على ارض الواقع. انه تعالى ولي القصد والتوفيق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

النجف الاشرف

٢٠/صفر/١٤٢٧هـ

القسم الاول

الفصل الأول

تمهيد ومقارنة واستنتاج

لو تصفحنا أدبيات الأفكار الوضعية، والمبادئ الأرضية، وقرأنا بعض ما فيها، لوجدناها مليئة بالشعارات الرنانة، والعبارات البراقة، التي لو عمل الناس بمقتضاها، ووفقا لمضامينها – كما يدعي واضعوها ويزعم الدعاة لها – لتحققت جنة الفردوس في الأرض، وعم السلام والوئام أرجاء المعمورة، ولتكاملت الحياة الإنسانية وتقدمت مسيرة الحياة نحو التطور والارتقاء والبناء، وسادت الفضائل والمثل العليا في دنيا الوجود، وازدهرت حضارة بني الإنسان.

ولكن حينما نمعن النظر، ونتأمل الحياة الإنسانية، ونتدبر ماذا يجري على الساحة البشرية المترامية الأطراف، لوجدناها مشبعة ومثقلة بالهموم و الآلام، والحروب والدمار، والفقر والجوع والغبن والتفرقة والحرمان، ودوس الكرامات ، وتدنيس المقدسات، ومصادرة الحريات للأعم الأغلب من الناس. وقد لا تخلو بقعة من بقاع العالم الفسيح من ذلك. وان خليت فهي لا تعدو أن تكون بصورة مؤقتة، وسيأتي دورها لاحقا، حسب ما تقتضيه مصلحة الأشرار، وطلاب الهيمنة، وناهبي الثروات، والبغاة من البشر.

أضف إلى ذلك، استشراء الرذيلة، وانعدام الفضيلة، والمتاجرة بالمخدرات وأفيون الشعوب والسموم القاتلة، واكل السحت الحرام، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان وتكبيله بالقيود والممنوعات والمحرمات، التي يراها في نظره صحيحة وان خالفت الحق ومنطق العدالة، والإنسانية.

وهكذا تعمل المبادئ الوضعية، والأنظمة الأرضية، والعقائد المحرفة من اجل أن تحقق لرؤسائها والمتحمسين لها مصالحهم ورغباتهم، ولو بصورة غير مشروعة وغير إنسانية، وعلى حساب الآخرين.

إذن، فأين تلكم الشعارات البراقة، والعبارات المعسولة؟! وأين تلك المبادئ التي دعت إليها، وطرحتها على ارض الواقع؟ فهل صمدت أمام الحق والحقيقة

والعدل والواقع الإنساني؟ أم تبخرت وانكشف زيفها، وأصبحت كريشة في مهب الريح العاتي أو هباءة فقدت في ارض الله الواسعة؟!

اجل، صارت كذلك، لعدم ملائمتها للواقع، وفقدانها للمصداقية والمبدئية والإنسانية وكذلك لعدم امتلاكها لمقومات وجودها، وعوامل بقائها، واستمراريتها في الحياة الإنسانية ولو إستقرأنا بعضا من التاريخ، ولو قليلا من القديم منه، والحديث والمعاصر، لوعينا وعرفنا: كم ظهرت مبادئ صنعها الإنسان، وأوجدها وفقا لما تمليه عليه أهواؤه، ورغباته، ومصالحه الشخصية؟ وكم ظهرت أنظمة وطفت على السطح أو مكثت بين جمع من البشر ولو لفترة، أوجدها الإنسان بفكره القاصر وعقله الناقص ونظره القريب، وقد بذل قصارى جهده، وزبدة أفكاره، وخلاصة تجاربه، من اجل أن تكون ملائمة لفطرته، وواقع حياته، ومحققه لطموحه وأهدافه وغاياته في الحياة إلا أنها جاءت ناقصة إن لم نقل فاشلة في معالجة مشاكل الحياة ومستجدات الأمور، ولم تحقق ما نادت به من شعارات أو طرحته من مناهج في حقول الحياة الإنسانية المختلفة ومفاصلها المتعددة، ومفرداتها الكثيرة؟!

لذا فشلت فشلا ذريعا في تحقيق ما تصبوا إليه، من غايات وأهداف والنتيجة أن كفر بها أتباعها والمؤيدون لها، فانحسرت عن الواقع، واضمحلت من خارطة الحياة البشرية، واختفت عن المسرح الإنساني، وكأنها فقاعة ضخمة في بحر الحياة البشرية، سرعان ما ظهرت، سرعان ما انفجرت، فغدت وكأنها لم تكن، وأصبحت لا اثر لها ولا عين،فذهبت أموال الدعاية، وجهود المروجين لها، وأتعابهم أدراج الرياح، فصدم من صدم، وقتل من قتل، ناهيك عن السجن والتشريد، وتمزيق الأسر، والأوبئة النفسية والاجتماعية وشيوع الجريمة والانحراف.

فأين الزنادقة والملاحدة؟ وأين الدهريون؟ وأين المحرفون؟ وأين الفوضوية؟ وأين الشيوعية التي قبرت في مهدها وعلى أيدي رؤساء دعاتها وأين الاشتراكية

العلمية والتي تراجعت إلى الرأسمالية بدلا من تقدمها نحو الشيوعية كدرجة أرقى وبفعل الصراع الديالكتيكي كما يزعمون؟!.. وأين وأين...؟

اجل لقد سادت هذه المبادئ والأنظمة ولو لفترة قليلة من الزمن ثم بادت أو انحرفت عن خط سيرها الذي رسمه لها رؤساؤها أو أسيادهم، أو تلونت بلون آخر مغاير تماما لها، عجيب أمر هذه المبادئ والأنظمة وكذلك عقائدها، فتارة نازية وأخرى فاشية، وتارة شيوعية وتارة رأسمالية وتارة الله أعلم، ستأتي لك الأخبار من لم تزود.

فأين الصلاح والإصلاح الذي تحقق؟ وأين السعادة المزعومة؟ وماذا جنت البشرية من جراء هذه الأنظمة والعقائد الوضعية؟ اجل لقد جنت: الحروب والدمار والتفرقة، والتجزئة والتقسيم، وانحسار التكامل الروحي، وغياب الفضيلة، وحصول الانحطاط والانجراف نحو الهاوية والسقوط، واستشراء الرذيلة في أرجاء المعمورة بصورة مذهلة تفوق كل التصورات، ولم تطرأ على قلب بشر.

اجل، لقد ظهرت أسواق للنخاسة من جديد، وشاعت المتاجرة بالنساء والصبيان والأطفال في عصر العلم وغزو الفضاء، وظهر ممن يأكل لحوم البشر ويشرب دماءهم، والانكى من ذلك صارت النساء تتسكع في شوارع المدن المتطورة وتقتل بعضها بعضا من اجل السباق على الدعارة، وان الإنسان يموت جوعا وبؤسا وفقرا في أرقى العالم حضارة وتقدما، ولنقرأ معا - عزيزي القارئ- ما نشرته مجلة «الوطن العربي» الصادرة في فرنسا العدد «٩٤» عام ١٩٧٨م:

«ففي استوكهولم عاصمة السويد في برد السويد ينام البعض من الفقر تحت الثلج وبعضهم يلتحق بأوراق الصحف، ليجدهم الكناسون صباحا موتى من البرد» [1] فإذا كان السويد أرقى بلدان العالم حضارة ، وتقدما هكذا فكيف بباقي بلاد العالم؟!

---

(١) مجلة الوطن العربي العدد ١٩٧٨/٩٤ فرنسا.

يقول احد الكتاب: «إن حالة الإنسان في العالم أصبحت أسوأ من الحشرات، فالحشرات حين تصبح تخرج من أوكارها، وتمشي إلى حيث شاءت بحرياتها الكاملة والإنسان في هذا العصر الذهبي!! إذا شاء أن يخطو من مكانه خطوات، جاءته العراقيل من كل جانب ومكان ولا يمكن له أن يجوزها إلا بعد فك ألف قيد وقيد» [1]

هكذا تعمل المبادئ الوضعية

إن المتتبع لما تقوم به المبادئ الوضعية من أفعال على الساحة الإنسانية لوقف مذعورا ومدهوشا، من هول ما تفعله هذه المبادئ من منكر وسوء تخطيط، سواء في التربية أو التعليم أو السياسة أو السلوك بقسميه الفردي والاجتماعي، وأمور الحياة الأخرى.

وكمثال على ذلك هو إقصاؤها لمنطق الدين في التربية والتعليم والتهذيب والتوجيه ومن نافلة القول، الحديث عن الآثار الخطيرة المترتبة على هذا الفعل الأهوج الشنيع، لان التربية الصالحة هي القاعدة الأساسية لتطور الإنسان وتهذيبه، وارتقائه فكريا وسلوكيا، لأنها تعنى بغرس النزاعات الخيرة في نفسه، وتستهدف الازدهار التام لشخصيته، وعلى العكس من ذلك التربية الطالحة البعيدة عن المنطق الديني والتي تتبناها المبادئ الأرضية، فإنها لم تعن بذلك، لذلك يفقد الإنسان أصالته وذاتياته وتوجهاته الخيرة في الحياة.

ومما لا ريب فيه ولا اختلاف وكما يقرره الواقع الإنساني والسيرة العقلائية إن التربية الدينية هي أسمى أنواع التربية وأكثرها عطاء للإنسان، لأنها تهدف إلى النمو الروحي، والتهذيب النفسي، وتنمية السلوك، وتعويد النفس الإنسانية على

---

(١) السياسة من واقع الإسلام.

العادات الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والمثل العليا، والقيم الكريمة، وقد أكد علماء النفس هذه الظاهرة في بحوثهم، فقالوا:

« إن الدين الإسلامي يمنح الإنسان قوة الإيمان، والتعقل والبصيرة، وهذه القوى تشكل طاقات روحية تسعى إلى تدعيم الخير في قلوب البشر ، وهذا هو أسمى وأنبل الغايات الإنسانية...» [1].

إن الدين هو العاصم الوحيد من الشذوذ والانحراف، فهو يعمل على طهارة النفوس وإنقاذها من الانحلال، وصيانتها من الانهيار، وعدم تلوثها بالآثام والمغريات وهو المهذب للغرائز، والمشذب للرغبات، وإذا استحكم في نفس الإنسان أودع فيها قوة هائلة متماسكة تصدها عن ارتكاب الجريمة وتحجزها من الانحراف، وتوحي لها فعل الخير والإحسان، والتسابق في ميادين البر والإنسانية.

إن التربية التي تصاغ وفق الأساليب الدينية تحقق للمجتمع البشري أعظم الانتصارات وأحسن الحالات المريحة لأنها تقضي على أسباب القلق،وعوامل الشكاسة والتمرد كما تؤهل الفرد والمجتمع للحياة الهانئة في البيئة المقررة لكل منهما.

كما إن القوى الروحية تؤثر أثرا كبيرا وايجابيا على السلوك البشري وتجعله يتسم بالاتزان العقلي والنفسي، لان الإيمان كلما كان عن فكرة سليمة وعقيدة صادقة، أصبح أثره خلاقا، ونتائجه مثمرة، لأنه يجري في الأعضاء والجوارح أفعالا وسلوكا، واندفاعا نحو قوى الخير والهداية والايجابية والتوازن.

ولقد اجمع علماء النفس والاجتماع على إن للدين ومناهجه المتعددة، وبرامجه المختلفة ، ابلغ الأثر في تكوين الحياة العامة، وفي إيجاد وسائل الأمن والاستقرار والنهوض والازدهار في الأرض، وهو الذي يجعل الإنسان يظفر بحياة حرة كريمة تتوفر فيها الدعة والمحبة والاستقرار والتعاون المثمر البناء. لأنه يبعث في

---

(١) مجالات في علم النفس ص٤٥.

النفوس البشرية الدرجة العالية من الروحية الواعية والهادفة إلى الإصلاح والتهذيب والتآلف والحيلولة دون بواعث الهوى والغرور.

لذلك إن التربية المستوحاة من المبادئ الوضعية مفتقرة إلى تلك الروحية الواعية والهادفة إلى الإصلاح والتغيير نحو الكمال التطور، لأنها لا تعنى بالدين و تربيته، فيكون مصيرها الفشل المحتم، والخسارة الفادحة، ويمنى الإنسان في ظلالها بكثير من الاضطراب والإخفاق والتوتر.

وللعلم إن ضعف الوازع الديني في هذه العصور، قد ساعد عل انتشار الجرائم الشنيعة، وشياع الانحلال والتفسخ، وتعاقب المحن الكبرى يتبع بعضها بعضا، ومني المجتمع الإنساني بكثير من المشاكل الرهيبة، حتى طغت على العقول فكونت عناصر الهلع والخوف للإنسان المعاصر، وقد سيقت الشعوب والمجتمعات في طريق لا تدري ما هو مؤداه. وقد وصل الحال أن يذبح الإنسان كما تذبح الشاة وكأنه لم يكن أنسانا البتة، ويظهر الإرهاب في كل منطقة من مناطق العالم ويتعاظم خطره، ويشتد أزره، وتذبح الإنسانية باسم الإنسانية، ويذبح المسلمون باسم الإسلام والجهاد، وتقتل البشرية بالجملة هنا وهناك باسم الحرية وإيجاد الديمقراطية.وأخذت الدول الكبرى تطارد بعضها بعضا عبر الفضاء والغابات وأعماق البحار مستخدمة أسلحة الدمار الشامل من قنابل ذرية وهيدروجينية ورؤوس نووية وأسلحة كيميائية وبايولوجية وكل ذلك من اجل فرض سلطانها، وامتداد نفوذها على الشعوب المستضعفة التي لا تملك وسائل القوة والدفاع عن حريتها وكرامتها وثرواتها وأوطانها وعليه فان انحسار الوازع الديني عن الساحة الإنسانية، وضعفه في التفاعل والتأثير، بفعل إيحاء من الأنظمة و المبادئ الوضعية ساعد على انتشار موجة الانحلال والتهافت في الحياة البشرية. وقد جاء في جريدة الشعب المصرية ما يلي:

« ازدادت موجة الانحلال في أمريكا بصورة مفزعة: أصبحت المدارس والمعاهد مرتعا خصبا للشذوذ الجنسي، وتحول التلاميذ والتلميذات إلى مدمني

خمر، وسفاكي دماء، المسدسات والمدى والسكاكين في جيوب الطلبة، وعلب السكاير وأقراص منع الحمل في حقائب الطالبات، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت، ولذلك قامت إحدى الهيئات القضائية ببحث جرائم طلاب المدارس في نيويورك وأوصت بتعيين رجل من رجال البوليس في كل مدرسة بصفة مستديمة، للحد من نشاط عصابات الطلبة المنتشرة في المدارس، وقد أبدى بعض رجال القضاء مخاوفهم من احتمال انسياق رجال البوليس مع الطلاب والطالبات في صخبهم الذي لا يعترف لحدود».

ويخمن القاضي لندسي إلامريكي إن «٤٥٪» من فتيات المدارس يدنسن أعراضهم قبل تخرجهن، وترتفع هذه النسبة كثيرا في مراحل التعليم العالية[1]

وجاء في كتاب أراء وأحاديث، ينقل ساطع ألحصري ما يلي:

« يجب علينا أن نعلم أولاد المستعمرات من غير أن نثقفهم ويجب علينا أن نعلمهم تعليما عمليا يجعلهم آلات صالحة في المعامل والمتاجر والحقول، من غير أن نوسع آفاق أنظارهم وأفكارهم إلى ما وراء الأعمال المطلوبة منهم..» [2]

هكذا تنظر مبادئهم الوضعية إلى أولاد المستعمرات التي استولوا عليها وفرضوا إرادتهم ظلما وعدوانا من اجل نهب ثرواتهم، وهدر كراماتهم، ومصادرة حرياتهم، وتسخير الأقوياء منهم واستغلالهم في تحقيق مصالحهم المادية، ورغباتهم العدوانية، وجعل أبنائهم كآلات تعمل ليل نهار، في المعامل والمتاجر والحقول ليس إلا، وأما توسيع آفاق أنظارهم وأفكارهم في هذه الحياة فهو محظور ومحرم عليهم البتة.

هذا ما توحيه لهم مبادئهم وشعاراتهم البراقة، وبرامجهم الفكرية والتعليمية التي روجوا لها، وزعموا أنها تحقق الحرية والعدالة والتقدم للبشرية ولم تقف عند

---

(١) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم، ص١١١-١١٢.

(٢) آراء وأحاديث ص١٥٥.

هذا الحد من مصادرة الحرية والكرامة لبعض بني البشر، وإنما صادرت لغاتهم وثقافاتهم وحتى الولاء لأوطانهم الأم، لم يسلم من المصادرة.

يقول الكاتب الانكليزي ا للورد «ميكالي» في تقرير له، حينما كان رئيسا للجنة التعليمية عام ١٨٣٥م، والتي قررت جعل اللغة الانكليزية أداة لتعليم الهنود بدلا من لغتهم، وقد جاء في التقرير ما يلي:

« يجب أن ننشئ جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين الملايين من رعيتنا، وستكون هذه الجماعة هندية من اللون والدم، انكليزية في الذوق والرأي واللغة والتفكير »[1] وكذلك عملت مبادئ فرنسا بالجزائر، فقد جاء في احد بنود مناهجها التعليمية:

«الاحترام الذي يجب أن يشعروا به نحو من يدير البلاد باسم فرنسا، والاحترام الذي يجب أن يظهروه نحو العلم الفرنسي» [2]

طبعا الاحترام لمن يدير شؤون البلاد من عميل لفرنسا أو متعاطف معها في الجزائر، والاحترام أيضاً والولاء للعلم الفرنسي لا للعلم الجزائري، وشعب الجزائر.

هكذا تتحدث مبادئهم وهذا هو منطقهم إذن أين شعارات الحرية والتقدم والعدالة والمساواة التي نادوا بها في ثورتهم من اجل الإنسان وحقوقه؟!

وقد أقاموا الدنيا وما أقعدوها، وملئوها صخبا وصياحا وإعلاما.

ولم تكتف الدول المستعمرة بهذا القدر عندما فرضت سيطرتها وهيمنتها بوحي من مبادئها على الشعوب الفقيرة والمغلوبة على أمرها، بل حظرت عليهم لغتهم وثقافتهم الأصيلة ومنعتهم من التخاطب بها رسميا، وكذلك التعليم والتثقيف وقررت أن لا يكون ذلك إلا عن طريق لغة المستعمرين وجعلها لغة عالمية ولو عن طريق السيف والإكراه والقهر لتقف هذه اللغة حاجزا وسدا منيعا يحول دون

---

(١) تاريخ التعليم، ص٨٠.

(٢) آراء وأحاديث: ص١٥٤.

وصول الثقافة والمعرفة والوعي إلى أبناء الشعوب المستعبدة أو الواقعة تحت التأثير والهيمنة.

يقول المهاتما غاندي:

«إن اللغة الانكليزية قد وقفت حجر عثرة في سبيل توصيل المعارف إلى الجماهير، إن الاهتمام المتزايد الذي يعطي للانكليزية، قد وضع عبئا ثقيلا على التعليم، والحجز على عقول الأطفال ليحيوا حياة طبيعية، بل وجعلهم غرباء في أرضهم ووطنهم...»[1].

هذه هي المبادئ الوضعية، أنها تجعل الناس لا يعيشون الحياة الطبيعية بل تجعلهم غرباء في أرضيهم وأوطانهم، وتملي عليهم الأفكار والثقافات الغريبة، وتلزمهم العمل بمقتضاها، وان كانت تضرهم، ولاتسمن ولا تغني من جوع.

يقول الأستاذ محمد سعيد:

«إن هذه اللغات الأجنبية هي السبب الوحيد في بث الدعاية الأجنبية ونشر القسم الفاسد من مدينتهم، وهي الطريق الذي سهل للغربيين استيلاءهم على البلاد العربية وغيرها من ممالك الشرق، وهي العلة في خروج الأمة عن تقاليدها، وهي السبب في إضاعتها على الأمة دينها ولغتها، وأزياءها وكل ماله علاقة بماضيها والغريب إن، اللغات الأجنبية لا ترضى أن تساوي اللغة العربية في نصيب الدراسة والاعتبار والنجاح، بل تمتاز عليها في ذلك كله، فان معرفة لغة أجنبية وحدها كافلة لنيل الشهادة، وان جهل قواعد اللغة العربية، ولذلك تعنى الحكومة كثيرا في القائمين بتعليم اللغات الأوربية فتنتقيهم من الأساتذة القديرين بها حتى في المدارس الابتدائية، فينمو الطالب على حبها عندما يرى اهتمام الحكومة والأمة، ويشاهد مقدرة المعلم وسلطته وكرامته وزيادة راتبه فيفقد الروح الوطنية»[2].

---

(١) التربية الأساسية ص٢١-٢٢.

(٢) سر انحلال الأمة العربية، ص٢٠٨.

والحقيقة إن اشد ما يؤلم ويضغط على القلب، أن تصل الحالة بالشعوب المقهورة والمستعبدة أن تتعلم لغتها من أعدائها الذين يتربصون بهم الدوائر، وينسون أنهم ذو مجد تليد وحضارة راقية، وطبعا لم يحصل هذا إلا بفعل الإعلام المضلل، والتربية المنحرفة، وإقصاء الدين عن مسرح الأحداث والواقع الإنساني بتأثير من أعداء الإسلام والحاقدين على المسلمين.

يقول الأستاذ محمد سعيد العرفي:

«أليس من أشنع الرزايا، واشد المصائب وأقبح العار أن يتعلم العرب آداب لغتهم ذات المجد الباذخ والحضارة القديمة من أعداء دينهم وأعداء لغتهم؟ هذا والله هو الضلال المبين؟» وأضاف يقول:

«إنا ما سمعنا أن لغة من لغات العالم الراقية والمنحطة، يكون الحكم فيها والمرجع لآدابها غير أبنائها إلا الأمة العربية في عصرنا الحاضر، وما ذكر التأريخ إن امة تتعلم لغتها من أعدائها الذين هم لها بالمرصاد...»[1].

وبديهي إن فرض لغة وثقافة الأعداء على الأمة المقهورة، وان تتعلم ا بناء هذه الأمة لغتهم وآدابها عند عدوهم ا نما يخدم مصالحه ومطامعه و قوميته ولغته، ويسهل عليه كثيرا من الأمور والمخططات المرسومة. لذا شجب رجال الفكر وكبار المربين فرض اللغة الانكليزية في المدارس والمعاهد لأنها تعوق النمو الفكري،وتعرقل سير الدراسة العامة في البلاد لأن الطلبة لم يألفوها، كما ذكر ذلك غاندي و محمد سعيد وغيرهما.

---

(١) سر انحلال الأمة العربية ص٢١٧.

المبادئ الوضعية والأهداف المرسومة

هنالك جملة من الأهداف المرسومة، والغايات المنشودة التي يسعها حملة المبادئ الوضعية بكل عزم وقوة وجد ونشاط على تحقيقها على ارض الواقع وجعلها حقيقة ملموسة إن تمكنوا من ذلك، ولا يهمهم لومة لائم أو ضرر من تضرر من البشر، وإنما المهم هو تحقيق مصالحهم ورغباتهم، ونشر لغاتهم وثقافاتهم في العالم خدمة لمطامعهم، وتجسيدا لما توحي به مبادئهم من أفكار وأهداف نذكر بعضا من هذه الأهداف المرسومة على سبيل المثال لا الحصر، ليقف القارئ الكريم على حقيقة ما يجري على الساحة الإنسانية من سوء سريرة وخبث تخطيط ، وخلط في المفاهيم وإقصاء للدين ومناهجه عن مسرح ا لحياة، وطمس لحضارة وثقافة المسلمين ولغتهم العربية الفصحى الأصيلة، لغة القرآن والحكمة والأدب العربي الأصيل.

وعلى رأس تلك الأهداف المرسومة بوحي من المبادئ الوضعية هو إقصاء الإسلام عن واقع الحياة الإنسانية، وعدم عودة الجيل الناشئ إلى القرآن الكريم وهدية المبارك وذلك عن طريق فتح باب «التجديد والتبسيط في اللغة» حتى يقتحموا منه إلى لغتنا العربية الحضارية الأصيلة فيقطعوها إربا إربا، وبذلك تنقطع العلاقة بين القرآن وهديه الروحي والتربوي والتنظيمي في الحياة، وبين الأجيال الناشئة وعموم الناس على سطح الكرة الأرضية.

إن عملية إضعاف اللغة العربية الفصحى، واستبدالها باللغة العامية، عملية خطيرة جدا نتيجة للآثار البالغة المترتبة على ذلك كإبعاد المسلمين عما في القرآن المجيد من الثروات الفكرية الهائلة، وحجبهم عما فيه من آيات ودلالات، وأنظمة وتوجيه وإرشاد وبيان، ومن جمال في الفصاحة، وإعجاز في البلاغة التي تدفع النفوس إلى الإقبال عليه والإفادة منه.

يقول الأستاذ محمد سعيد العرفي:

«إن من أهم الأسباب التي حملت الاستعمار فيما مضى، وتحمله فيما هو آت على محاربة التربية الإسلامية، أن تجد سبيلها إلى هذا الجيل، هو أن يفرق بينه وبين قرآنه كي يصبح بعد قليل غريبا عن أسلوبه، منحطا عن مستوى فهمه، نائيا عن تذوق بلاغته حيث يتأتى لهم أن يقولوا بعد ذلك- في غيرة وحماس- إن الجيل اليوم لا يستسيغ جزالة القديم وثقله، فلا بد من تجديد وتبسيط، وما هو إلا أن يفتح باب (التجديد والتبسيط) حتى يقتحموا منه جميع حرابهم إلى هذه اللغة فيقطعوها إربا إربا، وبذلك ينقطع آخر خيط من الأصل في إمكان عودة هذا الجيل إلى القرآن وهديه» [1].

وثمة سبب آخر أدلى به ساطع الحصري بقوله:

«لقد فكر المستعمرون إن اللغة الفصحى هي التي تصل البلاد العربية بعضها ببعض وهي التي تنقل الأفكار والنزعات في قطر عربي إلى آخر، فإذا ما توقفت حركة نشر اللغة الفصحى في البلاد العربية، وأقامت فيها – بعكس ذلك- حركة جديدة ترمي إلى إنعاش وتدعيم اللغات العامية... لا بد أن يصبح بعد مدة كل قطر من الأقطار العربية ذات لغة خاصة به فيزول بذلك خطر انتشار فكر الاستقلال ، كما ينفي احتمال قيام فكرة الاتحاد بين مختلف الأقطار العربية» .

وقد وجدت هذه الفكرة قبولا حسنا في المحافل الانكليزية والفرنسية على حد سواء،وأخذ القوم يتحمسون لها، ويبثون الدعاية للغات العامية في كل البلاد العربية، ولاسيما في المستقلة منها، واشترك في هذه الدعاية عدد غير قليل من مشاهير الرجال والاستشراق، حتى انه قام جماعة من أبناء البلاد العربية يروجون هذه الفكرة، دون أن ينتبهوا إلى مصدرها الأصلي ومرماها الحقيقي ودون أن يفكروا في نتائجها الخطيرة...).

وأضاف بعد ذلك يقول:

---

(١) تجربة التربية الإسلامية ، ص٧٦.

«إن بعض الأوربيين اخذوا يدعون إلى هذه الفكرة، وصاروا يزعمون أن الإذاعات اللاسلكية وحفلات الغناء والتمثيل والسينما ستقوي مركز اللغات العامية في البلاد العربية، لان الكلام باللغة العامية يرضي الدهماء أكثر من الفصحى كما إن التمثيل باللغة العامية يجلب للمسارح عدا اكبر من النظارة، وقالوا إن كل هذه العوامل ستؤدي في آخر الأمر إلى انتصار العامية وتغلبها على الفصحى» [1].

هذا هو توجه دعاة المبادئ الوضعية والأنظمة الأرضية والأعداء الحاقدين على الإسلام والمسلمين في مناهجهم السياسية والتعليمية والتربوية و الفنية والتثقيفية من اجل إماتة هذه الأمة والقضاء على جميع مقوماتها الفكرية والمعنوية والروحية.

وليتنبه المسلمون إلى هذه الأخطار وليتمسكوا بدينهم الإسلام الحقيقي البعيد عن التزمت والتطرف والإرهاب والجهل وليهتموا بلغة القرآن العربية الفصحى، ليقبروا مخططات الأعداء الخبيثة في مهدها.

ومن الأهداف المرسومة أيضاً لتلك المبادئ - وكما ذكرنا سابقا- هو إن تكون لغة العدو لغة ذات سيادة عالمية لها الأولوية في التدريس والتعليم والأدب والثقافة ونيل الشهادات العليا والمراكز المهمة في المسؤولية والحكم.

وقطعاً يترتب على ذلك أضرار فادحة تلحق بالأمم والشعوب المضطهدة، وقد تنبه غاندي إلى الأضرار البالغة التي لحقت بالهنود نتيجة فرض اللغة الانكليزية في برامج التعليم عندهم لذلك حظرها في المدارس الهندية واصدر قرارا بذلك جاء فيه:

«لن نسمح بتدريس اللغة الانكليزية لأننا نعلم إن كثيرا من وقت الأطفال يضيع عبثا في حفظ الكلمات والجمل الانكليزية فإننا نجدهم غير قادرين على أن

---

(١) آراء وأحاديث، ص١٥٨-١٥٩.

يترجموها إلى لغتهم القومية، وغير قادرين على المتابعة المفيدة لما يتعلمونه من أساتذتهم..» [1].

إلقاء الحجب الكثيفة على نور الإسلام وهديه

وكما مر بنا آنفا، إن من جملة الأهداف المرسومة من قبل الأعداء وحملة الأفكار الأرضية، والأنظمة الوضعية، هو إقصاء الإسلام عن واقع الحياة الإنسانية جملة وتفصيلا بحيث لا يكون له أي اثر في مجالات الحياة المختلفة، ولا تعطى عنه إلا صورة موجزة لا تمثل أهدافه ، ولا تحكي واقعه، وإلقاء الحجب الكثيفة على نوره وهديه وإبرازه بغير شكله الحقيقي فعمد أصحاب تلك المبادئ والأفكار الوضعية، إلى تدمير شامل لجميع القيم الإسلامية الأصيلة التي تحيى بها الأمة في مجالاتها الفكرية والاجتماعية، واستهداف جميع مقوماتها الحية، فأقصوها عن واقع حياتها، مما سرع في عملية التحلل والانهيار الذي نشهده اليوم بارزا في الساحة الدولية والإنسانية.

لقد أهمل الإسلام بصورة متعمدة ومبرمجة، وهو الذي عالج جميع مشاكل الحياة الإنسانية ووضع لإصلاحها المناهج السليمة والناجحة في أيام حكمه وقيادته للعالم، من سياسة بناءة تعتبر من أرقى السياسات التي عرفها الإنسان في جميع فترات تأريخه، لأنها تبنت الحق والحقيقة، والعدل والمساواة، وإعطاء الحرية والواسعة لبني الإنسان في مجالات الفكر والعقيدة، والقول والعمل، وجسدت المساواة الرائعة البعيدة عن كل محسوبية وامتياز وتفضيل، فالكل أمام القانون والحق وتكافؤ الفرص سواء، كما قال الرسول الأكرم ﷺ: «المسلمون سواسية كأسنان المشط» .

كما جسدت العدل بجميع مفاهيمه ورحابه لأنه حق ذاتي من حقوق كل إنسان ينعم في ظلاله، ويعيش تحت وافره، وحملت الدولة مسؤولية حمايته

---

(١) التربية الأساسية، ص٣٣.

وصيانته ومن اقتصاد رائع،يساير التطور، ويواكب التقدم، ويحقق العدالة الاجتماعية وتزدهر فيه الحياة الاقتصادية العامة، حيث لا بؤس ولا فقر ولا حرمان، لان الدولة في الإسلام مسؤولة عن علاج مشكلة الفقر وإبادته، والقضاء على شبحه لأنه في مفهوم الشرع الحنيف رديف الكفر وقرين الإلحاد.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو تصور لي الفقر رجلا لقتلته» ومفهوم الفقر في الإسلام مفهوم متطور يعالج بحسب تطور الحياة المادية والإنسانية بحيث تصان الحرمة وتحفظ ا لكرامة وتتكامل الحياة وتتساوى درجة المعيشة بين أبناء المجتمع،وتنعدم الفوارق الطبقية الصارخة والتي نراها اليوم في المجتمعات الرأسمالية، حيث الفقر المدقع وإلى جانبه الثراء الفاحص. إنسان يعيش البؤس والحرمان والمأساة وإلى جانبه آخر يعيش البذخ والليالي الحمراء والدولة في الإسلام مسؤولة شرعا عن توفير العمل وتهيئة الفرص المتكافئة للجميع، وعليها أن تفتح أبواب الضمان الاجتماعي، والتكافل العام، والإنفاق على المرضى والعاجزين، ومن لا يكفيهم دخلهم اليومي، وعليها أيضاً مراقبة السوق والأسعار، ومحاربة الاستغلال والاحتكار، والقضاء على جميع ألوان الظلم وصور الربا والجشع.

ويملك الإسلام قواعد مهمة وناجحة في التربية المتوازنة التي تهدف إلى تماسك المجتمع وتطوره وتهذيبه وتعاونه، وصيانته من الشذوذ والانحراف ويملك أيضاً من الطاقات العظيمة التي بذلها في تربية النفس الإنسانية وإصلاحها وتحليها بالآداب الرفيعة، والأخلاق الفاضلة، ولقد جاء الإسلام بالنظم الاجتماعية التي تعنى بالوحدة الشاملة لجميع المسلمين، والوحدة الإنسانية لجميع بني الإنسان ووحدة المشاعر والعواطف ووحدة المصير والاتجاه.

ولقد تناسى الأعداء والحاقدون على الإسلام الحنيف، جميع ما اثر عنه من فضائل وعلاجات ناجعة، وبلاسم شافية لجروح ومشاكل الحياة الإنسانية، وما يواجه الإنسان فيها من مصاعب ومحن، وقد تعمدوا إلى إظهار الإسلام وإبرازه

للناشئة الحديثة بغير شكله وإطاره نتيجة لإلقاء الحجب الكثيفة والأغطية المانعة عن رؤيته بوجهه الحقيقي الواقعي وكما انزله رب العالمين، وجسده رسوله الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرون سلام الله عليهم أجمعين.

وقد اعترفت الأجهزة الاستعمارية بان أنظمتهم قد حلت الروابط الإسلامية يقول القس «ويلس» : «إن التربية الغربية هي من قبيل قوة تنحل بها الروابط الإسلامية» [1]. وأعلن «استوورد كروفا» :

(إن التربية الغربية جعلت المسلمين يقتبسون من المبادئ المسيحية وأنهم على استعداد للدخول في النصرانية من حيث لا يشعرون)[2].

إن القوى المعادية لدين الله قد سخرت جميع أجهزتها التعليمية والسياسية و الدعائية لإقصاء هذا الدين القويم عن واقع الحياة لأنه لا يتلاءم مع مقررات وإيحاءات مبادئهم الوضعية ولا يتماشى مع رغباتهم المادية ويهدد مصالحهم وأطماعهم وقد جاء في مقررات المؤتمر الاستعماري الألماني ما يلي:

«إن ارتقاء الإسلام يهدد نمو مستعمراتنا وبخطر عظيم، ولذلك فان المؤتمر الاستعماري ينصح الحكومة بزيادة الإشراف والمراقبة على ادوار هذه الحركة، والمؤتمر الاستعماري مع اعتراف بضرورة المحافظة على خطة الحياد في الشؤون الدينية من حيث الظاهر يشير على الذين في أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام، وان يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية، وان ينتفعوا من أعمال الإرساليات التبشيرية التي تبث مبادئ المدنية »[3]. ويقول وليم جيفورد بالكراد:

«ومتى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل حضارتنا التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه» .

---

(١) جريدة المؤيد المصرية: عدد (٦٦٩٦).

(٢) الغارة على العالم الإسلامي.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي.

وعلى أية حال فان الاستعمار وجميع القوى المعادية والسائرة في ركاب الأعداء، تكيد للإسلام في غلس الليل وفي وضح النهار، ويسعى الجميع جاهدين لإزالته وإقصائه وتشويهه، وإلقاء الحجب الكثيفة على نوره وفضائله، وكماله، وجماله، وهديه. ولكن:

«ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» [1]. ولا بد «أن يظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون» قال تعالى: «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون». [2]

الثالوث الخطر:

إضافة إلى ما تقدم: إن هناك جملة أخرى من المخططات والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها تلك المبادئ والأنظمة الأرضية ، منها جعل الشعوب المستعبدة والفقيرة يعبث فيها الثالوث الخطر: الفقر و المرض والجهل، لذا بذلت قصارى جهدها في إشاعة الفقر بين أبناء المجتمع وعدم علاجه بالطرق العملية، ومحاولة التقليل من إيجاد فرص العمل، وعدم تهيئة الظروف اللازمة والمناسبة له، ومحاولة إشغال الناس بالأعمال التي تخص الأسياد وتدر عليهم أرباحا طائلة، أو استغلالهم في معسكرات أو تدريبات عسكرية لزجهم بعد ذلك في حروب استعمارية لا جدوى منها ولا نفع فيها، إلا الأضرار والخسائر الفادحة في الأموال والأرواح ، وظهور الأوبئة الاجتماعية والأمراض الجسدية والنفسية في الشعوب المستضعفة والمقهورة، وحصول الخراب والدمار الشامل في مناطق القتال والتي أصبحت ساحة للحرب.

---

(١) سورة الأنفال/ آية ٣٠.

(٢) سورة الصف / آية ٨-٩ .

كما عمل أصحاب تلك الأنظمة الوضعية والمبادئ جهد إمكانهم على تقليل المتعلمين أو محوهم، ففي أمريكا الجنوبية عندما قامت الثورة على الأسبان - في أوائل القرن التاسع عشر- رفع القائد العام مذكرة إلى عاهله يخبره بانتصار جيوشه على الثوار وانه قابل المتعلمين، بمنتهى القسوة فأفناهم، وقد استأصل بذلك التمرد والعصيان - على حد تعبيره-.

وفي أمريكا الشمالية كانوا يعتبرون تعليم الزنوج القراءة والكتابة من الأعمال الممنوعة ويعاقبون كل ابيض يعلم زنجيا بعقوبة الحبس والجلد، إلا أن هذه السياسة قد فشلت فشلا ذريعاً، وشعر أصحاب تلك المبادئ بخطأ أفكارهم وتوجهاتهم وذلك لحاجتهم إلى الاستعانة بغيرهم ، ولاستخدامهم في تحقيق مصالحهم وأهدافهم المرسومة وغاياتهم المرجوة.

وعلى الرغم من التطور التكنولوجي، والتقدم الحضاري الذي يحصل هنا وهناك، بلطف من الله سبحانه «الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم» إلا أن الأنظمة الوضعية القائمة في العالم، كل منها قد تبنى فلسفة خاصة في عالمي الحكم والسياسة فاستخدمت تلك الأنظمة العلم لنشر مبادئها وأفكارها السياسية والثقافية، وتحقيق مآربها الشخصية وغاياتها المادية، فعملت بكل قوة على إقصاء شرائع السماء عن الواقع الإنساني، والتي تعتبر منبع الكمال الروحي، والتكامل النفسي، والتوازن السلوكي والخلق الرفيع، ليتسنى لها فعل ما تريد فعله، وتنفيذ ما يحلوا لها تنفيذه، من مخططات مشبوهة وأعمال غادرة، وأساليب ماكرة.

لذا جاءت مناهجهم التعليمية المستوحاة من مبادئهم الوضعية مفتقرة إلى القيم الدينية السامية والمثل الأخلاقية الراقية، فقد أقصتها عن واقع الحياة الدراسية والإنسانية

يقول بعض المربين:

«إن نظام التعليم في الغرب إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة»[1].

---

(١) التربية لعلم حائر، ص٥٢.

وقد نتج عن هذا التوجه الخطير من قبل المبادئ الوضعية إلى انصراف الناس عن التربية الواعية والهادفة إلى غرس النزعات الكريمة والمثل العليا في أعماق النفس الإنسانية. يقول المستر «ليمان في التربية الأمريكية: لأنها لا تخلق ثقافة مشتركة من المبادئ ولا تهذيباً أدبياً[1] ويقول بعض المربين: «إن التعليم أصبح مجردا من وضع أسس المحبة والتعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان فلا غرابة أن انعدمت الإنسانية بين الأفراد[2]

وطبيعي إذا انعدمت الإنسانية بين أفراد المجتمع البشري، فان لهذا الانعدام اثارا خطيرة جدا، ولعل من أهمها انهيار القيم الإنسانية وتدمير أسس التعاون بين أعضاء المجتمع الإنساني، وشيوع الأنانية والجشع والكذب والدسيسة بينهم.

يقول جرورج.أ. فريلند: «وإذا كان علماء الاجتماع يرون أن المواطنة الصالحة، والأخلاق الطيبة للفرد مقياس أساسي لقيمة الحضارة البشرية كان من واجبات التربية أن تتحمل عبئا كبيرا هو إنقاذ الحضارة من التدهور، ولقد كان هذا الوضع في خاطر الكاتب ا لمفكر «هـ.ج ولز» عندما قال: (إن الحضارة سباق بين التربية والدمار)» [3].

وعليه فان المبادئ الوضعية، تعيش الارتباك في مسيرة الحياة، والازمات في الأخلاق، وعدم التوازن في السلوك، وتفتقر إلى التكامل في المناهج والتوجهات بسبب ابتعادها عن النظم الروحية، والقيم الإنسانية، والمثل العليا، الموجودة حصرا في شريعة السماء، والدين الصحيح الخالي من التحريف والتغيير والتطرف وعندما أدرك قادة المبادئ الوضعية، فشلهم الذريع في هذا الاتجاه، وفشل مناهجهم التي وضعوها في الحياة التعليمية والإنسانية، حاولوا التقرب من الدين، ولكنهم لم يدركوا المنهج الصحيح، والمبدأ الواقعي، والدين المستقيم البعيد عن التحريف والتبديل والتعديل في الحياة، كالإسلام الحنيف دين الفطرة والأحكام

---

(١) م.ن.

(٢) التعليم ومعنى الحياة، ص١٠.

(٣) أساليب في التربية الحديثة، ص٣١.

الواقعية المؤطرة بالأطر الأخلاقية الراقية، المحفوظ من قبل رب العالمين من كل عبث وتحريف وتبديل بدليل قول الله جل وعلا: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» [1] إلا أنهم آثروا الحياة الدنيا، وضلوا طريق الحق، وجادة الصواب والحقيقة، وتنكبوا لمنطق العدل والحكمة، فولوا وجوههم شطر الكنيسة التي تعتبر نفسها ظل الله في الأرض ليتعلموا الدين هناك، وكما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه.

موقف الكنيسة من رجال الفكر والتطور

إن الديانة المسيحية لم تملك منهاجا سليما في ميادين الحياة التربوية والتعليمية والاجتماعية والإصلاحية لأنها لم تستطع أن تقوم بإصلاح شامل للحياة والفرد والمجتمع وكل ما فيها هو الزهد في الحياة ، الأمر الذي أدى إلى خلق عقدة نفسية في نفوس الكثيرين، من الدين ، ونفورهم من الدعوة إليه، والتجاوب معه، لذلك فصلوا الدين عن الدولة وأصبح للطقوس فقط، وليس له اثر في الحياة السياسية والاجتماعية.

وبالإضافة إلى قصور الديانة المسيحية عن معالجة شؤون الحياة وعدم وضعها للبرامج الإصلاحية، فإنها قد منيت بالهزل والوهن بسبب ما دسه فيها رجال الكنيسة من الافتراءات والخرافات التي تجافي المنطق، وتناهض القوى العقلية المتحررة، فليس إذن من الغرابة أن تفشل الديانة المسيحية في إعداد جيل متطور، متسم بالاتزان والتعاون والكمال، من اجل بناء مجتمع إنساني امثل.

ومما لا ريب فيه إن الكنيسة آنذاك أخذت تحارب رجال الفكر وتحارب كل من يدعو إلى التقدم والإصلاح وتتحالف مع الأنظمة والمبادئ الوضعية من اجل تمرير مخططات تلك المبادئ، وتبرير أعمالها، وتحقيق أهدافها.

---

(١) سورة الحجر/ آية: ٩

يقول «ميريل كيرثي» ما نصه:

«وفي المستعمرات التي بلغ فيها التحالف بين الكنيسة والدولة من القوة والاستبداد ما بلغه في ولايات «نيوانكلند» كانت التربية وهي تحت سيطرة مختلف الطوائف الدينية تستعمل سلاحا إستراتيجيا لزيادة القوة السياسية للفئات المسيطرة عليها أو لحمايتها، ضد منافسة المبادئ والعادات المناهضة» [1]

«وقد أناطت تلك الدول خلال القرن الثامن عشر وظائف المعلمين بالكنيسة فالذي لم يظفر بتزكيتها يحرم من مهنة التعليم» [2].

وقد أخذت الكنيسة تحارب الوعي الفكري، وتنكل بكل من يدعو إلى الإصلاح فساقت للمحاكم «٣٠٠٠٠٠» ثلاثمائة ألف عالم، وأحرقت منهم «٣٢٠٠٠» اثنين وثلاثين ألف عالم، وكان منهم العالم الطبيعي «برنو» وقد نقمت منه الكنيسة آراء من أشدها قوله: بتعدد العوالم، وقد حكمت عليه بالحرق حيا ، وحكم بالإعدام على «كاليه» لقوله: بحركة الأرض حول الشمس.

«ونتيجة للصراع القائم بين العلم والكنيسة، قرر الثائرون من علماء الطبيعة إن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان» [3].

واندفعت سائر القوى العلمية والإصلاحية، إلى إعلان الحرب على الكنيسة والقضاء على خرافاتها وعقائدها الوضعية، التي تجافي القواعد المنطقية والعلمية، وأدت هذه الثورة الفكرية إلى اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى، التي أنتجت إعلان حقوق الإنسان ومن أهمها الاعتراف بالمساواة والحرية والعدالة، بين الناس، على اختلاف قومياتهم وألوانهم وأديانهم ولكن ياللأسف الشديد، لقد ظهرت في الآونة الأخيرة وخلافا لمبادئ الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان وفي فرنسا نفسها دعوة همجية لمحاربة الحرية والمعتقدات الدينية والمساواة بين طلاب العلم، حيث قررت بطرد آلاف المسلمات المحجبات من فرنسيات وغيرهن من المدارس

---

(١) التربية والصراع الاجتماعي : ص١٣.

(٢) التربية والصراع الاجتماعي ، ص١٤.

(٣) التكافل في الإسلام ، ج٥، ص١١٥.

والمعاهد والجامعات الحكومية، ودعتهن إلى السفور وعدم الالتزام بالحشمة والأحكام الإسلامية، وإلا الطرد المؤبد والحرمان الدائم من نور العلم والمعرفة.

وهذا طبيعي لما توحي به مبادئهم الوضعية، المناقضة لشعاراتهم الجوفاء التي يطبلون لها ليل نهار، وحقا إن هذا العمل يتلاءم ويتناغم مع أحقادهم الدفينة على الإسلام وقيمه الأصيلة، وأحكامه الواقعية، وخلقه السامي، ويؤكد سعيهم الحثيث على إقصائه عن معترك الحياة الإنسانية، في كل مكان من العالم، إن استطاعوا ذلك بواسطة طرقهم المتعددة كالهيمنة والتسلط والوسائل الثقافية والأفكار الحزبية،والطرق التبشيرية، والخدمات الطبية، والمساعدات وغيرها.

وعلى أي حال فان الكنيسة بصورة عامة ظلت خاضعة لأضاليل القساوسة وأوهام الرهبان وخرافاتهم، من قبيل أنهم ظل الله في الأرض، ووكلاؤه على البشر وان من يعترف أمامهم بذنوبه فلا ذنب عليه، وان الحقائق العلمية الثابتة كفر وصاحبها يستحق الحرق والإعدام، إذا كانت مخالفة لما تراه الكنيسة وتقره من أفكار ومفاهيم، وان كانت مجافية للحق والعلم والدين الواقعي، ومناهضة لمحاسن الأخلاق ، والغريزة الطاهرة، والفطرة البشرية.

من وحي الإسلام ورؤاه

وأما الإسلام والحمد لله فانه منذ بزوغ فجره الوضاء ، ونوره الساطع قد استخدم جميع طاقاته الفكرية، وإمكاناته الروحية، وآرائه الأصيلة، وأخلاقه النبيلة في بناء الإنسان بناءا ايجابيا، والعمل على تنمية وعيه، ورفع مستواه الفكري والاجتماعي والروحي والخلقي، على نمط واحد، انقيادا للحق، وانصياعا للعدل،وتسابقا في ميادين البر والخير والإحسان.

وان الطابع الإسلامي لم يكن دينيا محضا، كما كان عند المسيحيين واليهود في الصدر الأول من تأريخهم، ولم يكن دنيويا محضا كما هو الحال عند الرومان،

وإنما كان يوافق بين الدين والدنيا، ويوازن بين الروح والمادة بحيث لا يكون ثمة إفراط ولا تفريط في احدهما على الأخر، وكان يهدف من ذلك إلى الإصلاح الشامل لكل من الدين والدنيا والآخرة.

ولقد تناول الإسلام جميع الطبقات الاجتماعية ووضع لها الأسس المتينة، والمناهج الخلاقة، المبنية على اصدق الطرق الفكرية والتربوية والروحية، واحدث الوسائل وأنجحها، ليأخذ بيد الإنسان إلى ارتقائه ، وتكامله، وتطوير حياته، ونضوج عقله وتفجير طاقاته المادية والمعنوية، وإيجاد حضارة مزدهرة.

وبكل وضوح واعتزاز نقول: إن الإسلام مبدأ كامل متكامل بمناهجه و أجهزته وقوانينه، وأحكامه، وهو المصدر الوحيد لحضارة المسلمين ومجدهم، وكذلك الحضارة الإنسانية وارتقائها نحو التكامل والتسامي والازدهار.

ومما لا يقبل الشك، إن الإسلام يملك كل مقومات التقدم، وعوامل إيجاد الحضارة المتوازنة، وكل وسائل التطور البناء، وعلى سبيل المثال نلقي نظرة مجملة وسريعة على منهجه التربوي والتعليمي، وتقديره للعلم والعلماء، مع ذكر بعض أقوال المربين والباحثين والمحللين للتدليل على صدق ما نقول. ونبدأ بقول بعض الباحثين الذين أفادوا عن التربية الإسلامية بما يلي:

«لا يستطيع احد من المربين والمؤرخين أن ينكر إن التربية الإسلامية هي الأساس المتين لحضارة المسلمين، والمثل العليا في تلك التربية تتفق مع الاتجاهات الحديثة في عالم التربية اليوم، فقد قدس الإسلام العلم والعلماء ، وسما بالعلم إلى درجة العبادة، وعنى العناية التامة بجميع أنواع التربية، وخاصة التربية الروحية والدينية والخلقية، ونادى بالحرية والمساواة، وتكافئ الفرص بين الأغنياء والفقراء في التعليم، وقضى على نظام الطبقات، وفرض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، وأعطاهما وسيلة للتعلم إذا وجدت لديهما الرغبة في العلم والإقبال عليه.

وقد فتحت المساجد والمعاهد ودور العلم والحكمة، ودور الكتب والحلقات الدراسية والمنتديات الأدبية والعلمية أمام الطلاب للتعلم والدراسة والبحث، وقدمت إليهم الدولة الإسلامية كل ما يحتاجون إليه من طعام ومسكن وعلاج، ومساعدات مالية لتمكنهم من المعيشة والتفرغ لطلب العلم، وإنا لنفخر إذا قلنا: أن مبادئ التربية الحديثة التي نادينا بها في منتصف القرن العشرين، ولم تستطع الدول المتقدمة تنفيذها كلها حتى اليوم، قد روعيت ونفذت في التربية الإسلام في عصورها الذهبية،وقبل أن تخلق التربية الحديثة بمئات السنين» [1].

اجل لقد قدم الإسلام الحنيف لجميع البشرية، وكل شعوب الأرض، الثروات الفكرية الحافلة بجميع مقومات النهوض والارتقاء والتطور المثمر، والإصلاح الشامل لجميع مناهج الحياة المتعددة وقد اعتبر العلم – وخلافا لما تعتبره الكنيسة- بصورة عامة عنصرا أساسيا من عناصر التكوين الاجتماعي والنهضة الفكرية للمسلمين والإنسانية جمعاء وقد حث عليه بإصرار وجعل طلبه فريضة من فرائضه المهمة، إضافة إلى ذلك إن العقيدة الإسلامية تأبى الضيم والذل والعبودية،وهي السر في أساس القوة التي يتمتع بها المسلمون، أثناء فتوحاتهم حروبهم وصمودهم.

لذا تنبه الأعداء إلى ذلك واعدوا الخطط اللازمة لمحاربة العقيدة الإسلامية والوعي الإسلامي، والخلق الإسلامي أيضاً وحاولوا بكل قوة ونشاط إلى إقصاء الإسلام عن واقع الحياة الإنسانية، واجتذاذ أنواره المشرقة من النفوس، فلجأوا إلى حرب أخرى، بعد أن جربوا الحرب العسكرية، إلا وهي الحرب الفكرية والتي تعتبر من اخطر الحروب ، وافتك أنواع الأسلحة النفسية، ومن احدث الوسائل الفنية لسيطرتهم وبقائهم، وقد اعتمدوا في ذلك على وسائل عدة منها: التربوية،و التعليمية، والتبشيرية ، والمساعدات المادية، والخدمات الطبية، لسلب العقيدة الإسلامية والقضاء على الأصالة والمجد المتمثل في الوعي الإسلامي للأمة.

---

(١) التربية الإسلامية ، ص٣-٤.

يقول «رويمر» في مؤتمر المبشرين بجبل الزيتون في فلسطين ومعربا فيه عن حقده البالغ على المسلمين، ما يلي:

«ولكن علينا أن لا نبغي إخراج المسلمين من الإسلام، ثم إدخالهم إلى الديانة المسيحية، ولكننا نكتفي بإخراجهم من الإسلام وإبقائهم بلا دين، وبذلك تكونون انتم الطليعة الأولى للركب الاستعماري، باركتكم عناية الرب» [1]

هذا هو اتجاه المبادئ الوضعية، والعقائد، والأنظمة المناهضة للإسلام فهي من اجل إبعاد الإسلام الأصيل، ومناهجه الحياتية الخلاقة عن واقع الساحة الإنسانية وتعمل أيضاً بجد وبرمجة لكي تبعد المسلمين أنفسهم عن دينهم الحق، وقيمة الأصيلة ومثله العليا، وخلقه الرفيع ليشيع بينهم التفسخ والانحلال، وفقدان الهوية الدينية ، وهذا أسوأ مصير تصل إليه الأمة في مجاهل هذه الحياة.

ومن الطبيعي ، إن المجتمع الذي يرفض الدين ولا يقبل عليه، لهو مجتمع قد خارت قواه العقلية، وضعفت روابطه الفكرية، وتفككت عرى علاقاته الإنسانية فهو حتما مصيره إلى الهاوية والسقوط، والابتعاد عن موكب الحياة ومسيرة التقدم والتطور، والتكامل والبناء.

ويالللأسف الشديد، إن التربية الاستعمارية، والجهود المعادية للإسلام والمسلمين، عملت عملها فيهم، وحالت بينهم وبين دينهم الفذ، فاكتسحت منهم تلك الروح الوثابة الأصيلة المفعمة بالايمان، والمتفائلة بالحياة، والعاشقة لسبل الخير والفضيلة، والمتفانية بإغاثة الملهوفين والمكروبين، ودفع الغوائل وشرور الظالمين عنهم،والاستماتة في سبيل إحقاق الحق وإبرازه، وإزهاق الباطل وإماتته.

ولنقرأ ما جاء في كتاب إلى أين يسير الإسلام؟ : «لقد استطاع النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة، آن يترك في المسلمين – من غير وعي منهم- أثرا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد..

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، جريدة المؤيد المصرية، مجلة العربي، سر انحلال الأمة العربية.

ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار... فالواقع إن الإسلام كعقيدة وان لم يفتقد إلا قليلا من أهميته وسلطانه، ولكن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانه...» [1].

هكذا عبثت القوى المعادية بوحي من مبادئها الأرضية وعقائدها المحرفة والمصطنعة بالإسلام والمسلمين، فأجهزت على قيمهم ومثلهم وأصالتهم وتركتهم كما يريد الأعداء انقيادا للغرائز وإعراضا عن الحق، وصدوفا عن العدل و القيم الأصيلة، وابتعادا عن الكمال والمثل العليا.

وطبيعي إن مثل هؤلاء، سيشكلون طابورا خامسا، في الجهل والانصياع للأعداء وتنفيذ مآربهم ا لشريرة الماكرة، ومحاربة الإسلام من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وبذلك نجح الأعداء في اقتطاع ثلة من الأمة وتسخيرها في تفتيت المجتمع الكبير، و الاستفادة من طاقاتها في تمرير خططهم الخبيثة من تجزئة وتفرقة، وخلق الفتن هنا وهناك، وزرع الحقد والعداء بين أبناء الأمة الواحدة، والمذهب الواحد تحت شعارات براقة في ظاهرها، إلا أنها تحمل الموت الزؤام، والسم القاتل في ثناياها تنفيذا للشعار المشهور : «فرق تسد»

وقفة تأمل

وعليه ينبغي التنبه والوعي لما يخطط خلف الكواليس، ولما يظهر على الساحة الإسلامية من بؤر للتوتر، ومادة للخلاف ، ونزاعات هنا وهناك، وبروز قيادات فجأة، تدعى الإسلام مرة وتدعي السياسة مرة أخرى، وتارة تزعم أنها المنقذ والبلسم لجراح هذه الأمة، ورأس الصلاح والإصلاح، في حين أنها كانت

(١) من مقدمة كتاب إلى أين يسير الإسلام.

مغمورة، مجهولة ليس لها أمر يذكر، ولا عين تشاهد، ولا تأريخ علمي، ولا سيرة عقلائية أو جهادية إلا يكفي فرقة وتشتتا وتمزقا؟!

إلا يكفي ابتعادا عن المحبة والأخوة الإسلامية؟ إلا يكفي ابتعادا عن نهج محمد ﷺ وسيرة أئمة الهدى عليهم السلام؟! أقول ويقول كل عاقل يخشى الله تعالى، ويؤمن بالإسلام حقا، ومنهج أهل البيت عليهم السلام والصحابة الأبرار الأوفياء:

هذا التشتت والتمزق والتناحر، والابتعاد عن التآلف والأخوة الإسلامية يخدم من؟ وماذا يحقق؟ وما هي النتائج؟ وهل يوحد صفوفنا ويقوي كلمتنا ويحقق آمالنا في حياة حرة كريمة يرضى بها الله سبحانه؟! أم ماذا؟

وإذا انشغلنا بأنفسنا وتمزق شملنا وإنهَد كياننا، وفقدنا ديننا وقيمنا، وتسلط علينا عدونا، بإرهابه وانحرافه، وحقده ، وجبروته، وجهله فماذا نراه يفعل بنا؟! هل يرحمنا؟ أم...؟

مزيداً من الوعي والتنبه والإدراك والتفكر.

مزيداً من الحب والإخوة والتعاون والبناء وترك الأوهام والحقد والضغينة.

مزيداً من الاعتصام بحبل الله المتين،والدين القويم، الإسلام الحقيقي.

مزيداً من الأخوة الإنسانية ، والابتعاد عن التزمت، والتطرف والإرهاب.

مزيداً من التمسك بالاسم وإظهاره بوجهه المشرق وشكله الصحيح كما انزله رب العالمين.

لا كما شوهه الأعداء والجهلة والمنحرفون، وأظهروه بغير شكله ووجهه وهديه، ولا يخفى إن الإسلام دين المحبة والتسامح، والتعاطف والتآلف، دين الشفقة والرحمة، والإحسان والبركة،والبر والصلة، دين الخير والأخوة، الأخوة الإسلامية،والأخوة الإنسانية، وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «الناس صنفان أما أخ لك في الدين أو أخ لك في الإنسانية» .

إذن فلا يجوز البتة الاعتداء على المسلمين والناس جميعا والنيل منهم وان اختلفت قومياتهم أو أديانهم أو جنسياتهم أو ألوانهم ولو بشطر كلمة ماداموا

يظهرون الحب والسلام وعدم الاعتداء والإجرام. وهذا هو خلق الإسلام ونهجه القويم في الحياة.

فأنتم الطلقاء

فهذا رسول الله ﷺ وهذه معاملته مع أهل مكة ,أهل الشرك والكفر ، أهل الجحود والعصبية، أهل الفساد والظلم، أهل القسوة والغلظة الذين قتلوا أصحابه وأنصاره وأقرباءه في عشرات الحروب، والذين أخرجوه ﷺ من مسقط رأسه الشريف وبلد الله وبلد آبائه ومحل عبادته لمدة نصف قرن»

والذين عذبوا المهاجرين بأنواع التعذيب، وقتلوا العديد منهم، والذين تآمروا على قتله ﷺ عدة مرات وكلها باءت بالفشل والذين مارسوا مع النبي ﷺ كل أنواع المظالم والفضاضة...

هؤلاء جاءهم النبي محمد ﷺ فاتحا منتصرا عليهم..

أترى ماذا كان يفعل إنسان آخر لو كان في موقع النبي ﷺ؟

انه بلا شك كان يقيم مجزرة رهيبة.

فالموجودون هم الظالمون بأنفسهم لا أبناؤهم.

أبو سفيان، وهند، واضرباهما من الرجال والنساء.

ولكن في فتح مكة، عندما حمل الراية سعد بن عبادة وجعل يرفل في طرقات مكة وهو يهز الراية وينادي:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة

يقصد بذلك: أننا سنكثر القتل في أهل مكة حتى تتراكم جثث ولحوم القتلى بعضها على بعض وإلى جنب بعض، وسنسبي نساء مكة سبي الكفار المحاربين.

وكان أهل مكة يتوقعون مثل هذا الصنيع من مثل هذا الجيش المطرود وأفراده من مكة سنوات طوال، والمعذب من قبل أهل مكة، والمهدور حرماتهم

وأموالهم و كراماتهم من قبل هؤلاء أنفسهم.. أكيدا كان أهل مكة يبيدون المسلمين لو كانوا بمكان المسلمين، وكانت القضية معاكسة.

ولكن رسول الله ﷺ رسول الرحمة، رسول العفو، رسول الإنسانية، رسول الإسلام... أبى ذلك اشد الإباء.

بل بالعكس سجل نقطة مشرفة في تاريخ الإسلام والإنسانية فأمر الصحابي المنادي بالقفول، وأمر أمير المؤمنين عليا عليه السلام يحمل الراية وأن يدخل مكة برفق وهدوء وان ينادي في أهل مكة بلين ولطف بعكس ذلك النداء.

ونادى علي عليه السلام في طرقات مكة: وهو يكرر النداء:

اليوم يوم المرحمة　　اليوم تصان الحرمة

ثم جمع النبي ﷺ أهل مكة فنادى فيهم: ما تقولون أني فاعل بكم؟

قالوا : خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال ﷺ: أقول لكم كما قال أخي يوسف عليه السلام: « لا تثريب عليكم»[1] ثم قال ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

ثم قال: «أيها الناس : من قال: لا اله إلا الله فهو آمن» .

«ومن دخل الكعبة فهو آمن» «ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن» «ومن ألقى سلاحه فهو آمن» «ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» «ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن» [2].

عفوه عن أبي سفيان:

لما دخل النبي ﷺ مكة المكرمة وجاءه أبو سفيان وكل أصابعه العشر تقطر من دماء أهل بيت النبي ﷺ وأصحابه، وملء قلبه الحقد والحنق على رسول الله ﷺ والإسلام، وملء عينيه الشر والدماء.

---

(١) سورة يوسف / الآية ٩٢.

(٢) راجع بحار الأنوار ج٢١، ص١٠٤، ب٢٦. دار أبي سفيان بأعلى مكة ودار حكيم بن حزام بأسفل مكة وهما من رؤوس الشرك أسلما يوم فتح مكة .

ولم يكن أي إنسان في موقف النبي ﷺ إلا ويواجه مثل أبي سفيان شيخ المؤامرات والفساد بأقسى مواجهة، وينكل به اشد تنكيل، لكن صنيع رسول الله ﷺ كان بالعكس.. فعفا عنه وصفح وقال ﷺ في رفق ولطف: «أما آن لك أن تشهد أن لا اله إلا الله، واني رسول الله» ؟

فقال: بأبي أنت وأمي ما أكرمك ، وأوصلك وأحلمك[1].

هذا هو الإسلام الحقيقي، وهذا وجهه المشرق، وهذا خلقه العظيم، وهذا عفوه ونبله، وهذا نهجه الأصيل في الحياة.

يقابل وبكل رحمة وإنسانية رأس الشرك، والحقد والتآمر والضغينة رأس الكفر والخبائث والشجرة الملعونة،رأس الظلم والفساد والجريمة، أبا سفيان وهند آكلة الأكباد، ومن حذا حذوهما.

إذن أين نحن من الإسلام وخلقه الأمثل، ونهجه الأقوم؟

نقتل النفس التي حرم الله قتلها عن عمد، ونسرق في وضح النهار، ونرتكب الكبائر ونفعل الفحشاء والمنكر، ونقطع الطريق ونفتك بالنساء والأطفال ونحدث الأذى، ونقول: نحن مسلمون، فهل يرضى الله بذلك؟ وهل يرضى الإسلام بذلك؟ وهل يرضى العاقل بذلك؟وهل يرضى الرسول ﷺ بذلك؟ وهل يرضى صاحب ضمير ووجدان بذلك؟ أما آن الأوان ا ن نحاسب أنفسنا ، ونرجع إلى وعينا وصوابنا وديننا؟ قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «ميدانكم الأول أنفسكم فحاسبوها قبل أن تحاسبوا».

إذن يجب أن نقف ونفكر بعمق ، ونحاسب أنفسنا عن كل صغيرة وكبيرة، وعن كل خطوة نخطوها، ونسأل أنفسنا هل هي برضا الله تعالى أم بسخطه؟ وما هي الآثار المترتبة عليها؟ ايجابية هي أم سلبية؟ ضارة هي أم نافعة؟ ومن وراءها؟ شيطان أم عدو ماكر يريد أن ينفث سمومه وأفكاره الجهنمية؟! ليمزق جسد هذه

---

(١) أعلام الورى : ص١٠٨.

الأمة العريقة، امة الإسلام والقيم الأصيلة، امة الخير والكرم والنخوة والشجاعة!! أمة القرآن الكريم وهديه ورشده.

يجب أن نتأمل قول كل قائل، ونتدبر في ادعاء كل مدع، ونمعن النظر في نصيحة كل ناصح، يظهر الشفقة والتعاون والغيرة على الحق والإسلام ونعرض كل ذلك على القرآن والسنة الشريفة فان وافقهما فهو قول صحيح، وادعاء صادق، ونصيحة حقيقة، وإلا فهو زخرف وباطل وكذب وخديعة، وهنا الترك أولى والهروب من كل ذلك هروب العاقل من الأسد، وقطع الصلة ووشائج الارتباط بعد تبيان الحقيقة وتوضيحها وإسداء النصح إن أمكن.

وان لم تكن هكذا فحينها الندم، ولكن لا ينفع الندم. وكما قيل: إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب.

وبديهي إذا لم نقف ولم نع ما يدور حولنا، ولم نرجع إلى الله ودينه الحق ولن نركب سفينة النجاة، ونغرق ونهلك ونخسر الدنيا والآخرة. كما اثر عن الرسول الأكرم ﷺ : «إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى» [1].

وعليه يجب علينا، التفكر والتدبر، والتأمل والتمعن ألف مرة، قبل الإقدام على أية خطوة، وان نتمسك بشرع الله وأحكامه نصا وروحا، ونظهره بوجهه المشرق الوضاء، وهديه البناء، وفكره الحضاري.

وننبذ الإرهاب والسوء إلى الإسلام، ونتجنب زلات الأقدام ومواطن الشبهة والإتهام، ونكون على بصيرة من أمرنا قبل فوات الأوان.

لننقذ أنفسنا وامتنا وإخواننا وقيمنا ومبادئنا وإيماننا من الانجراف نحو الهاوية والقعور المظلمة المجهولة. ولم يذكرنا ذاكر ولم يزرنا زائر.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣، ص١٥١، والطبراني في الأوسط حديث ١٨. والنبهاني ص٢١٦ من كتابه الأربعين حديثا.

وليعلم كل منا أن السفر بعيد، والبحر عميق، والزاد قليل، والناقد بصير، والحساب عسير، والعقاب شديد. «ومن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز». رزقنا الله وإياكم الفوز بالجنة والرضوان. والسداد في الرأي ، والاستقامة في السلوك، والتوازن في الحياة، والكمال في الدين والأخلاق والتعامل و الالتزام . انه نعم المولى. ونعم المجيب والنصير.

وعوداً على بدء أقول: انه لمن ناقله القول إن نؤكد على أن الإسلام الحنيف قد قدم منهاجا كاملا للحياة البشرية، يهدف في مفرداته الأساسية من علمية وتربوية واجتماعية، وسياسية وثقافية وخلقية وروحية إلى إعداد الشخصية الإنسانية الصالحة، الايجابية الهادفة المتطورة التي تتسابق في ميادين الخدمة الاجتماعية،وإيجاد الإصلاح الشامل وتحقيق التكافل في البيئة والمجتمع وإيجاد الأمن والسلام والتقدم في جميع مفاصل الحياة الإنسانية، ومحاورها المتعددة.

والمنهج الإسلامي، منهج متميز قد توفرت فيه جميع عوامل النهوض وأسباب الارتقاء والتماسك، فهو منهج مثالي يواكب التقدم، ويماشي التطور الحضاري ويحقق التكامل الروحي، ويوجد الازدهار المعنوي، ولقد استطاع أن يحقق للمسلمين وللإنسانية جمعاء كل خير وسعادة وارتقاء، وقد جعل المسلمين في عصورهم الأولى قوة متحدة ومتماسكة لا مثيل لهم في الأرض ، يفتحون، ويغزون، ويشيدون، ويصلحون، ويعمرون، ويقيمون المثل العليا والقيم الكريمة القائمة على أواصر الإنسانية والمحبة والتعاون والإيثار.

والمبدأ الإسلامي العظيم وبواسطة أطروحاته المثالية، في الحياة الإنسانية، ومناهجه الواقعية الحضارية استطاع – وبكل فخر واعتزاز- أن يحقق المعجزة في دنيا الحياة لما يملكه من مؤهلات راقية، كالنظام المتكامل الذي يستوعب حياة الإنسان في حاضرة ومستقبله وله القدرة الهائلة في معالجة شؤونه ومشاكله كلها حتى ارش الخدش وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من واقعة تقع إلا ولله فيها حكم حتى ارش الخدش» ولا يكتفي بهذا وحسب، وإنما يعالج ما يستجد من

أمور وأحداث تبرز على السطح في مسيرة الإنسان الارتقائية نحو التكامل في دنيا الوجود.

ولقد استطاع هذا المبدأ العملاق بمناهجه الحضارية الخلاقة، أن ينتج خيرة الرجال وعظماء الإنسانية في قابليتهم، ومواهبهم، وقدراتهم الفكرية والروحية والإيمانية والنضالية أمثال عمار بن ياسر والمقداد وأبي ذر وسلمان عليهم الرحمة والرضوان وغيرهم من بناة التاريخ الإسلامي، الذين حالفوا الحق، وناهضوا الباطل وحاربوا الظلم والرذيلة، وتنكروا للجور والاستبداد، ونشروا الكمال والفضيلة ، وبعثوا في هذه الأمة روح التضحية والفداء والجهاد، لاحتضان العدل والحرية والمساواة، ومناجزة العدوان والظلم بكل صوره وأشكاله.

ولكن وما أدراك ما لكن

ولكن يا للأسف الشديد إن العالم الإسلامي برمته ونتيجة لفعل الأعداء والحاقدين وبتأثير من مخططاتهم الخبيثة، ومجهوداتهم المبرمجة، وإعلامهم المضلل، وشعاراتهم الجوفاء التي ينقض باطنها ظاهرها، وعبارتهم المعسولة الملطخة بسموم الأفاعي، أصبح المسلمون في أصقاع الدنيا يعيشون في هذه المرحلة الحاسمة من تأريخهم أزمات حادة، لها آثارها المباشرة والخطيرة على مجريات الأمور ومسيرة الحياة الإسلامية.

حيث التسبب والانحلال، وسيادة الأهواء الخاصة التي تروج للباطل والرذيلة وتجافي الحق والفضيلة، وأما الوفاء فقد انعدم وكذلك المحبة والتعاون في سبيل الله، ناهيك عن ظهور النفاق الاجتماعي بصورة فضيعة، وسيادة الجشع والتهالك على المادة بصورة غير مشروعة ومن أي طريق كان، فلا تحرج في الكسب والمعاش ولا إخلاص في العمل ولا نصح فيه، ولا تجنب عن الخداع، ولم

يكن هناك وقوف عند الشبهات أو تورع عما حرمه الله، بل لم يعد هناك احتياط سبيل للنجاة.

أما الرأفة والعطف والتراحم بين الناس لم يعد لها ظل، مما أوجب تفكك المجتمع وتمزيق أوصاله، وتقطيع روابطه الإنسانية، وإصابته بالكثير من الأوبئة والأمراض النفسية والاجتماعية، والأخلاق الذميمة والدخيلة.

ومما يعصر القلب ألما وأذى هو المحنة الكبرى التي امتحن بها المجتمع الإسلامي ومنيت بها الأمة، وهي تخلي الشباب عن قيم الإسلام الأصيلة، وابتعادهم عن جميع الروابط والتقاليد الاجتماعية، وانفصالهم عن أسرهم، وبذلك أصبحوا لم يهتموا بعواطف أبائهم الجياشة نحوهم، كما أنهم لم يؤدوا ما عليهم من واجبات ومسؤوليات فرضها الله عليهم تجاه والديهم وأسرهم ووطنهم بالصورة المطلوبة والمرضية.

والمحنة تكون اشد وأقسى عندما يكون الأعداء مصدرا لتربية أبنائنا وتلقي معلوماتهم ومعارفهم وثقافاتهم، وخاصة في نطاق العلاقات الاجتماعية والروابط الإنسانية، لان الأعداء يفتقرون إليها نتيجة لفقدانهم للدين الحقيقي الذي يلم الشمل ويقوي الروابط الروحية والأواصر الاجتماعية، وينمي العواطف الإنسانية بينهم ويشدد من ظهور المركزية في الأسرة.

لذلك ترى الأبناء في المجتمعات البعيدة عن الإسلام، ومناهجه الرشيدة، لم تعر اهتماما للوالدين بل يقابلونها بمزيد من الامتهان والاحتقار وعدم الاحترام ، وأصبحوا ينسابون وراء شهواتهم وميولهم ورغباتهم الجنسية، ويسعون للحصول على المادة ولو عن طريق مهين ومشبوه وشاذ، عملا بان الغاية تبرر الواسطة وارتموا في أحضان السينمات والملاهي، وانصرفوا إلى اللهو وإلى ما يبثه التلفاز من برامج بعيدة عن الآداب العامة، ومن صور خلاعية يندى لها الجبين، فانشغلوا بحياة المجون والعبث، ولم تعد عندهم حياة للجد والنشاط والعمل المثمر البناء.

وهذا كله نتيجة من نتائج ابتعادهم عن الإسلام وتشريعاته المقدسة بصورة أو بأخرى، ففقدوا الصيانة والتحلي بالقيم الإسلامية الأصيلة، ومثله العليا وسجاياه الكريمة، وأخلاقه النبيلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تأثرهم بإيحاءات وشعارات ومناهج المبادئ الوضعية والأنظمة اللادينية التي تتبنى الأفكار والثقافة البعيدة عن الروحيات والمعنويات والفضائل والتربية الدينية وتهتم بالعلوم الطبيعية والمادية وتحذف من قاموسها العلوم الروحية وما وراء الطبيعة.

لذا تستهدف نبذ الجانب الروحي من الحياة الإنسانية، وعدم العناية بالتهذيب النفسي للبشرية وقد نجم بسب ذلك الاستهداف والفعل، أن انتشرت الأوبئة الأخلاقية الخطيرة والأمراض الاجتماعية الفتاكة، ومن أهمها شيوع الجريمة وتحلل الروابط الأسرية والاجتماعية والإنسانية، وانعدام قواعد الأخلاق مما جعل الإنسان المعاصر يرزح تحت كابوس ثقيل من جراء الظلم والغبن، وبالنتيجة التأخر عن ركب الحياة المتطورة وعدم سلوك الطريق الموصل إلى الجدية والتفاعل مع الحياة الايجابية وفقدان الكمال والمستقبل الأفضل المنشود.

التطور العلمي والحقائق المعنوية

ومما يجدر الانتباه إليه أن العلم سجل انتصاراته المذهلة في ميادين العلوم الطبيعية والبيولوجية، ولا يزال السباق على أشده في دنيا الاختراع والاكتشاف وهناك انطلاق مدهش في عالم الفضاء وعالم الكواكب، ولقد استطاع العلم أن يحقق حلما من الأحلام، وأصبح حقيقة ملموسة وهو الوصول إلى القمر، وبات الانطلاق إلى غيره من الكواكب امراً ليس بالعسير، وإنما محقق ومفروغ منه.

ولكن هل حققت هذه الاكتشافات الرائعة خيرا للإنسانية في ميادين التعاون والمحبة والتكافل والرخاء؟ بل العكس هو الصحيح. حيث الإنسانية وصلت إلى

الحضيض من التقاتل والتخاصم والانحلال الخلقي والفوضى الجنسية وأصبحت البشرية تعيش في رعب دائم وخوف مستمر.

فالتطور العلمي لم يغن عن الحقائق المعنوية، والقيم الروحية والتربية الدينية، فهو لوحدة لم يستطع بأي حال من الأحوال أن ينقذ الإنسان من ويلات الحروب ومشاكل الساعة التي أرهقت الإنسان وأجهدته إلى حد بعيد ولم يستطع أيضاً أن يوجد التوازن والتكامل والاستقرار في الحياة الإنسانية أو يأخذ بيد الإنسان نحو الكمال والتهذيب الروحي والأخلاقي لذا عدل الكثيرون من الفلاسفة والعلماء الطبيعيين عما كانوا يذهبون إليه، ويعتقدون به من قبل، لأن الاعتقاد السائد بينهم آنذاك إن الإنسان يستطيع النجاة والتخلص من ويلات الحروب وكوارثها عندما تتقدم العلوم وتتطور. إلا أن هذا الاعتقاد أصبح وهما من الأوهام وقد أعلنوا ذلك بجلاء ووضوح.

ويقول المستر ليمان:«لقد اعتقدنا خلال الحرب العالمية الأولى، إن خلاص العالم هو في تقدم العلوم،ولكننا اليوم قد زالت عن أعيننا غشاوة هذا الوهم »[1].

وحذر إقبال اشد الحذر من هذه العلوم بقوله: «إياك أن تكون آمنا من العلم الذي تدرسه فأنه يستطيع أن يقتل أمة بأسرها» [2].

والحقيقة إن من أوهى الآراء ، واخطأ الأفكار أن نعتبر التقدم العلمي والثقافي ضمانة أكيدة للسلام والرخاء وعدم اندلاع الحرب وظهور الأزمات، أو نجعله عوضا عن الدين ومناهجه التهذيبية والروحية في الحياة الإنسانية. فالعلم وسيلة مهمة في البناء والتقدم والتدمير في آن واحد، فالذي يجعله أداة للبناء والتعمير و الرخاء هو التهذيب الديني وهديه إذا تمكن من سادة العالم وساسة الأمم وقادة الشعوب. ويصير وسيلة للهدم والتدمير والبؤس والشقاء إذا فقد الوازع الديني من نفوس ساسة العالم وقادة الشعوب والأمم، ويصبح العلم في

---

(١) التربية لعالم حائر، ص٥٢.

(٢) نحو التربية الإسلامية ، ص٣٥-٣٦.

هذه الحالة نكبة على البشرية وسببا لإغراق العالم في الهلع والرعب، والمخاوف والذعر.

يقول «روبرت ميلكان» : «إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق ولقد كان زوال هذا الإيمان سببا للحرب العامة، وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة على البشرية» [1].

ويقول «روبرت هشنس» : «لقد بلغ العلم - أي العلم المادي- في آن واحد إلى الأوج في المعرفة والتكنولوجيا والتحكم في الطبيعة، وإلى الحضيض في حياته الأخلاقية والسياسية» .

وعلى أي حال فان هذا التطور الهائل الذي حصل في العلوم المدية، والتقدم المذهل في الاكتشاف والاختراع والانطلاق المدهش في عالم الفضاء والنزول على سطح القمر، ليس له اثر في تنمية السلوك الإنساني وإيجاد التوازن والتكامل في الحياة، ولا في إيجاد المجتمع السليم الذي يسوده الحب والخير والتعاون المثمر ولا في انعدام التفرقة بين الأسود والأبيض، واحتقار الإنسان لأخيه الإنسان. ولا في انعدام التكبر والتعالي والشموخ بالأفق على الآخرين.

حيث لا تزال الأنظمة التي تدعي التطور والتقدم تقضي قوانينها وتشريعاتها بان يحال بين الإنسان الأبيض والأسود في المدارس والجامعات، وان يكون للأبيض منازل عليا وللسود منازل سفلى بل حتى العقوبات يجب أن تتفاوت.

فقد أعلنت إحدى الصحف المصرية: «إن الهيئة الدولية لمناهضة العنصرية دعت جميع معتنقي مبادئها إلى الاحتجاج على حكم الإعدام الذي على صدر على جيمي ولسون الزنجي الأمريكي بتهم سرقة (دولار و٩٥ سنتاً) من سيدة بيضاء، ومن المقرر أن ينفذ حكم الإعدام في ولسون يوم (٦ سبتمبر)[2]»

---

(١) التفكير الفلسفي الإسلامي، ص١٧٤.

(٢) صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩٥٨/٨/٣٠م.

الفصل الثاني

فهل استطاع هذا التقدم العلمي في أمريكا والغرب أن يقضي على هذا الظلم والغبن في التفرقة بين أبناء الإنسانية؟ وهل استطاع أن يحقق مجتمع العدل والمساواة والمحبة والسلام البعيد عن شبح الحروب والخراب والدمار؟

لم يستطع ولن يستطيع تحقيق ذلك البتة ما دام بعيدا عن التهذيب الديني والخلقي، والحقيقة المعنوية.

وعليه فإذا أردنا الرجوع إلى الأصالة، والمركزية في العالم، والتفاعل مع الحياة والتطور، بايجابية والتربع على دست المجد والكرامة، والحرية والتقدم والكمال الروحي، والازدهار الحضاري فما علينا إلا الإنابة إلى الله العزيز القدير، والاعتصام بشرعه الحنيف، والعمل بمقتضى نهجه القويم والابتعاد عن كل ما يشين من خلق وفعل أثيم يندى له الجبين، وينكره كل عاقل لبيب وان نجعل من حبيب الله محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين أسوة وقدوة لنا في حياتنا وان نسير على خطاهم، وهدي نهجهم وسيرتهم الصافية المشرقة التي تفوح شذى واستقامة وكمالا، وإسلاما حقيقيا لا لبس فيه ولا شائبة ، شفافا لا تغطيه الحجب الكثيفة.

وبهذه الصورة ننعم بكمال الإسلام وهدية ومناهجه ونعمه وفضائله، ونستعيد ما فقد منا، ونبني ما تهدم ، ونصلح ما أفسده الأعداء والحاقدون والمأجورون والأذناب، وبذلك نحقق الغاية والهدف معا في آن واحد.

نظرة سريعة في الزندقة والإلحاد والشيوعية

إن الذي ذكرناه في بداية البحث ولحد الآن هو بعض من كثير مما قدمته المبادئ الوضعية، والأنظمة العلمانية، وطرحته في الساحة الإنسانية، وعلى اثر هذا الطرح شقت الإنسانية، وأنهدت عرى العلاقات الاجتماعية، وضعفت أواصر ومقومات المجتمعات البشرية، واضمحلت القيم الدينية والحقائق المعنوية، واختفت الكمالات الروحية، ووهنت المبادئ الأخلاقية والتهذيبية، وكثرت

الأمراض النفسية والأوبئة الاجتماعية، واستشرت الرذيلة، وقلت الفضيلة أو تكاد تنعدم في حياتنا المعاصرة، وقد كثر الهروب من الواقع واشتد الجنوح نحو الجريمة، وظهر الانحراف والشذوذ والابتعاد عن الحق والحقيقة، والارتماء في الباطل والخديعة والكذب والخيانة والنفاق كظاهرة مألوفة. إضافة إلى المكر والتآمر، وإشعال نار الفتن والاقتتال الطائفي والمذهبي والديني والعرقي والتمييز العنصري، واندلاع الحروب العالمية والمحلية في معظم أرجاء كرتنا الأرضية، وغير ذلك من أمور ومخططات وأحداث لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم.

هذا ما جنته البشرية من المبادئ الوضعية وما ستجنيه اكبر ما لم تتدارك أمرها وترجع إلى ما يصلحها، وتؤوب إلى رشدها وتعتصم بربها وتسلك صراطه المستقيم «ومن اعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم» [1]، وعندها تفتح عليهم بركات من السماء، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وما ذلك على الله بعزيز.

قال تعالى: «ولو إن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض...» [2] وقال عز من قائل:

«ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» [3]

والآن وبعد أن عرفنا شيئا مجملاً وقليلاً جداً عما تقدم آنفا بخصوص الأنظمة والمبادئ واللادينية، نود أن نلقي نظرة مجملة وسريعة جدا على مبادئ الزندقة والإلحاد والشيوعية – إن صح التعبير- وكما هو معروف أن الشيوعية مبدأ كما يقال إلا انه يحتوي على العقيدة الناكرة لوجود الله جل وعلا زائدا النظام

---

(١) سورة آل عمران/الآية ١٠١.
(٢) سورة الأعراف/ آية ٩٦.
(٣) سورة المائدة / آية ٦٦ .

المنبثق منها والخاص بها، ليقف القارئ الكريم بنفسه على مناهج ورؤى تلك المبادئ وأثارها في الحياة الإنسانية وعرقلتها لمسيرتها التكاملية والتوازنية.

وبعد الاطلاع والتبصر وعمق النظر،واستقراء ما سجله التأريخ من أفكار ومبادئ ونظم طرحها الإنسان وحاور عليها العقلاء والحكماء وربما ناظر الأنبياء والأوصياء حول صدقها وثبوت صحتها،خلال مسيرة حياته الطويلة، وبعد ملاحظة نتائج الحوار والمناظرة، والتعمق في أدلة المتحاورين والمتناظرين وصدقهم وواقعيتهم، كما أثبته وثبته السجل التاريخي للإنسان والتجربة البشرية ويمعن النظر جيدا، ويتأمل ويتدبر، ويتجرد عن العاطفة الهوجاء والتعصب الأعمى للفكر والمعتقد، وان يبتعد عن حكم التسرع والمزاج. ويصدر حكما نابعا من العقل والوجدان والتأريخ والواقع ولو لنفسه.

ترى ماذا تكون نتيجة الحكم الذي يصدره ولو لنفسه؟

هل تكون بصالح هذه المبادئ والأنظمة العلمانية أم بصالح الدين والشرائع الإلهية؟ ولنفترض جدلا، إن النتيجة كانت كما يزعم لصالح المبادئ الوضعية والأنظمة اللادينية: فلنتساءل: لماذا لم يتحقق الكمال والتوازن والاستقرار، والأمن والسلام والمحبة والرفاهة، والتعاون والإخاء، وقيم الروح والأخلاق في حياة بني الإنسان؟

فان قلنا حققت فالواقع والتأريخ والعقل والتجربة البشرية، تكذبنا جميعاً. لأن فاقد الشيء لا يعطيه، والمعدوم في وجوده لا يوجد شيئا والناقص في بنائه وتكوينه لا يوجد كاملا في وجوده، لان الناقص يرشح نقصا وهذا هو منطق العقل والوجدان والعلم. أضف إلى ذلك أن الإنسان مخترع المبادئ المادية والأنظمة الوضعية والعقائد الوثنية وموجدها، استجابة لرغباته ومصالحه الآنية والشخصية، وأطماعه الغريزية، وهو فقير في وجوده، ومفتقر إلى موجده ومحتاج إلى علته وانه مقهور ومغلوب ومحكوم عليه بالموت الذي لا يرغب فيه ولم يستطع دفعه عن نفسه، ولم يعلم ما تؤول إليه عاقبته و مسيرته في حياته.

فمثل هذا المغلوب والمقهور والمحتاج إلى غيره في ابسط الأشياء واصغر الأمور والذي يقول: «لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير» هل يستطيع أن يوجد مبدءا أو نظاما أو عقيدة تحقق له الخير الذي لا يعلمه،والمستقبل الأفضل الذي يجهله، والحياة الحرة الكريمة التي لا يعلم عن مقومات وجودها ، ولا يملك عوامل إيجادها؟؟؟

والجواب: قطعا وحتما كلا وألف كلا.

وعليه: فان نتيجة الحكم القطعية لا بد وان تكون لصالح الدين والشريعة الإلهية لان الله سبحانه وتعالى هو علة العلل والخالق للأشياء والموجد لكل موجود، وهو العليم القادر، والحكيم الغالب ، والغني المطلق الذي لا يحتاج إلى غيره، وهو كما قال الإمام الصادق عليه السلام : «رأته القلوب بنور الإيمان،وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وأحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها، والكتب ومحكماتها، واقتصرت العلماء على ما رأته من عظمته دون رؤيته» [1].

ثم قال عليه السلام: «وذلك أن الله شرع لبني آدم طريقا منيرا..» [2].

انظر إلى عبارة: حسن التركيب، وأحكام التأليف وان الله شرع لبني آدم طريقا منيرا فما هو هذا الطريق المنير الذي شرعه الله للإنسان؟ أليس هو طريق الحق والصراط المستقيم؟ أليس هو الإسلام ليس إلا؟فهو وحده الطريق المضيء الذي يشع نورا وكمالا واستقامة وهو لا غيره يحقق السعادة والتوازن والتكامل والتقدم والسلام لحياة بني الإنسان ، ومن يبتغي غيره دينا ومعتقدا ومنهاجا يكون حتما من الخاسرين. قال تعالى:

---

(١) الاحتجاج: ٢/٧٧.

(٢) الاحتجاج : ٢/٧٢-٧٨.

«إن الدين عند الله الإسلام» [1] وقال تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» [2].

وعليه: يجب على كل عاقل ومثقف عندما يظهر له الحق واضحا وجليا، وتتوضح له الرؤية، وتسطع أمامه الحقيقة المشرقة، ويكتشف بنفسه أو يبصره الأخرون بأنه كان على خطأ فادح، وانحراف كبير، وبعد شاسع عن الحق وجادة الصواب، عندما كان يؤمن بأفكار ومبادئ لا تمت للدين وهديه ونهجه بصلة يجب عليه أن يولي وجهه شطر الدين وقيمه، ويعتصم به، ويعمل بإحكامه، ويعطي ظهره لمبادئ الضلال والإلحاد، والأفكار الضيقة المنشدة إلى الأرض والتي ما انزل الله بها من سلطان، وان يستقيم على الطريقة التي يريدها الله ورسوله وأهل بيته الطاهرون والمؤمنون، حتى يتحقق له الخير والكمال والسعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى:«وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقا» [3].

وقال تعالى: «يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم» [4].

نعم إن الذي يقبل على الله ويترك ما سواه، يعطيه كفلين من رحمته الواسعة ويجعل له نورا يستضيء به في دياجير الحياة وأهوال يوم القيامة ويجعله على بصيرة من أمره، وحكيما في حياته ، وحل مشكلاته، ونافعا لنفسه ولأبناء جنسه، ووطنه وأمته، ويغفر له الله ما تقدم من ذنوبه، ويدخله فسيح جنته، وليس هذا بعزيز على الله المنعم المتفضل سبحانه.

---

(١) سورة آل عمران / آية ١٩.
(٢) سورة آل عمران / آية ٨٥.
(٣) سورة الجن/ الآية ١٩.
(٤) سورة الحديد/ الآية ٢٨.

ونعود إلى صلب الموضوع «نظرة سريعة في الزندقة والإلحاد والشيوعية» ومما لا يخفى إن المبادئ الإلحادية والزندقة قديمة جدا قدم «هير قليط» صاحب النظرية المادية، وقد ظهرت بصورة واضحة على أيدي الزنادقة كأبي شاكر الديصاني وابن أبي العوجاء والجعد بن درهم وغيرهم، وقد ظهرت في العصر الأموي بسبب سياساتهم الجائرة والظلم والفساد الذي أشاعوه في كل ميادين الحياة وقد تبلورت هذه الأفكار وتوضحت في أيام الخلافة العباسية وعلى الأخص في صدرها الأول وكثيرا ما كانت تجري مناظرات بين الملاحدة والإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وتنتهي بانتصار الإمام عليه السلام عليهم بعد إقناعهم وتفنيد أرائهم وكشف زيف مبادئهم وعقائدهم المنحرفة بالدليل والمنطق والحجة العقلية، مما يؤدي بالنتيجة إلى تركهم للزندقة والإلحاد، والإنابة إلى الله سبحانه والإيمان به،والعمل بمقتضى شريعة السماء، شريعة الإسلام الحق.

«وكان ابن أبي العوجاء يعقد حلقاته الفكرية، لغرض التشكيك في التوحيد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ كان ينكر أصل الوجود ويقول : إن الوجود بدأ بإهمال، وكان الجعد بن درهم ممعنا في الكفر ومبتدعا ومتفانيا في الزندقة وكان يعلن الإلحاد» [1].

ومن بدعه انه جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا وهواما فقال لأصحابه: إني خلقت ذلك، لأني كنت سببا كونه وبلغ ذلك الإمام الصادق عليه السلام فرده بأبلغ برهان قائلا: «إن كان خلقه فليقل: كم هو؟ وكم الذكران منه والإناث؟ وكم وزن كل واحدة منهن؟؟ وليأمر الذي يسعى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره» [2].

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣٩٩/١ ولسان الميزان: ١٠٥/٢.

(٢) آمالي المرتضى: ٢٨٤/١.

فبهت الذي كفر ولم ينبت ببنت شفه.

وكما قلنا، فقد جرت بين الإمام الصادق عليه السلام واحد أقطاب الكفر والإلحاد أبي شاكر الديصاني عدة مناظرات، أفحمه فيها الإمام عليه السلام وأبطل مزاعمه الواهية، وكان من بينها المناظرة التي وجه فيها أبو شاكر السؤال التالي للإمام عليه السلام قائلا:

ما الدليل على أن لك صانعا؟

فأجابه الإمام عليه السلام: «وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إما أن تكون صنعتها أنا أو صنعها غيري، فان كنت صنعتها فلا أخلو من احد معنيين: إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة، فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وان كانت معدومة فانك تعلم إن المعدوم لا يحدث شيئا، فقد ثبت المعنى الثالث: إن لي صانعا وهو رب العالمين»[1].

وفي مناظرة أخرى: دخل الديصاني على الإمام الصادق عليه السلام فقال له: يا جعفر بن محمد دلني على معبودي.. وكان إلى جانب الإمام عليه السلام غلام بيده بيضه فأخذها منه وقال له: «يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبه مائعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة فهي على حالها لم يخرج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبرا؟» .

واطرق الديصاني مليا إلى الأرض، وأعلن التوبة والبراءة مما قاله.[2].

وقد أجاب الإمام زنديقا بارزا آخر عن سؤاله: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟ بقوله عليه السلام: «رأته القلوب بنور الإيمان وأثبتته العقول بيقظتها إثبات العيان

---

(١) بحار الأنوار: ٥٠/٣ عن التوحيد والصدوق.

(٢) أصول الكافي: ٨٠/١، والاحتجاج: ٧١/٢-٧٢.

وأبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب وأحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها، والكتب ومحكماتها واقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤيته» [1]

و ويتضمن جواب الإمام عليه السلام: بعض الأدلة الوجدانية على وجود الخالق، من خلقه للمجرات في الفضاء والتي لا تعتمد على شيء سوى قدرة الله تعالى، ثم العقول الواعية، والقلوب المطمئنة بالإيمان هي التي ترى الله بما تبصره من بدائع مخلوقاته، إذ الأثر يدل على المؤثر، والمعلول يدل على علته.

المبدأ الشيوعي

وقد نحى المبدأ الشيوعي منحى الزندقة والإلحاد في أفكاره المادية وعقيدته الإلحادية النافية لوجود الخالق المتعال رب الأرباب ومبدع ا لموجودات، الصانع الحكيم، وله آراؤه ومناهجه الإلحادية في الحياة الإنسانية المادية، وبدلا من أن تقتدي بالملاحدة القدماء فقد اقتدى بالملحدين الجدد وبأفكارهم المادية ونزعتهم الإلحادية كماركس وانجلز ولينين وستالين وفيورباخ وغيرهم، وكانت مناهجه تسير وفقا لما يراه المنهج الماركسي ولا يحفل بغيره، ووفقا لتعاليم ماركس وانجلز ولينين فما يختص بطبيعة العالم، وقوانين النمو الاجتماعي والتحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية فالشيوعية.

وقد صاحب هذا المبدأ الوضعي الشعارات البراقة والإعلام المكثف والذي يصب في مجموعة في غرس العقيدة الماركسية والإلحادية في نفوس الناس وخاصة الجيل الناشئ وتعريفهم بان العالم ليس له بداية ولا نهاية، وانه لم يكن مخلوقا على يد كائن ابدي وان المادة ليست سلبية جامدة تتلقى حركتها عن الروح وإنما هي من الكائنات الحية التي تملك نفسها بنفسها غير محتاجة إلى الروح، وإنها تمر

---

(١)الاحتجاج : ٢/٧٧.

بتطور تأريخي مستمر، وان الكون خالد لا نهاية له، وليس هناك خالق للكون ولا واهب للحياة.

يقول «بوليزر ورفقاؤه» : «لقد فقدت فكرة الله كل محتواها، ولم يعد النقاش حول وجود الله أو عدم وجوده، ذلك النقاش الذي أثارته النزعة الإلحادية الساذجة غير الماركسية، يثار كما أثير سابقا، لقد أصبح الله كما قال «لابلاس» : فرضية لا نفع فيها. وحل مشكلة وجود الله مشكلة فكرة الله في رؤوس الناس، هاتان مشكلتان لا تميز النزعة المثالية الموضوعية بينهما» [1].

ويقول لينين: «إن نظرية الفيلسوف القديم «هيرقليط» المادية – الذي كان يرى أن العالم واحد لم يخلقه اله ولا إنسان، كان وسوف يظل شعلة حية تتوهج وتنطفئ حسب قوانين معينة – إنما هي عرض رائع لمبادئ النزعة الإلحادية الجدلية» [2].

وقال انجلز في رده على نظرية هيجل الذي ذهب إلى إن الوجود قبل الأرض: «الوجود قبل الأرض للفكرة المطلقة الذي قال به هيجل، إن هو إلا بقايا وهمية الإيمان بخالق فوق الأرض، وان العالم المادي الذي تدركه حواسنا والذي ننتمي إليه نحن أنفسنا هو الحقيقة الوحيدة» [3].

وهذه النظرية الإلحادية قد أبطلها العلم، وفندتها البحوث الفلسفية القديمة والحديثة فقد ثبت إن كل ممكن يحتاج في عالم تكوينه وإيجاده إلى علة موجدة هي التي تصنعه وتخرجه من حيز العدم إلى حيز الوجود ومن المستحيل أن يوجد المعلول بلا علة، والمسبب بلا سبب ولا بد في العلة الإيجادية من القدرة الفعالة، والإرادة الحازمة على الإيجاد والتكوين، فإذا لم تكن كذلك فمن المحال أن تفيض التكوين والإبداع لان فاقد الشيء لا يعطيه.

---

(١) أصول الفلسفة الماركسية: ٢٠٦/٢.

(٢) كراسات فلسفية تأليف لينين والمادية الديالكتيكية والمادية التاريخية تأليف ستالين/ ترجمة خالد بكداش، ص١٧.

(٣) مقدمة كتاب تودفيج فيورباخ تأليف انجلز ترجمة ستورت، ص١٧.

«إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فانا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته ...إننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود».

لقد حجبوا عقولهم عن النظر إلى هذه الكواكب المنتشرة في الفضاء التي تعد بمئات الملايين، فإنما اكتشفه العلم الحديث من النجوم بمقدار من الكثرة لو كنا نعدها بسرعة «١٥٠٠ كوكب» في الدقيقة لاستغرقنا «٧٠٠ سنة» أما نسبة الأرض إليها فهي اقل كثيرا من نقطة على حرف في مكتبة تضم نصف مليون من الكتب من الحجم المتوسط.

ومن الطبيعي إنها لم تكن ناشئة عن الصدفة، وهل يمكن إن تكون الصدفة المدبرة والخالقة لهذه العوالم «وكيف نستطيع أن نفسر إن هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية والتكامل والفرضية والتوافق والتوازن التي تنظم بسائر الظواهر وتمتد أثارها من عصر إلى عصر، كيف يعمل هذا الكون من دون أن يكون له خالق مدبر هو الذي خلقه وأبدعه».

يقول «جون وليام كوتس» : «إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة انه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى، ولا شك إن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله»[1].

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم، ص٤٨.

الإيمان بوجود الكواكب وإنكار موجد الكواكب

حقا يا للسخف والغرور والعناد، يبحثون عن الآثار في الأرض والفضاء، ويصرفون المليار تلو المليار من الأموال العائدة للشعب من اجل الظفر بالمعرفة الكاملة عن هذه الآثار ولاسيما المعرفة الخاصة بواقع الكواكب في الفضاء ، وهل هي مزودة بعناصر الحياة أم لا؟ وقد استخدموا كل الأجهزة العلمية، والمركبات الفضائية والأقمار الصناعية للتعرف على ذلك، وعندما ظفروا ببعض المعرفة عن تلك الآثار والكواكب، آمنوا بالآثار وأنكروا المؤثر. فيا للعجب العجاب ألم يعلموا أن لكل اثر مؤثر؟ وان لكل معلول علة؟ قال تعالى: «وجحدوا بها وأستيقنتها أنفسهم» [1].

ويا للأسف الشديد، أنهم لم يصرفوا أفكارهم وعقولهم إلى النظر في موجد هذه الكواكب وخالقها كما ينظروا إليها فالووا رؤوسهم ، وتخبطوا في عشواء مظلمة لا بصيص فيها من النور، مصرين على إنكاره، وعامدين على جحوده في حين انه اظهر حقيقة يراها الإنسان بعقله وفكره.

---

(١) سورة النمل/ آية ١٤.

الم ينظروا إلى هذه الكواكب كيف تدور في نظام عجيب؟ وتسير في مسيرة مرتبة تذهل عن إدراكها العقول؟ الم يسمعوا قول الله تعالى: «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» [1].

ربما سمعوا بما نطق القرآن الحكيم به، ولكنهم لا يريدون أن يؤمنوا. وكثير مثلهم كان هكذا، ولكنه عندما رأى أو سمع ما قاله العلماء المختصون بالفلك من إن دورة الأرض ودورة الشمس ودورة الأفلاك ليست مضبوطة بالساعة ولا بالدقيقة ولا بالثانية ولكنها مضبوطة بسرعة الشعاع الذي يقطع «١٨٦» ألف ميل في الثانية وعلى هذا النظام الدقيق والمحكم والمضبوط سار الكون وانتظمت شؤونه، وفاضت معطياته، ولو اختلفت مناهجه لارتطمت الكواكب بعضها ببعض، واحترقت العوالم، واشتعلت أرجاء الكون قاطبة واستحالت إلى رماد وقاع صفصف آمن بالله أنهم لم يمنعوا النظر في هذه الأرض التي نعيش على سطحها، فإنها معلقة في الفضاء تدور حول محورها في كل «٢٤» ساعة» مرة واحدة فيتكون الليل والنهار وتدور حول الشمس في كل عام مرة فتتكون الفصول الأربعة: الصيف والخريف والشتاء والربيع.

يقول العلماء الفلكيون: إن سرعة حركة كوكب الأرض «١٠٠٠» ميل في الساعة وأنه لو كان يدور «١٠٠» ميل في الساعة لكان طول الليل عشرة أمثال ما عليه الآن وكذا طول النهار وكانت الشمس محرقة في الصيف لجميع النبات، وفي الليالي الباردة يتجمد جميع ما عليها من نبات أو حيوان، كما إنها لو اقتربت الشمس من الأرض أكثر مما هي عليه الآن لازدادت الأشعة التي تصل إليها بدرجة تؤدي إلى امتناع الحياة فوقها، كما إنها لو ابتعدت عنها أكثر مما عليها الآن لحدث العكس.

---

(١) سورة يس / آية ٤٠.

ولو كانت الأرض في حجمها كالقمر لعجزت عن احتفاظها بالغلاف الجوي والمائي الذين يحيطان بها، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت، ولو كان قطرها ضعف قطرها الحالي لأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه الآن، وانخفضت تبعا لذلك ارتفاع غلافها الهوائي وزاد الضغط الجوي.

ولو كانت الأرض في حجم الشمس لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها إلى «١٥٠» ضعفا، ونقص بذلك ارتفاع الغلاف الجوي، ووصل وزن الحيوان إلى زيادة «١٥٠» ضعفا عن وزنه الحقيقي، كما تتعذر الحياة الفكرية بصورة عام بالنسبة إلى الإنسان.

وخص الله الأرض بميزة أخرى بان جعل لها غلافا كثيفا سميكا يقدر بـ(٨٠٠) كيلو متر وهو يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة، ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يتكاثف مطرا يحي به الأرض بعد موتها كما انه السبب في حيلولة الشهب القاتلة إلى الأرض، وهو السبب في إيصال حرارة الشمس بصورة معتدلة إلى الأرض بحيث يمكن أن تعيش على سطحها النباتات والحيوانات.. وليس لبعض الكواكب هذا الغلاف مما سبب عدم ظهور الحياة عليها فالمريخ له غلاف غازي رقيق وخال من الأوكسجين مما جعله غير صالح للحياة.

لقد تجلت قدرة الله العظيم في كل شيء من مخلوقاته، وان العقل ليقف خاسئا وهو حسير من معرفته تعالى يقول ابن أبي الحديد:

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر عليلا
أنت حيرت ذوي اللب وبليت العقولا
كلما أقدم فكري فيك شبرا فر ميلا
ناكصا يخبط في عمياء لا يهدى السبيلا[1]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٥١/١٣.

أنهم نظروا إلى الوجود نظرة عابرة حمقاء لا تستند إلى دقة، ولا تقوم على وعي فبنوا لهم إطارا عقائديا يقوم على إنكار الخالق العظيم الذي تجلت قدرته في كل شيء.

أفلا ينظر هؤلاء إلى أنفسهم وما فيها من عجيب الصنعة، وبديع الخلقة، وجميل الهيئة، وما فيها من الأجهزة العجيبة التي تدلل على وجود الله؟!

يقول احد العلماء: إن العين التي تبصر بها، تحتوي على التنظيمات التلسكوبية والمكروسكوبية وهي تحتي على «١٣٠» مليون من مستقبلات الضوء وهي أطراف أعصاب الأبصار، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذي يقيها ليلا ونهارا وتعتبر حركته لا إرادية، كما يمنع عنها الأتربة والذرات، ويكسر من حدة الشمس، وجعل لها السائل المحيط بها المعروف بالدمع، وهو من أقوى المطهرات والمعقمات إلى غير ذلك من الأجهزة الدقيقة الموجودة فيها التي تنطق بقوة بوجود الخالق العظيم.

وفي الإنسان حاسة السمع ، وهي من أعظم أجهزة الإنسان ففيه «التيه» وقد أدلى العالم كورثي عن عجيب ما فيه بقوله:

«إن التيه يشتمل على نوع من الأقنية بين لولبيه، ونصف مستديرة، وان في القسم اللولبي وحده أربعة آلاف قوس صغير متصلة بعصب السمع في الرأس. ما طول تلك الأقواس؟ وما حجمها؟ كيف ركبت» .

حقا إنها دقة مذهلة تحير الألباب وتذهل العقول، فهل تكونت هذه بمحض الصدفة؟؟ أو أنشأتها الطبيعة العمياء، وان من يقول بذلك فقد ألوى بنفسه وتفكيره إلى مستوى سحيق من الجهل ما له من قرار.

ومن عجيب ما في الإنسان حاسة الشم فان مركزه منطقة محدودة من الغشاء المخاطي المبطن، وبه عدة خلايا شمية طويلة، رقيقة تنقل الأثر إلى المخ وذلك في جزء من الأنف، وهو المدخل الرئيسي للجهاز التنفسي الذي يتوقف عليه حية الإنسان.

وفي الإنسان الجهاز العظمي المتكون من «٢٠٦» عظما ويتصل بعضها ببعض المفاصل، وهذه العظام مصنع الحياة في الجسم فإنها تكون الكريات الدموية الحمراء والبيضاء، ومن عجيب أمرها إنها في كل دقيقة من حياة الإنسان يموت منها ما لا يقل عن مائة وثلاثين مليونا بسبب دفاعها عن الجسم ضد الميكروبات الوافدة، ومضافا إلى ما تصنعه العظام من كريات الدم فإنها مخزن تحفظ للجسم ما يزيد عن حاجته من الغذاء سواء أكان في داخل العظام نفسها كالمواد الدهنية والزلالية أو على العظام نفسها كالمواد الجيرية.

إلى غير ذلك مما في الإنسان من الأجهزة الدقيقة كالجهاز العصبي والجهاز التناسلي والجهاز اللمفاوي، والجهاز العضلي، وهي منظمة تنظيما مذهلا.

هل وجدت هذه الأجهزة على سبيل المصادفة أو التخبط العشوائي؟؟

ومن العوالم الدقيقة المذهلة في هذا الإنسان خزائن النفس، وايحاآتها وتفاعلها وانفعالها ففيها العناصر المتضادة، والصفات المتقابلة من النور والظلام، والرحمة والقسوة، والحلم والغضب وغيرها، يقول العلامة السماوي:

فيك يا نفس كما في الكون نور وظلام
أنت حرب وسلام وهو حرب وسلام
كلما ساد نظام فيك يندك نظام
أو ليست وحدة العقل اقتضت ما
ليس يدري
لك كالشمس على الكون طلوع وأفول
أنت نفس الكون إن صح اتحاد وحلول
أشرقت فيك عقول مثلما ضلت عقول
وعلى قارعه الشك جثا من
ليس يدري

أصحيح إن هذه العوالم المنطوية على عالم النفس قد أوجدتها الطبيعة الخرساء أو أنها وجدت صدفة، حقا إن من يؤمن بذلك لا يملك أي رصيد من النور والفكر، ومن المؤسف انه قد سرى ضباب الإلحاد إلى كثير من نفوس الناشئة المسلمة فأترعت نفوسهم بالشكوك والأوهام نتيجة الجهل، وفقدان التربية الواعية فغزتهم الأفكار الماركسية وغيرها، من التي تقوم على الإيمان المطلق بالمادة، وإنكار الله واعتباره خرافة ووهما من أوهام الرجعية.

إن الإطار العقائدي الذي تبنته الماركسية ما هو إلا مهزلة من مهازل الفكر البشري، ووهم من الأوهام الرخيصة، وهو لا يلبث أن يتلاشى أمام المنطق والدليل ولا يؤمن به إلا المنحرفون الذين يفقدون الأصالة في الشخصية، والتوازن في السلوك والتفكير.

وعلى أي حال فان الشيوعية تصر على معتقدها من إنكار الخالق العظيم، وقد فسرت كل حقيقة بتفسير مادي جدلي، وتمت كل شيء إلى المادة، وعلى هذا الأساس اللاعلمي وضعت مناهجها التعليمية «وفي الحياة الإنسانية برمتها وفي مفاصلها المختلفة» [1].

التفسير الأحول والمنطق الخاطئ

إن الشيوعية تنظر للحياة بعين واحدة هي المادة، لأنها تنكر الروح وكل ما يمت إليها بصلة، وصولا إلى نكران الخالق العظيم، ولذلك جاءت تفسيراتها لمواضيع الحياة ومفاهيمها الرئيسية ناقصة وخاطئة لأنها تمحورت على المادة والعامل الاقتصادي علما بان هذين العاملين - وكما أثبتته التجربة الحياتية والمسيرة التاريخية الطويلة للبشرية - أنهما لا يشكلان سوى عاملين من العوامل المتعددة والكثيرة التي تساهم بصورة مجتمعة في تقدم وتطور الحياة الإنسانية

---

(١) انظر النظام التربوي في الإسلام.

وارتقائها نحو الاستقرار والتوازن والكمال والازدهار، لا هما وحدهما فقط كما يزعم الماديون وان المادة التي يقولون بقدمها وخلودها وعدم خلقها، قد أبطلها العلم القديم و الحديث. «وقد اثبت المؤتمر الفلسفي الذي عقد في روسيا احتياج المادة إلى العلة الموجدة، وان أي ممكن في الكون لا بد له من علة فاعلة تهبه الحياة والبقاء» [1].

ومن هذه التفسيرات الناقصة والخاطئة واللاعلمية والمخالفة لمنطق العقل نذكر ما يلي:

١ - إن الرياضيات عندهم تنمي طريقة التفكير الجدلي في نفوس التلاميذ وقد وجهوا بحوثها إلى الخواص والقوانين الأساسية للمادة، كما إن العالم المادي يشكل صورة موضوعية مستقلة عن الإدراك، وان مادة الطبيعة هي التي تمد الظواهر المعقدة مثل الطاقة الذرية، وان المادة والطاقة خالدتان، كما إن الطاقة يمكن تحويلها إلى طاقة أخرى، ونتيجة لذلك، إن المادة الطبيعية لها دلالة كبيرة في تكوين النظرة الجدلية.[2].

وكما قلنا قبل قليل إن المادة ليست قديمة وخالدة وغير مخلوقة، وإنما هي معلولة وتحتاج إلى علة كما اثبت المؤتمر الفلسفي الذي عقد في روسيا ذلك، وكذلك هي مادة صماء وغير عاقله وتحتاج على علة فاعلة وعاقلة وحكيمة تهبها البقاء وتجعل فيها قابلية التحول من حالة إلى أخرى وفقا للحكمة والمصلحة في هذه الحياة، ولما كانت المادة فقيرة إلى غيرها فكيف تستطيع وهي غير ا لعاقلة إن تمد الظواهر المعقدة، أو يكون لها دلالة كبيرة في تكوين النظرة المادية الجدلية، وكما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه؟!

٢- وأما بالنسبة للتاريخ فأنهم يعدونه المادة الكبرى لغرس الأفكار والمبادئ الشيوعية، ويعتبرونه سلاحا قويا للتربية الشيوعية، ويمدهم بالإجابات العلمية عن

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ص١٢٩.

(٢) دراسات مقارنة للمناهج، ص٤٤.

الاتجاه الذي يسير فيه التطور البشري، ويمدهم أيضاً بالوسائل التي تسهل مولد المجتمع الجديد وفي فهم الحقائق وكشف الصراع بين الطبقات، وغير ذلك.

يقول كاريوف: أن التاريخ يعد سلاحا قويا للتربية الشيوعية فهو يمدنا بإجابات علمية عن الأتجاه الذي يسير فيه التطور البشري، كما يمدنا بالوسائل التي يمكن للإنسانية المتطورة أن تستعجل بها، وتسهل مولد المجتمع الجديد، ويزود التأريخ التلاميذ بفهم الحقائق الأساسية في المجتمع الإنساني ، كما يكشف عن الصراع بين الطبقات،ولتاريخ جمهوريات الاتحاد السوفيتي أهمية خاصة لأنه يساعد التلاميذ على فهم أعمال الثورة الاشتراكية، التي لا يمكن تقديرها بثمن، كما يساعدهم على تقدير حرب البطولات التي خاضها إباؤهم واجدا داهم في سبيل حريتهم، ويعلمهم المحافظة بعناية على النصر الذي أتت به الثورة وينمي فيهم الرغبة لتوجيه كل قواهم لتحقيق ما بذله آباؤهم من جهة في بناء المجتمع الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، كما يربي فيهم الولاء بمصالح الطبقات الكادحة، وعدم التوافق مع كل القوى الرجعية[1] .

ولينظر القارئ الكريم: أين هو الاتحاد السوفيتي الآن ؟ وأين التطور الديالكتيكي الذي قالوا به وروجوا له بأنه حتم؟ أي لا بد من أن تتطور الرأسمالية إلى الاشتراكية وتتطور الاشتراكية إلى الشيوعية وتتطور الشيوعية إلى الفوضوية وتتطور الفوضوية إلى.... الله اعلم ماذا يقولون ربما إيجاد جنة الفردوس في الأرض أوجنة عدن.

ولكن عندما ننظر إلى الاتحاد السوفيتي السابق، بدلا من أن يتطور كما قالوا نراه قد تراجع إلى الرأسمالية، والديمقراطية،والاقتصاد الحر، والملكيات الشخصية، والتجارة الخاصة. نتيجة للفشل الفكري والتخلف الاقتصادي وخاصة في زراعة الحبوب مما اضطرهم إلى الاستيراد من المجتمع الرأسمالي بدلا من التصدير له، بسبب فشل النظام الزراعي الشيوعي.

---

(١) دراسات مقارنة للمناهج، ص٤٥-٤٦.

ونتيجة لهذا الفشل الذريع الذي منيت به الشيوعية فكرا وعقيدة ونهجا ونظاما فقد هبت شعوب جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق مطالبة الانسلاخ عن روسيا. وقد انسلخت فعلا وانضمت إلى المجتمع الرأسمالي النقيض لهم وأصبحت أعضاء في الحلف الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

كم صرفوا من الأموال؟ وكم بذلوا من الجهود والإعلام والدعاية والكتب والمنشورات في ترويج أفكارهم واثبات صحتها ومصداقيتها؟ وكم راح من البشر ضحية لأفكارهم وسياساتهم في العالم؟ كثير جدا «لقد قتل لينين عشرين مليون نسمة عندما أراد تطبيق المزارع الجماعية والقانون الزراعي» [1].

ولكن مع كل هذه التضحيات وهذه الجهود وهذا الإعلام المعسول والمزور لم تصمد الشيوعية أمام الحق والحقيقة والواقع الإنساني، وقد فشلت فشلا ذريعاً وقد قبرت في عقر دارها وتخلى عنها أهلها وكفر بها حماتها وتبرأ منها قادتها والدعاة إليها، وعاد الكثيرون منهم إلى الإيمان بالله الخالق العظيم، وبقيم الروح والدين.

الدين الذي اعتبروه مخدرا للشعوب كما جاء ذلك على لسان فيورباخ احد زعمائهم ولكنهم رأوا بأم أعينهم كيف إن الدين فجر الطاقات وشحذ الهمم، وقوى العزائم، ووحد الصفوف والكلمة وحرر الإنسان في إيران وداس بالأقدام على حكومة الأقزام بهلوي ومن لف لفه وحطم اعتى قوة عميلة في المنطقة عندما توفر القائد المؤمن المخلص الإمام الخميني تغمده.

---

(١) انظر الحزب الشيوعي في الميزان، ص٤- ١٩.

أما تفسير التأريخ فان عوامله عندهم ترجع إلى الشؤون الاقتصادية، فقد نظر ماركس إلى التأريخ وحاول معرفة القوى التي شكلته وصاغته في الصورة المعينة التي عرف بها وقد انتهى إلى تفسيره بالتفسير المادي أو الاقتصادي، وقد حمل وجهة نظره على أن جميع سير التأريخ وبواعثه ترجع إلى العوامل الاقتصادية.

إن المادة عند ماركس هي المحرك الرئيسي للتأريخ، والعامل المهيمن على تطوره، وعن طريق المادة تتحد العوامل الأخرى، فإنها ليست مستقلة في تكوينها، وشكلها بل تتأثر في وجودها وفي صورها بالظروف المادية المتصلة بطرق الإنتاج، وبعلاقات التبادل التي تنشأ بين طبقات المجتمع.

وعلى العكس ذلك ذهب هيجل فانه يرى إن عالم الواقع المادي وما يجري فيه من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ليست إلا انعكاسات مادية للفكر المجرد أنتجها الفكر وأوجدها العقل.

إن الأشياء المادية تشكل – في نظر هيجل- بحسب تأثير الفكر عليها ولكن ماركس قد أصر على فكرته وجعل التطور الديالكتيكي يسير تبعا لتأثير المادة أو تبعا لفن الإنتاج ووسائله، بينما يرى هيجل إن الفكر هو أساس التطور، وهو الذي يشكل عالم الواقع.

ويقول ماركس: إن الأوضاع القانونية والاجتماعية والسياسية والفنية والفلسفية، وسائر المناحي الفكرية لا يمكن أن تفهم بذاتها لأنها تحدد وتتشكل وفقا لتأثير العوامل المادية أو الاقتصادية عليها فالأوضاع الاقتصادية هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله جميع الأوضاع العامة، ويتساءل ماركس ما هي الظاهرة المادية التي تتطور دائما، وتدير التاريخ الإنساني؟

ويجيب على ذلك فيقول: ليست هي البيئة الجغرافية التي لا تتغير وليست هي كثافة السكان وإنما الأساس في ذلك هو تطور وسائل الإنتاج فالعوامل الاقتصادية هي التي تعمل على تطوير المجتمع الإنساني، فان الإنسان ينفق معظم وقته في العمل لكي ينتج غذاءه، ويصنع كساءه ويبني مسكنه، وهي في عمله يستعين بأدوات خاصة، وكلما تطورات هذه الأدوات تعدلت العلاقات الجارية بين الناس، ويترتب عليها اختلاف العلاقات الاجتماعية وتباين الأيدولوجيات، وتتحكم في كل ذلك العوامل الاقتصادية.

وعلى هذا الأساس يتطور التأريخ فالطاحونة التي تدار باليد تزودنا بالمجتمع الإقطاعي ، والطاحونة التي تدار بالبخار تزودنا بمجتمع صناعي رأسمالي.

إن جميع الإحداث التاريخية تفسر بتفسير مادي عند الشيوعيين يقول انجلز: «إن القوى الاجتماعية الفعالة تعمل دائما كالقوى الطبيعية على غير هدى بقوة مدمرة طالما كنا لا نفهمها، ولا نقدرها ولكن حالما نفهمها، وندرك فعلها واتجاهها وآثارها فانه يتوقف علينا وحدنا إخضاعها، وبواسطتها نتوصل إلى أغراضنا. فإذا ما فهمت طبيعتها يمكن أن تتحول في أيدي المنتجين الذين يعلمون من سادة مردة إلى خدم طيعين» [1].

لقد آمنوا أن المادة هي التي تفسر أحداث التأريخ وتوضح سير الأجيال، وتولد الشكل الاجتماعي ، الذي يطبع العلاقات بين الأفراد في الجماعة، يقول ماركس: «انه لا يجب البحث عن مفتاح التأريخ في أدمغة الناس وأرائهم وأفكارهم بل في علاقات الإنتاج والقوانين الاقتصادية الموضوعية التي تعمل مستقلة عن إرادة الناس... إن المنطق الذي تستعين به الماركسية في البحث عن هذه الظاهرة، وفي الاستدلال عليها، إنما هو منطق مذهبي وليس منطقا منهجيا، فانه لم يعتمد على الدراسات العلمية المستندة إلى الإحصاء الدقيق والمقارنات السليمة، فقد اخضع التأريخ إلى العامل الاقتصادي وحده من دون أن يكون هناك أي اثر

---

(١) الدستور السوفيتي، ص٣٢.

للضمير الإنساني والوعي الفكري أو العائلي أو العاطفي، وسائر النزعات الأخرى، ومن الطبيعي إن لهذه العوامل الأثر الفعال في تطور المجتمعات الإنسانية وتقدمها، فقد انبرى المصلحون إلى إصلاح الأوضاع العامة وتطوير وسائل الحياة ولم يكونوا مدفوعين بأي دافع اقتصادي أو مادي» .

لقد ساهم الكثيرون من المصلحين في بناء الحضارة الإنسانية فأقاموا المثل العليا، وفتحوا الآفاق الكريمة لشعوبهم، ولم يحفزهم إلى ذلك أي جانب مادي، و إنما كانوا مدفوعين بدافع الإصلاح وحب الخير العام.[1].

٣- وأما الأدب فان الشيوعيين لم يعنوا به ولم يحفلوا بقيمه سوى الذي يشيد بالنظم الماركسية والعوامل الاقتصادية، أو الأدب الذي يهاجم النظم الرأسمالية، فان ذلك عندهم المستوى الأعلى للشعور الفياض الذي يبلغ به الأديب القمة، ومن كان أدبه يتصف بضعف الأسلوب وهزال الفكر فسبب ذلك يعود إلى العامل الاقتصادي، لأنه يعتبر العامل الأهم والقاعدة الأساسية للأدب وسائر الفنون الأخرى.

ولكن في الحقيقة التي لا تقبل الريب ولا يعتريها الخطأ، انه لا واقعية لذلك لان مسالة الأدب مسألة وجدانية، نابعة من أحاسيس الإنسان وشعوره، وما يحيط به من مؤثرات لا تمت أكثرها بصلة إلى العوامل الاقتصادية، وعليه فان مسألة الأدب غير خاضعة للعامل الاقتصادي وإدعاءاتهم ومزاعمهم بهذا الخصوص تعتبر باطلة وغير حقيقية البتة، وان الواقع الوجداني والأدبي يشهد على ذلك ويؤيده، ويصدقه.

ومما لا ريب فيه إننا عندما نقرأ قصيدة في ألرثاء أو الشعر العاطفي الحزين تهتز له أوتار نفوسنا، ويبعث في أعماقنا الأسى والحزن والألم، وعندما نسمع شاعرا يصف الطبيعة والمناظر الكونية، لشاهدنا الروعة والبلاغة والصور الجميلة التي تطرب النفس وتهز المشاعر فرحا وسرورا وإعجابا، وأما الشعر الحماسي إذا

---

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ص١١٢-١١٤.

قرأ على الجنود والمقاتلين أيام المحنة وجهاد الأعداء دفاعا عن العرض والشرف والدين فحدث ولا حرج فانه يبعث الهمم التي تقلع الجبال، ويفجر الإحساس والعواطف التي تدفع بالمجاهد بالوقوع على الموت بكل رضى وغير مبالاة مطلقا.

أقول: فهل كان ذلك جميعه مبعثه العوامل المادية والاقتصادية؟ إن من يقول بذلك لم يفهم الواقع الأدبي القائم على العواطف والإحساس والمشاعر المجردة في اغلب الأحيان من المؤثرات المادية والاقتصادية.

استنتاج

يظهر لنا مما تقدم بصورة جلية وشفافة لا تقبل الشك، إن التفسيرات الشيوعية لمفاهيم الحياة الإنسانية ومواضيعها الحساسة التي تشكل القاعدة الأساسية في سلم التحول والارتقاء نحو الحالة الأفضل والكمال الإنساني المنشود – ومن هذه المفاهيم والمواضيع الدين والسي اسة والاقتصاد والاجتماع، و الأخلاق والاعتقاد، والأدب والتاريخ والثقافة والتغيير والتطوير إلى غير ذلك من مسميات – هي تفسيرات مذهبية وليست علمية تصب في خدمة المبدأ الشيوعي وتتلاءم مع العقيدة الإلحادية الناكرة لكل الصيغ الدينية والروحية والتهذيبية والحقائق المعنوية – وتخدم أيضاً كل ألوان التفكير المادي والمناهج المنبثقة عنه والمرتبطة جميعها بالعامل الاقتصادي ووسائل الإنتاج والمادة الممكنة والمعلولة والفانية.

وقد أثبت العلم والواقع الإنساني والعقل السليم والمنطق الحكيم ، إن تفسيراتهم هذه عرجاء ومبتورة وغير صحيحة البتة، بل تناقض العلم وتجافي الواقع، وتخالف المنطق الحق، والعقل السليم.

وان هذه الأفكار المادية والعقائد الإلحادية ، قد أكل عليها الدهر وشرب ، وكلما ظهرت في فترة من فترات الزمن أو عصر من عصور التاريخ لحاجة في نفس يعقوب، أو لمصلحة آنية وأطماع شخصية أو بتأثير سياسة إجرامية كالسياسة الأموية والسياسة الاستعمارية أو نتيجة للتوجهات التحريفية والطرق التشكيكية في القيم الإلهية والشرائع السماوية والحقائق الروحية والمعنوية، ولكنها سرعان ما تظهر وتبرز على السطح، وسرعان ما تطفو وتختفي بسبب الفشل الذريع والخسارة الفادحة التي تمنى بها فهي في واد والإنسانية في واد آخر لغرابة أفكارها ونفور الواقع والطبيعة البشرية من مناهجها وعقيدتها.

ولان الفطرة البشرية «فطرة الله التي فطر الناس عليها» مجبولة على الإيمان بالله الخالق العظيم، والعمل بمقتضى شرعه القويم وما يتفرع عنه من قيم روحية وتهذيبية ومعنوية لتآلفها مع الواقع الإنساني وملائمتها للطبيعة البشرية، والعقلية السوية والسلوك المتوازن، والكمال المطلوب.

وكما هو معلوم ومعروف ، ويقره العلم والمنطق الحق، إن الإنسان ثنائي التكوين فهو روح ومادة، فأي مبدأ يعالج المادة ويهمل الروح أو يشبع الروح ويهمل المادة في توجهاته، ورؤاه وأفكاره وتطلعاته نحو المستقبل ومناهجه في الحياة، هو مبدأ غير واقعي إطلاقا ولا يلبي حاجة الإنسان ولا يشبع كل رغباته ولا يمنحه التوازن والاستقرار والكمال في حياته مطلقا.

إذن فهو محكوم عليه بالفشل والخسران والهزيمة من الواقع والاندثار، وهذا ما حصل فعلا وكما يقول التاريخ ذلك ويقره بالنسبة للدهريين والزنادقة والملحدين، والملحدين الجدد في تاريخنا المعاصر.

وعليه ينبغي على كل عاقل وواع ومثقف ومستوعب لمفردات التاريخ وتجارب الإنسان ومنطق الحقيقة أن يعي الحقيقة كاملة ويلجأ إلى منطق الحكمة، والعقل، ويلتزم الحق ويعمل به «الحق من ربك فلا تكن من الممترين» [1] أي الشاكين. وقال تعالى: «قد افلح من تزكى» [2] أي فاز من تطهر من الكفر «وذكر اسم ربه فصلى» [3].

اجل عليه أن يعرف الحق ويؤمن به ويجسده على واقع حياته ليفلح ويتطهر من الشرك والكفر وعبادة الأصنام البشرية والمادية وان ينأى بنفسه عن هذه الترهات والأفكار السقيمة والمبادئ المريضة التي لا تسمن ولا تغني من جوع وان يتوجه بعقله وفكره وروحه وكله إلى الله سبحانه «هو ربكم وإليه ترجعون»[4].

«اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها واستغفروه ثم توبوا إليه أن ربي قريب مجيب» [5].

نعم إن الله وحده لا شريك له هو الرب ولا يوجد رب سواه، وهو الواهب للحياة والمفيض للنعم، ويرزق بغير حساب، ولا يكون الرجوع إلا إليه سبحانه، ولا تطلب التوبة إلا منه، ولا يقبلها إلا هو، فهو القريب منا والمجيب لنا والغافر لذنوبنا «وإذا قضى امراً فإنما يقول له كن فيكون» [6] و «فأينما تولوا وجوهم فثم وجه الله إن الله واسع عليم»[7]، وهو الهادي لكل خير وهدى «إن هدى الله هو الهدى. . . ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون» [8].

---

(١) آل عمران / آية ٦٠.
(٢) سورة الأعلى/ آية ١٤.
(٣) سورة الأعلى / آية ١٥.
(٤) هود/ آية ٣٤.
(٥) هود/ آية ٦١.
(٦) البقرة / ١١٧.
(٧) البقرة / ١١٥.
(٨) البقرة / ١٢٠.

ما جنته البشرية من سياسات المبادئ الوضعية

لقد جنت البشرية أثناء مسيرتها التاريخية الطويلة جراء السياسة الضالة والمنحرفة والظالمة والمجافية لمنطق الدين والحق والعدل، والمنبثقة من وحي و أفكار المبادئ الوضعية، و الكوارث والآلام والغصص، والخراب و الدمار والخسائر الفادحة، في النفوس والأموال والقيم والأخلاق والمباني. ولا يسع المجال لذكر كل هذه الخسائر ولكن نشير إجمالا ومن دون تفصيل إلى ذكر بعضها المعاصر وفي النفوس البشرية فقط، ليطلع القارئ الكريم على مدى إجرامية وعدم إنسانية المبادئ الوضعية وعلى مدى استهانتها بحرية وكرامة الإنسان ودينه وقيمه وأفكاره. وليعرف الفرق بينها وبين السياسة الإسلامية الرشيدة التي حفظت للإنسان كرامته وقيمته الإنسانية «ولقد كرمنا بني آدم» ومنحته الحرية الكافية في اختيار نمط الحياة والمعتقد «لا إكراه في الدين» ، وحرمت إيذاء الناس بالقول وافعل ولو بشطر كلمة، وآخت بين بني البشر «إن لم يكن أخ لك في الدين فهو أخ لك في الإنسانية» «ونظير لك في الخلق: ما أروعها من سياسة وما أكملها من شريعة وما أسهلها وأسمحها جاءت تتمم مكارم الأخلاق.. قال الرسول ﷺ: «إنما بعثت لا تمم مكارم الأخلاق» واليك بعضا من هذه الخسائر البشرية في تأريخنا المعاصر نذكر منها ما يلي:

١- البريطانيون قتلوا في الهند – في قصة حرب الأفيون- حوالي عشرين مليون إنسان[١].

٢- البريطانيون قتلوا في الهند أيضاً – أيام المطالبة بالحرية والخروج من نير الاستعمار- ثمانمائة ألف إنسان في صورة مجاعة اصطناعية[٢].

---

(١) نهرو في كتابه «لمحات من تأريخ العالم» .

(٢) غاندي في كتابه «هذا مذهبي» .

٣- من الجنايات العظيمة التي ارتكبها لينين[١] الأرقام التالية:

أ- لينين قائد المسيرة الشيوعية السياسية أراد تطبيق نظام المزارع الجماعية، فلم يخضعوا له الفلاحون والعمال، فأحدث إرهابا عاما في البلاد، ومجاعة مصطنعة غريبة عام «١٩٢١- ١٩٢٢م» والتي راح ضحيتها أكثر من خمسة عشر مليون إنسان[٢]

ب- عاود لينين الكرة على العمال والفلاحين في إرغام الشعب على النظام الشيوعي عام «١٩٢٨- ١٩٣٠م» فكافح الشعب وكانت النتيجة ما يلي:

«عملت منظمة الجيبو الإرهابية الشيوعية اللينينية في الناس ضربا وقتلا ونفيا وامتلأت السجون حتى بلغت الضحايا باعتراف التقارير الرسمية للحزب الشيوعي مائة ألف قتيل» [٣].

ج- وبعد مضي سنتين ، وفي عام «١٩٣٢- ١٩٣٣م» بالضبط شن لينين نفسه الغارة على الشعب المسكين لتطبيق القانون الزراعي مهما كلف الأمر، وكانت النهاية كما يلي:

«ضحايا تقدر بخمسة ملايين إنسان باعتراف الدوائر الرسمية الشيوعية»[٤].

وعند ذلك وضع لينين أسس «الكلوخوزات» أي نظام المزارع الجماعية الاشتراكية وبعد هذه القسوة كلها يقف لينين ليعلن الدكتاتورية لكل طبقة ثورية لتأمين نجاحها لا يعرف شيئا من تاريخ الثورة أو لا يريد أن يعرف شيئا في هذا الحقل[٥].

٤ - في الحرب العالمية الثانية راح ضحية الحكم والسيطرة فيها قرابة سبعين مليون إنسان بين قتيل وجريح ومعدوم ومعاق.

---

(١) فلاديمر لينين «١٨٧٠ - ١٩٢٤م» زعيم الثورة الروسية ومؤسس الحزب الشيوعي في روسيا السوفياتية، حكم بالظلم والجور والاستبداد.

(٢) الحزب الشيوعي في الميزان : ص٤-١٩.

(٣) الحزب الشيوعي في الميزان : ص٤-١٩.

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) نفس المصدر السابق.

٥- الاستعمار الفرنسي قتل في الجزائر - في حرب التحرير- أكثر من مليون من البشر.

٦- في الحرب الفيتنامية قتل الأمريكيون من قيادة واحدة لـ«جياب» قرابة نصف مليون من إنسان.

٧- في الحرب التي شنها الشيوعيون الروس- الاتحاد السوفيتي السابق على الأفغان والتي استمرت ما يقارب العقدين من الزمن راح ضحيتها مئات الآلاف من البشر ومئات الآلاف من الجرحى والمعوقين والمشردين.

أضف إلى ذلك، ما يصاحب هذه الحروب والسياسات الظالمة من آثار غاية في الخطورة والعذاب والقسوة، كالأوبئة الاجتماعية والإمراض النفسية، والتشوهات الجسدية والحروق والعوق، وانتشار الجريمة والرذيلة والشذوذ والانحراف والتمزق الأسري والاجتماعي، والمجاعة والبؤس والشقاء والحرمان وانعدام فرص التعليم والتربية والتهذيب والتثقيف، والخدمات الإنسانية، وظهور التفسخ والتحلل والانسلاخ من الدين والقيم الروحية والفضائل، وبروز الظواهر الخطيرة كظاهرة الإرهاب والحقد البغيض على الإنسانية والمدنية. وظاهرة الأفيون والمتاجرة بالمخدرات بين الشعوب والأمم وظاهرة الاختطاف وقطع الطرق وذبح البشر، وتفجير الطائرات بمن فيها، وهدم البيوت على ساكنيها. وتلويث البيئة، وتسميم المياه... وإلى غير ذلك من ظواهر تؤذي الإنسانية، وتعقد حياتها، وتهدم كيانها وتمزق أوصالها وتحطم عرى علاقاتها وروابطها الإنسانية.

وبهذا ينتهي بنا الحديث المجمل عن المبادئ المادية والأنظمة الوضعية والقوانين أو التشريعات الأرضية التي تهمل الكثير والمهم بل والمقدس من جوانب الحياة الإنسانية ولقد تبين من خلال هذا العرض الموجز للإطار العام في ظل الأنظمة الرأسمالية والماركسية والعلمانية أنها قد عنت بصورة خاصة في العلوم الصناعية التي طورت الحياة بصورة مذهلة لم يحلم بها الإنسان في جميع ادوار تأريخه ومسيرة حياته ولكنها ويا للأسف الشديد قد ا هملت الشريعة السماوية،

والجوانب الروحية، والحقائق المعنوية، والقيم الخلقية ، وسلطت معول الهدم عليها وعلى جميع القيم الإنسانية التي يمتاز بها هذا الإنسان، فلم يعد هناك ظل للرحمة ولا للتعاون بين أفراد المجتمع، وفقد الإنسان كثيرا من الأواصر الاجتماعية، والروابط الإنسانية، والمثل العليا والقيم الأصيلة التي لها العلاقة المباشرة،والأثر البالغ في توازنه وسلوكه واستقراره.

وعلى أي حال فان المناهج الحياتية والمخططات الثقافية والتربوية والفكرية والمادية في المبادئ الوضعية، والأنظمة الرأسمالية والشيوعية إنما تعنى بالدرجة الأساس إلى انسلاخ الناس وخاصة الشباب من الدين وقيمه الروحية والتهذيبية وأجهزته التنظيمية في الحياة الإنسانية وعلى الصعيدين الفردي والاجتماعي والابتعاد مهما أمكن عن الحقائق المعنوية والقيم الأخلاقية الأصيلة، والانخراط في الأحزاب والتجمعات اللادينية والتشبع بالثقافات والأفكار والمناهج المستوردة والغريبة، والمخالفة لثقافتنا الأصيلة وديننا الإسلامي العظيم، دين محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

لذا يجب على المسلمين الاعتصام بالله الخالق العظيم «... ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم» [1] والتحصن والاعتصام بالإسلام و أفكاره وقيمه وثقافته وأحكامه «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» [2] «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون»[3]،والصبغة: فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي: الدين» [4].

---

(١) آل عمران / آية ١٠١.
(٢) آل عمران / آية ١٠٣.
(٣) البقرة / آية ١٣٨.
(٤) توضيح القرآن الكريم.

الفصل الثالث

الحتم في النتيجة

ومما لا ريب فيه ، إن الاعتصام بالإسلام وأفكاره وثقافته، والتحصن بقيمه وتشريعاته وحدوده، هو توجه حضاري ، وعمل تقدمي، لان الإسلام يدعو إلى التقدم ويواكبه ، ويهدف إلى إيجاد الحضارة وازدهارها، ويحث على الأخلاق السامية وينعشها ويتمم مكارمها، إضافة إلى انه يقرأ التطور ويماشيه، ويسعى إلى التوازن وتحقيق الكمال والاستقرار في الحياة الإنسانية والسعادة في الدارين.

والإسلام هو مبدأ الهي كامل متكامل، جعله الله تبارك وتعالى منسجما مع فطرة الإنسان وغرائزه وتطلعاته في الحياة، وقادرا على تنظيم حياته، وتحقيق ما يصبوا إليه من أهداف، وما يأمل من غايات، وما يرغب من أمال ورغبات، لان الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان جعل له ما يصلحه ويلائمه من عقيدة ونظام مرنين يتطوران حسبما يتطور عقله وفكره، وتطور بيئته ومستلزمات حياته وعلومه.

ومن هنا جاء التطور والتعدد في الرسالات السماوية، لكي يتحقق التناسب والتلاؤم بين التشريع من جهة والتقدم العقلي والتطور العلمي والبيئي من جهة أخرى، لذا فان الرسالة الإلهية الجديدة تكون أكثر سعة وكمالا من التي سبقتها لأنها تتناسب مع الدرجة التطورية الجديدة التي وصل إليها عقل وحياة الإنسان، وهكذا حتى وصل الحال إلى ديننا الإسلامي الخاتم، فهو وحده فقط يصلح لما وصل إليه العقل البشري من تقدم وتطور، وما وصلت إليه الحياة الإنسانية من ارتقاء واتساع.

وعليه فان الإسلام هو الدين الوحيد الذي يجب على البشر إن يتمسكوا به، ويعملوا بأحكامه وأجهزته ومناهجه في الحياة، عملا بمقتضيات الحكمة والمصلحة والضرورة والتطور الذي تشهده البشرية ألان وفي هذه الفترة الحاسمة من تاريخ

الإنسانية والحساسة لكي يتحقق الصلاح والتوازن والكمال، والأمن والمحبة والسلام للإنسانية جمعاء على حد سواء ومن دون تمييز وتفضيل.

وما هذه المشاكل الإنسانية المؤلمة والمعقدة والكوارث البشرية التي تقض المضاجع وتعصر القلوب ألما، وما هذا الاضطراب وعدم الاستقرار والتوازن والجنوح نحو الشر والحرب والجريمة ، الذي تعيشه البشرية ألان إلا نتيجة حتمية للابتعاد عن الإسلام الحقيقي الواقعي ،إسلام محمد ﷺو علي عليه السلام وأئمة الهدى المعصومين عليهم السلام ومن تبعهم بإحسان وعدم تجسيده على ارض الواقع وعدم تطبيقه في الحياة الإنسانية.

لأنه وكما هو معلوم عند الجميع إن المخترع والمهندس البارع عندما يصنع جهازا كهربائيا يوفر خدمة للإنسان نراه يرسم خارطة ومساقط هندسية لذلك الجهاز ويدون ملاحظاته المهمة الخاصة به والتي تتضمن كيفية الاستعمال وشروط الإدامة والمحافظة عليه من العطب والتلف أو التوقف عن العمل والاشتغال، لكي يؤدي وظيفته وعمله بطريقه جيدة، وبصورة فاعلة ومرضية تحقق الغرض المطلوب، وفي نفس الوقت بعيدة عن الضرر والخطورة والعطب وهذا ما يسمى بلوحة الإرشادات والضمان أو الكتلوك المرافق للجهاز دائما عند البيع والشراء وإضافة إلى صنع وتوفير قطع الغيار والمواد الاحتياطية الخاصة بالجهاز ضمانا لاستمرارية العمل والخدمة المطلوبة.

هذا مهندس أو مخترع يفكر ويعمل هكذا من اجل استمرارية عمل الجهاز وإدامته وتوفير الخدمة المطلوبة منه ولكي يبقى سالما وصالحا للاستعمال ، فكيف بخالق الإنسان؟ هل يخلقه ويتركه يتخبط في حياته؟ وهو الحكيم العادل واللطيف الخبير؟؟

الحكمة واللطف الإلهي

اجل قد خلق الله الإنسان ولم يتركه سدى ولم يخلقه عبثا يتصرف ويعمل كيفما يشاء أو يحلو له، وإنما أوجده لحكمة ومصلحة، لقد جاء في الحديث القدسي: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف» وبعد أن خلقه سبحانه زوده بعنصري العقل والإرادة والحواس وعناصر القوة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحق ويميزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحا له ومحققا لأغراضه وأهدافه وبالحواس يكتسب العلوم والمعارف «والله أخرجكم من بطونا أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون»[1]، وبالقوة يقاوم الظروف الطبيعية والعدوانية يكد ويكدح ويستغل الأرض ويستعمرها ويستخرج الموارد ويستثمرها، وبالجميع يكون الإنسان مؤهلاً لخلافة الله في الأرض، قال تعالى«إني جاعل في الأرض خليفة...»[2] وهيأ له كل مستلزمات الحياة وجعل كل ثروات الكون في خدمته لذا قال تعالى: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا» فأصبح الإنسان بذلك مسئولا أمام الله الذي هداه إلى الحق «قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع امن لا يهدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون»[3].

فالله تعالى هو مصدر الهداية،و هاديته هي الهداية الحقيقية وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحق القويم، وبذلك أصبح الإنسان

---

(١) سورة النحل/ آية ٧٨.
(٢) سورة البقرة / آية ٣٠.
(٣) سورة يونس / الآية ٣٥.

خاضعا لرقابة الله في كل تصرفاته وأعماله وسلوكه قال تعالى: «ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون»[1].

واهم الأعمال للإنسان قبل كل شيء أن يستسلم لله تعالى ويحكم قانون الله في الأرض ويعبده العبادة الحقيقية، ولا تتحقق العبادة الحقيقية من دون معرفة بالله سبحانه لأنه المعرفة والعبادة طريق منحصر وهدف وغاية يوصل إلى قمة الكمال، قال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»[2] عبادة حقيقية ولكن كيف يستطيع أن يعبد الله عبادة حقيقية ويطبق ما يريده الله تعالى منه مع وجود عقله وسائر أدوات المعرفة والقوة والإرادة؟ طبعا لا يستطيع إلا بوجود الهادي.

ولكي يضمن له سلامة البصيرة والرؤية ويكون على هدى ووضوح من أمره، كي تتم عليه الحجة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفر لديه كل الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة أو طريق الشر والشقاء بملئ إرادته، اقتضب سنة الهداية الإلهية أن يسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الرباني ويسدد من خلال الهداة «الأنبياء والرسل، والأوصياء عليهم السلام والأئمة المعصومين» عليهم السلام الذين اختارهم الله تبارك وتعالى لتولي مسؤولية هداية العباد، وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الإرشادات والتوجيهات اللازمة لكل مرافق الحياة ومناحيها المختلفة.

وهكذا تولى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديون مهمة الهداية بجميع مراتبها وإبلاغ الرسالة الإلهية إلى البشرية ولمن أرسلوا إليه، وهم عليهم السلام المعصومون عن الخطأ والانحراف والمنزهون عن العيوب قال تعالى: «كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب

---

(١) سورة يونس/الآية ١٤.
(٢) سورة الذاريات / آية ٥٦.

ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» [1] وتحملوا مسؤولياتهم كاملة في التزكية والتربية والتعليم والتهذيب من اجل تحقيق أهداف رسالاتهم الإلهية وتطبيق قوانينها في الحياة، وتثبيت القيم الأخلاقية والحقائق المعنوية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وتحملوا في سبيل أداء المهام الرسالية كل صعب، وقدموا في سبيل تحقيق أهدف الرسالات الإلهية كل غال ونفيس، وبذلوا كل ما يمكن أن يبذله الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم ينكصوا لحظة، ولم يتلكئوا طرفة عين ولم تأخذهم في ذلك لومه لائم، أو صعوبات ومشاكل.

وهكذا تحمل الهداة عليهم السلام عبء الرسالة والهداية والتطبيق والإرشاد والتوجيه حتى توج الله عز وجل جهودهم وجهادهم المستمر على مدى العصور وكر الدهور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ تلك الرسالة الشاملة الكاملة المتكاملة التي تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء والمصونة من الزيغ والانحراف والمتضمنة لكل الحلول التي يحتاج لها الإنسان لمشاكله والصعوبات التي تواجهه في مسيرة حياته والمحققة لكل الأهداف الإنسانية العظيمة، والغايات النبيلة.

وقد استطاع ﷺ تنفيذ وتجسيد الأطروحة الربانية ، وتطبيق قوانين الدين الإسلامي الحنيف على مساحة كبيرة من الأرض من خلال تأسيس كيان سياسي يتولى شؤون الأمة على أساس الرسالة الربانية للإنسانية جمعاء، وقد تمكن ﷺ من تحقيق ذلك نتيجة لما يتمتع به ﷺ من قيادة حكيمة ، وشجاعة فائقة وصمود كبير، ومعرفة تامة بنفوس الناس وطبقات المجتمع، وبالتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، بالإضافة إلى كفاءته العلمية لإدارة الدولة الدينية العالمية.

---

(١) سورة البقرة / آية ٢١٣.

هذا فضلا عن العصمة التي يتمتع بها ﷺ والتي تعبر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيرة القيادة وانقياد الأمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها.

ولكي تتحقق أهداف الرسالة الإسلامية بشكل كامل وتام كان من الضروري جدا أن تستمر القيادة المعصومة والمنزهة من العيوب والكفوءة علميا وإداريا وقياديا وسياسيا في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي المنحرفين والعابثين والحاقدين الذين يتربصون بها الدوائر هذا أولا. وثانيا يجب أن تستمر عملية التربية الصحيحة على مدى الأيام والسنين وتعاقب الأجيال واستمرارهم على يد مرب ناجح وكفوء علميا ونفسيا وتربويا وتهذيبيا بحيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك، وأسوة يتأسى به أبناء الأمة الإنسانية كالرسول محمد ﷺ يستوعب الرسالة الإلهية ويجسدها في كل حركاته وسكناته وتصرفاته.

ومن هنا كان الأمر الإلهي والتخطيط الرباني يوجب على الرسول ﷺ ويحتم عليه أن يبين للأمة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام ويصرح بأسمائهم في كل فرصة ومناسبة ويوضح أدوارهم طبعا بعد أعدادهم وتربيتهم وتعليمهم الواحد من الأخر أي إن عليا عليه السلام يتعلم من الرسول ﷺ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام نفسه : «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب» وقد قال رسول الله ﷺ : «علي وارث علمي وحكمتي» [1]. وقال ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها» [2].

وبعد ذلك الإمام علي عليه السلام يعلم الحسن والحسين عليهما السلام والحسين يعلم ولده علي زين العابدين عليه السلام وهكذا إلى الإمام الحجة المنتظر المهدي محمد بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف وأنار الأرض بعدله ودولته.

---

(١) راجع خصائص الأئمة ، ص٧٥ قطعة من الأخبار المروية في إيجاب ولاء أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الفصول المختارة ، ص٢٢٠ و ٢٢٤.

لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة والهداية الإلهية الخالدة بأمر من الله سبحانه، وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله تعالى لها الخلود والبقاء والحفظ من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين،وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي قاموا عليهم السلام بتبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مر العصور والسنين وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلى هذا التخطيط الرباني والنص والإلهي في ما نص عليه الرسول الأكرم ﷺ بقوله: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

وكان أئمة أهل البيت أئمة الحق والهدى صلوات الله عليهم أجمعين خير من عرفهم النبي الأكرم ﷺ بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده وتوجيهها الوجهة الإسلامية الصحيحة لان سيرتهم عليهم السلام تمثل المسيرة الواقعية للإسلام وحركته الأصيلة بعد عصر الرسول ﷺ فهم امتداد طبيعي للرسول والرسالة. وقد اخذوا على عاتقهم توعية الأمة وتحريك طاقاتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشريعة ولحركة الرسول ﷺ وثورته المباركة غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة والأمة جمعاء.

وقد تبلورت حياة أئمة الهدى وأهل بيت العصمة عليهم السلام في مواصلتهم في المسير على الدرب الذي خطه رسول الله ﷺ وفي ا استمرارهم على نهجه ﷺ وقد انفتحت الأمة الإسلامية عليهم وتفاعلت معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة ا لطريق للسالكين المقتدين بهم، والمؤمنين بقيادتهم، والحاذين حذوهم فكانوا عليهم السلام هم الإدلاء على الله ومرضاته، والعباد المخلصين والمستقرين في أمره،والذائبين في محبته والشوق إليه، والسابقين إلى تسلق قمم المجد التليد والكمال الإنساني المنشود.

ولقد ضربوا سلام الله عليهم أجمعين أعلى الأمثلة وأروع صور البطولة والصمود والجهاد والصبر والتحمل من اجل طاعة الله سبحانه وتنفيذ أحكامه

حتى كلفهم ذلك حياتهم الشريفة اختاروا طريق الشهادة بعز وشرف وخلدوا في ذاكرة التاريخ والمجد والإيمان والبطولة والفداء من اجل المبدأ والعقيدة وسجلوا بأحرف من نور، وظلوا يتعطر بشذاهم الدهر والعصور والأجيال والتاريخ، وفازوا بلقاء الله سبحانه.

يظهر مما تقدم إن الله سبحانه وتعالى له الحجة البالغة على الإنسان ,قل فلله الحجة البالغة» ولم يبق سبحانه للإنسان أي حجة له عليه قال تعالى: « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما »[1].

وان الله تبارك وتعالى يريد للإنسان الخير والتقدم والحياة المزدهرة الحرة الكريمة، التي ينظمها نظام شامل كامل متكامل يصلح في كل مكان وزمان وتسودها عقيدة إلهية واقعية وأخلاقية نابعة من صميم الفطرة تلبي حاجة النفس والروح الإنسانية وتعالج الأمراض الاجتماعية والنفسية والفكرية.

وان هذا النظام الكامل وتلك العقيدة الواقعية يأخذان بيد الإنسان نحو الكمال والتطور الارتقاء والاستمرار في حياة موزونة متكاملة ومستقرة، بعيدة عن كل شبح مؤذ وفعل منكر، إلا أن الإنسان أبى إلا أن ينحرف ويعمل برأيه أو برأي الآخرين أو بما يوحي إليه الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، فحصد ما زرع، ولو رجع إلى الله وإسلامه لسعد واستبشر، وافلح في دنياه وآخرته.

---

(١) سورة النساء / آية ١٦٥.

إن للدين دورا مهما في الحياة الإنسانية وتقدمها وتطورها وحل جميع مشاكلها والأخذ بيدها إلى تحقيق أهدافها الكبرى وغاياتها السامية والوصول بها إلى شاطئ ألامان والسلام والكمال المنشود، والسعادة المطلوبة والمرجوة.

لأن الدين هو الإطار الوحيد الذي يمكن للمسألة الاجتماعية والإنسانية أن تجدا ضمنه الحلول الصحيحة والناجعة، وذلك إن هذه الحلول تتوقف على التوفيق بين الدوافع الذاتية للإنسان والمصالح الاجتماعية والإنسانية العامة، وهذا التوفيق هو الذي يستطيع أن يقدمه الدين للإنسانية جمعاء.

لأن الدين يزود الإنسان بالفضائل الإنسانية والإيثار ونكران الذات وهو الطاقة الروحية ا لتي تستطيع أن تعوض الإنسان عن رغباته الآنية ولذاته المؤقتة التي يتركها في حياته المحدودة أملا في النعيم الدائم، وان تلك الطاقة التي فجرها الدين في الإنسان ، وتلك الفضائل التي زودها له، تستطيعان أن تدفعه إلى التضحية بوجوده لاعتقادهم الجازم وإيمانه القاطع بان وجوده المحدود هذا و المتمثل ببقائه في الدنيا والذي يضحي به ليس إلا تمهيدا لوجود خالد وحياة دائمة.

وتستطيعان أيضاً أن تخلقا في تفكيره نظرة جديدة تجاه مصالحه، ومفهوما عن الربح والخسارة أفضل وارفع عن مفاهيمها التجارية المادية، فالجد والعناء وعدم الراحة الذي يبذله الإنسان في سبيل الآخرين المحتاجين لذلك هو الطريق إلى اللذة والراحة النفسية، وان الخسارة التي يمنى بها الفرد أحيانا لحساب المجتمع الذي يعيش فيه هي في الحقيقة سبيل للربح وحماية مصالح الناس تعني ضمنا حماية مصالح الفرد في حياة أسمى وارفع وهكذا ترتبط المصالح الاجتماعية العامة والإنسانية بمفهومها الواسع بالدوافع الذاتية للإنسان بوصفها مصالح للفرد في حسابه الديني وبعبارة أخرى يشعر الإنسان انه كلما تتحقق مصالح الإنسانية، تتحقق مصالح الفرد أيضاً في آن واحد.

وهذا هو شعور فياض وعظيم جدا يخلقه الدين في النفس الإنسانية، ولم يستطع أي مبدأ مادي أو نظام علماني أن يخلق مثل هذا الشعور في نفوس البشر لان حساباتهم في المفاهيم التجارية والأمور الحياتية قائمة على مفهوم الربح والخسارة المادي فقط، لأنهم ينكرون الآثار الكبيرة المترتبة على الطاقة الروحية في الحياة الإنسانية.

وفي القرآن الكريم نجد التأكيدات الرائعة على هذا المعنى موجودة في كل مكان وهي تهدف فبمجموعها في تكوين تلك النظرة الإنسانية الجديدة عند الإنسان عن مصالحه وأرباحه، ومصالح المجتمع الإنساني وأرباحه، فالقرآن ينطق دوما وأبداً: «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون ولكن لا تشعرون »[1]

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين »[2]

«يومئذٍ يصدرُ الناسُ أشتاتاً ليروا أعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»[3] «. . . وما ينفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وانتم لا تظلمون»[4] «ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب »[5]

---

(١) البقرة / آية ١٥٤.
(٢) آل عمران/ آية ١٦٩- ١٧١.
(٣) الزلزلة/ آية ٦- ٨ .
(٤) الأنفال/ آية ٦٠ .
(٥)غافر / الآية ٤٠.

هذه صور رائعة وجميلة يقدمها الدين في نصوص القرآن الكريم ليربط بين الدوافع الذاتية وسبل الخير في الحياة ويطور من مصلحة الفرد تطويرا يجعله يؤمن بان مصالحه الخاصة والمصالح الحقيقية العامة للإنسانية التي يحددها الإسلام مترابطتان.

فالدين إذن هو المفتاح الحقيقي وصاحب الدور الأساس في حل المشاكل الاجتماعية والمسائل الإنسانية عن طريق تجنيد الدوافع الذاتية لحساب المصالح العامة، التي تهدف الأمة والإنسانية جمعاء لتحقيقها على ارض الواقع وفي دنيا الوجود لتنعم بثمارها وآلائها على مدى مسيرتها الحياتية عبر التاريخ والعصور نحو المدنية والتطور والكمال والازدهار.

يقول المفكر الإسلامي الكبير آية الله السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ما نصه:

(...وبهذا نعرف أن الدين حاجة فطرية للإنسانية، لأن الفطرة ما دامت هي أساس الدوافع الذاتية التي تبعث منها المشكلة فلا بد أن تكون قد جهزت بإمكانات لحل المشكلة أيضاً، لئلا يشذ الإنسان عن سائر الكائنات التي زودت فطرتها جميعا بالإمكانات التي تسوق كل كائن إلى كماله الخاص. وليست تلك الإمكانات التي تملكها الفطرة الإنسانية لحل المشكلة إلا غريزة التدين والاستعداد الطبيعي لربط الحياة بالدين وصوغها في إطارها العام).

فللفطرة الإنسانية إذن جانبان: فهي من ناحية تملي على الإنسان دوافعه الذاتية، التي تنبع منها المشكلة الاجتماعية الكبرى في حياة الإنسان (مشكلة التناقض بين تلك الدوافع والمصالح الحقيقية العامة للمجتمع الإنساني) وهي من ناحية أخرى نزود الإنسان بإمكانية حل المشكلة عن طريق الميل الطبيعي للتدين، وتحكيم الدين في الحياة بالشكل الذي يوفق بين المصالح العامة والدوافع الذاتية. وبهذا أتمت الفطرة وظيفتها في هداية الإنسان إلى كماله، فلو بقيت تثير المشكلة ولا تموت الطبيعة الإنسانية بحلها، لكان معنى هذا أن الكائن الإنساني يبقى قيد

المشكلة، عاجزا عن حلها، مسوقا بحكم فطرته إلى شرورها ومضاعفاتها وهذا ما قرره الإسلام بكل وضوح في قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[1]

فان هذه الآية الكريمة تقرر:

أولا: إن الدين من شؤون الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها جميعا/ ولا تبديل لخلق الله.

وثانيا: إن هذا الدين الذي فطرت الإنسانية عليه ليس هو إلا الدين الحنيف، أي دين التوحيد الخالص، لأن دين التوحيد هو وحده الذي يمكن أن يؤدي وظيفة الدين الكبرى، ويوجه البشرية على مقياس عملي وتنظيم اجتماعي، تحفظ فيه المصالح الاجتماعية. وأما أديان الشرك أو الأرباب المتفرقة على حد تعبير القرآن فهي في الحقيقة نتيجة للمشكلة فلا يمكن أن تكون علاجا لها، لأنها كما قال يوسف عليه السلام لصاحبي السجن :« ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم، ما انزل الله بها من سلطان » يعني بذلك أنها وليدة الدوافع الذاتية، التي أملت على الناس أديان الشرك طبقا لمصالحهم الشخصية المختلفة، لتصرف بذلك ميلهم الطبيعي إلى الدين الحنيف تصريفا غير طبيعي، وتحول بينهم وبين الاستجابة الصحيحة لميلهم الديني الأصيل.

وثالثا: إن الدين الحنيف الذي فطرت الإنسانية عليه يتميز بكونه دينا قيما على الحياة (ذلك الدين القيم)، قادرا على التحكم فيها وصياغتها في إطاره العام، وأما الدين الذي لا يتولى إمامه الحياة وتوجيهها، فهو لا يستطيع أن يستجيب استجابة كاملة للحاجة الفطرية في الإنسان، إلى الدين، ولا يمكنه أن يعالج المشكلة الأساسية في حياة الإنسان.

---

(١) الروم/ آية ٣٠

ونخلص من ذلك إلى عدة مفاهيم للإسلام عن الدين والحياة.

فالمشكلة الأساسية في حياة الإنسان نابعة من الفطرة.

لأنها مشكلة الدوافع الذاتية في اختلافاتها وتناقضاتها مع المصالح العامة والفطرة في نفس الوقت تمُون الإنسانية بالعلاج.

وليس هذا العلاج إلا الدين الحنيف القيم، لأنه وحده القادر على التوفيق بين الدوافع الذاتية وتوحيد مصالحها ومقاييسها العملية.

فلا بد للحياة الاجتماعية إذن من دين حنيف قيم.

ولا بد للتنظيم الاجتماعي في مختلف شعب الحياة أن يوضع في إطار ذلك الدين، القادر على التجاوب مع الفطرة ومعالجة المشكلة الأساسية في حياة الإنسان.[1]

وعلى هذا الأساس وبناءا على هذا الضوء، نقطع ونقول بيقين ثابت وإيمان راسخ، وتجربة بشرية صادقة، ومنطق قرآني صريح يؤكد ويقر بذلك؛ إن الدين الإسلامي الحنيف القيم هو وحده القادر على إشباع الفطرة الإنسانية والتجاوب معها وتطمين حاجاتها والتفاعل معها بايجابية متناهية ، وهو القادر أيضاً ولوحده فقط في حل جميع المشاكل الإنسانية، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والروحية والأخلاقية وله القدرة العالية والإمكانية العظيمة في حل جميع مشاكل الإنسانية المستجدة التي تعترض المسيرة الحياتية للبشرية أثناء سيرها نحو التكامل والارتقاء في جميع شعب الحياة.

باعتباره (أي الدين) التنظيم الاجتماعي والإنساني الكامل والمتكامل والشامل للحياة. قال الإمام الصادق عليه السلام : (ما من واقعة تقع إلا ولله فيها حكم حتى ارش الخدش) ومثل هذا الدين هو الذي يصلح حياتنا المعاصرة كما أصلحها من قبل.

---

(١) اقتصادنا للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره).

يقول برنارد شو الفيلسوف الأوروبي: (لو إن رجلا كمحمد استولى على دكتاتورية العالم لحل جميع مشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية)، وينقل عنه انه عندما رأى القنابل تتساقط على المدن الأوروبية أثناء الحرب العالمية الثانية قال مقولته الشهيرة: (ما أحوجنا إلى محمد).

أجل ما أحوج البشرية إلى الرسول الأكرم محمد ﷺ وما أحوجها الآن وفي هذه الظروف العصيبة وهذه الفترة الحاسمة من تاريخ البشرية إلى الإسلام وحلوله الناجعة. ولا غرو في ذلك لأن القرآن ما زال يصرح وبشفافية تامة ووضوح كامل: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»[1].

نعم فالرسول ﷺ رحمة، وعترته الطاهرة رحمة والإسلام رحمة لكل الناس، وللعالمين جميعا. وما على البشرية جمعاء إلا أن تلفظ مبادئ الجهل والشيطان والمادة والنفس الأمارة بالسوء وتقبل بروحها وقلبها وكل جوارحها على الله سبحانه تعالى وعلى دينه الخاتم، الإسلام الحنيف القيم، دين الحق والواقع، دين الفطرة والخلق الرفيع، دين الكمال والتقدم والرقي، دين المحبة والتسامح والرفاه والحياة وتعمل على تحكيمه في الأرض لكي تهنأ في حياتها، وتتكامل في مسيرتها وتسعد في مستقبلها وتفتح عليها بركات السماء والأرض ولتأكل من فوقها ومن تحت أرجلها. وما ذلك على الله بعزيز قال تعالى«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »[2] وفي آية شريفة أخرى . « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم. . . . »[3] وقال تعالى:« وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقا »[4] وقال تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء/ آية ١٠٧.
(٢) الأعراف/ آية ٩٦.
(٣) المائدة/ آية ٦٦.
(٤) الجن/ آية ١٩.

«إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءا بما كانوا يعملون »[1].

وعلى ضوء ما تتضمنه هذه الآيات الشريفة من معان سامية، ومفاهيم واسعة ونعم غزيرة، وخيرات جزيلة، شريطة الإيمان بالله العظيم والتقوى من كل إثم كبير وخطر جسيم والاستقامة على دين الله القويم، وصراطه المستقيم، ونهجه الحق ومنهاجه العدل وأفكاره السوية، الحكيمة والواقعية. ينبغي على الأفراد والجماعات إن كانت تعي وتعقل وتدرك ما لها وما عليها، وان المستقبل الزاهر منوط ومرتبط بالعمل الصالح، وان الدنيا حياة فانية وان الآخرة حياة باقية وان الإنسان مهما كبر واستعلى أو ضعف واستغنى فمصيره الموت والانتقال إلى الله الحاكم العادل للحساب والجزاء، فإما الثواب وأما العقاب فينبغي عليه إن كان فردا أو جماعة أن يختاروا طريق الله، طريق النجاة والسعادة والنعيم الأبدي، وتجسيده على النفس وارض الواقع، وتحكيمه في الحياة.

وهذا هو الطريق الصحيح والنهج السوي، والتوجه السليم في الحياة.

وأما إذا ركب الإنسان رأسه وقاده الغرور والعجب، واستحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله، وابتعد عن شرع الله الحكيم، وقانونه العادل، ودينه الحق وصراطه المستقيم، وأصبح ممن يقول عنهم القرآن الكريم: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون»[2]

---

(١) الأحقاف/ آية ١٣-١٤.
(٢) الجاثية/ آية ٢٣-٢٤.

فمثل هذا الإنسان الذي اتخذ إلهه هواه، واتبع طريق الضلال، وختم على قلبه وسمعه، وجعلت الغشاوة على بصره وبصيرته، ولم يدرك الحق ولن يبصر الحقيقة ويظن انه خلق للدنيا فقط وما يهلكه إلا الدهر ولم يحكم الدين الحنيف القيم على سلوكه، وفي حياته، ويلجأ إلى العمل بمقتضى أنظمة وضعية ومبادئ أرضية وعقائد منحرفة ويطبق ما توحيه إليه من أفكار وآراء وسلوك، لابد وان تستنسخ أعماله المجافية للحق، والدين القيم «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون»[1] وبعد ذلك يوضع مع جمع الكافرين والمستكبرين والمجرمين « وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين»[2] . قطعا إن مصير هؤلاء المبطلين هو الخسران المبين «...ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون»[3] فيدخلون جهنم والعذاب الأليم «...اليوم تجزون ما كنتم تعملون».[4] وهذا محقق حتما وليس فيه أدنى ريب، قال تعالى: « ..إن وعد الله حقٌ والساعة لا ريب فيها»[5]

فالكيس والعاقل والواعي هو الذي يبرئ ذمته وينجي نفسه، ويكون مع المتقين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لكي يدخل في رحمة الله الواسعة ويظفر بالفوز المبين وجنات النعيم قال تعالى« فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين »[6]

---

(١) الجاثية/ آية ٢٩.
(٢) الجاثية/ آية ٣١.
(٣) الجاثية/ آية ٢٧.
(٤) الجاثية / آية ٢٨.
(٥) الجاثية/ آية ٣٢.
(٦) الجاثية/ آية ٣٠.

وقال عز من قائل: « إن المتقين في جنات ونعيم. فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم. كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون. متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين »[1].

هذا منطق القرآن، هذا منطق الحق، هذا منطق الواقع هذا منطق الحكمة، فاختره إن كنت حكيما عاقلا تحب الحق والواقع وتبغض الباطل والزخرف وتكره الجمود والجهل، ولا تكن من الذين قال عنهم القرآن الحكيم): « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين»[2]

عاقبة المفسدين

مما لا شك أن الجحود قسم من أقسام الكفر، ووجه من وجوهه، ونتيجة الفساد والإفساد والظلم والتيه والاستكبار، وسوء العاقبة والنار، لأن الجاحد هو ناكر لوجود الله سبحانه، ومكذب بآياته وبراهينه، فعاقبته سيئة لا محالة في الدنيا والآخرة، حيث في الدنيا التخبط العشوائي واللااستقرار وعدم الكمال والراحة، وفي الآخرة اشد العقاب واليم العذاب.

وأحيانا يتسارع الهلاك للجاحدين في الدنيا كما حصل لفرعون مصر وقومه حينما جاءهم موسى عليه السلام «. . . في تسع آيات إلى فرعون وقومه أنهم كانوا قوما فاسقين. فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين. وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين»[3] اجل إن عاقبتهم الغرق عاجلا والنار آجلا.

---

(١) الطور/ آية ١٧-٢٠.
(٢) النمل/ آية ١٤.
(٣) النمل/ آية ١٢-١٤.

لذا يأمرنا القرآن الكريم بالنظر في هذه العاقبة السيئة والمؤلمة جدا والتدبر فيها لاستخلاص النتائج والعبر والدروس.

والجحود له وجهان، في الكافي عن الزبيري عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: اخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل، قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول: لا رب ولا جنة ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدهرية وهم الذين يقولون وما يهلكنا إلا الدهر، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم ولا تحقيق لشيء مما كفروا « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»، يعني بتوحيد الله فهذا احد وجوه الكفر.

وأما الوجه الأخر فهو الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم انه حق قد استقر عنده، وقد قال الله عز وجل: « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » وقال الله عز وجل: « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين»، فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله سبحانه يحكي سليمان: « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم اكفر ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن يكفر فان الله غني كريم»، وقال «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد» وقال: « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون» .

والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به وهو قول عز وجل: «وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من

ديـاركم ثـم أقـررتم وانـتم تـشهدون ثـم انـتم هـؤلاء تقتلـون أنفـسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» فكفرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: «وما جزاء ما يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون»

والوجه الخامس للكفر كفر البراءة، وذلك قول الله عز وجل يحكي قول إبراهيم (وكفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده، يعني تبرانا منكم، وقال، (يذكر إبليس وتبريه من أوليائه من الإنس يوم القيامة) «إني كفرت بما أشركتمون من قبل» وقال: «إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) يعني يتبرأ من بعض»[1]

اجل إن الجاحد لله سبحانه وتعالى وهو يعلم انه حق قد استقر عنده، وان الذي يترك ما أمر الله به ويطيع الشيطان أو يتخذ من دون الله ودينه أوثانا وأنظمة ومعتقدات ومبادئ، لا ينال في الحياة الدنيا إلا الخزي والخذلان الكبير، وفي الحياة الآخرة يرد إلى اشد العذاب وأقسى العقوبة «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا»[2].

نعم يتمنى الإنسان في ذلك اليوم العصيب أن يكون بينه وبين ما عمله من سوء وفساد واعتقاد باطل وفكر منحرف أمدا بعيدا لأن العذاب شديد والعقاب

---

(١) الكافي.
(٢) آل عمران/ آية ٣.

قاس، والإنسان ضعيف. قال تعالى: « من يعمل سوءا يجز به ولا يجد من دون الله وليا ولا نصيرا »[1].

فالإنسان كلما تمادى في غيه، وتنكر لله وجحده، وعمل برأيه وبوحي مبادئه الوضعية وما يتفرع عنها من أفكار ومناهج منحرفة عن جادة الحق والصواب، كان ذلك سببا في أخذه بالنقمة وعقابه بإعماله، لأن حكم العمل يظهر في الكون ويعود إلى عامله، قال تعالى: « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »[2] ومن هنا يظهر جليا أن لأعمال الإنسان أحكاما حيث إنها محفوظة ومكتوبة ومتجسمة وان بينها وبين الحوادث الخارجية ارتباطا قال تعالى: « ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين »[3] وقال تعالى: « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »[4].

حقا إن الإنسان في غفلة قاتله لتعلقه بالدنيا وركونه إليها وابتعاده عن الله سبحانه وتعالى وعن تشريعاته الحكيمة ودينه الحق وصراطه المستقيم.

يقول السيد الطباطبائي (قدس سره) في تفسير الميزان: (....وعليه فالخطاب عام متوجه إلى كل إنسان، إلا أن التوبيخ والتقريع اللائح في سياق الآية ربما استدعى اختصاص الخطاب بمنكري المعاد...والإشارة بقوله (هذا) إلى ما يشاهده يومئذ ويعاينه من تقطع الأسباب وبوار الأشياء ورجوع الكل إلى الله الواحد القهار، وقد كان تعلق الإنسان في الدنيا بالأسباب الظاهرية وركونه إليها أغفله عن ذلك حتى أذا كشف الله عنه حجاب الغفلة فبدت له حقيقة الأمر

---

(١) النساء/ آية ١٢٣.
(٢) العنكبوت/ آية ٤٠.
(٣) يس/ آية ١٢.
(٤) ق/ آية ٢٢.

فشاهد ذلك مشاهدة عيان لا علما فكريا... (فبصرك) وهو البصيرة وعين القلب و (حديد) أي نافذ يبصر ما لم يكن يبصره في الدنيا...وان ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجود مهيأ له وهو في الدنيا غير انه في غفلة منه، وخاصة يوم القيامة انكشاف الغطاء ومعاينة ما وراءه)[1] .

أحكام الأعمال

لقد قلنا أن لأعمال الإنسان أحكاما حيث أنها محفوظة ومكتوبة ومتجسمة وان بينها وبين الحوادث الخارجية ارتباطا. وعليه فمن المناسب ملاحظة بعض هذه الأحكام وبيان الآثار الوضعية المترتبة على أعمال الإنسان حتى يطلع بعض الناس عليها تحقيقا للفائدة، وخصوصا الذين انخرطوا في سلك الأفكار المادية والأحزاب والتجمعات العلمانية والأنظمة الوضعية، وحكموها على واقع حياتهم اليومية وأعطوا لأنفسهم المبررات في الانسلاخ عن الدين وقيمه الروحية والابتعاد عن فضائله المعنوية ومثله العليا، والانغماس في الشهوات والرغبات الجنسية، والتحلل من الآداب العامة والقيود الاجتماعية بحجة التقدم والمدنية.

ومن الحقيقة بمكان إن هناك سننا إلهية تجري في هذا الكون وهي ثابتة ولا تتغير ومن هذه السنن: « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. . » [2]

(لأن سنته جرت أن لا يغير ما بقوم من الأحوال حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحالات الروحية كأن يغيروا الشكر إلى الكفر والطاعة إلى المعصية والإيمان إلى الشرك فيغير الله النعمة إلى النقمة والهداية إلى الظلال والسعادة إلى الشقاء وهكذا)[3]

---

(١) انظر تفسير الميزان ج١٨ ص٣٥٠ بتصرف .
(٢) الرعد/آية ١١.
(٣) الميزان/ ج١١.

أي أن هناك حتمية إلهية تقتضي وجود تلازم بين النعم الموهوبة من عند الله سبحانه إلى الإنسان وبين الحالات النفسية الراجعة إلى الإنسان نفسه. فلو استقام على الفطرة التي فطر الناس عليها وآمن بالله تعالى وعمل صالحا وحكم نظام الله على ارض الواقع لأعقبه نعيم الدنيا وثواب الآخرة وسعادتها. وتبقى هذه الحالة ثابتة ما دام الإنسان باقيا بكل نفسه وجوارحه على طاعة الله تعالى وتحكيم نظامه في الحياة وأما إذا غير حاله النفسي نحو العصيان والإنكار وعدم الطاعة لله تعالى ولم يطبق شريعة الله في الأرض واتخذ غيرها شريعة ومنهاجا له في حياته غير الله سبحانه حاله بتغيير النعم نقما والسعادة شقاء وربما هلاكا سريعا. قال تعالى: « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فآخذناهم بما كانوا يكسبون»[1] و قال تعالى: « ذلك بان الله لم يكُ مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[2].

وعلى هذا الأساس تكون نتيجة الانحراف النفسي والأخلاقي للإنسان في هذه الحياة هي أخذه بالسنين والمثلات وأنواع النكال والنقمة لعله يرجع إلى الصلاح والسداد، قال تعالى: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون»[3].

لذا أمرنا ربنا الكريم -ومن باب اللطف والرحمة بنا- أن لا نطيع أمر المسرفين قال تعالى :« ولا تطيعوا أمر الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون»[4]

---

(١) الأعراف/ آية ٩٦.
(٢) الأنفال/ آية ٥٣.
(٣) الروم/ آية ٤١.
(٤) الشعراء/ ١٥١-١٥٢.

قال صاحب تفسير الأمثل في تفسير هاتين الآيتين : نعرف أن الإسراف هو التجاوز عن حد قانون التكوين وقانون التشريع..وواضح أيضاً أن أي تجاوز عن الحد موجب للفساد والاختلال. وبتعبير آخر: إن مصدر الفساد هو الإسراف ونتيجة الإسراف هي الفساد أيضاً.

يقول العلامة الطباطبائي (قدس سره) في الميزان : (إن الكون على ما بين أجزائه من التضاد والتزاحم مؤلف تأليفا خاصا يتلاءم معه أجزاؤه بعضها مع بعض في النتائج والآثار، فالكون يسير بالنظام الجاري فيه إلى غايات صالحة مقصودة، وهو بين أجزائه من الارتباط يخط لكل من أجزائه سبيلا خاصا يسير فيها بإعمال خاصة من غير أن يميل عن حاق وسطها إلى يمين أو يسار أو ينحرف بإفراط أو تفريط فان الميل والانحراف إفساد للنظام المرسوم ويتبعه إفساد غايته وغاية الكل...ومن الضروري أن خروج بعض الأجزاء عن خطة المخطوط له ولغيره يستعقب منازعة بقية الأجزاء له فان استطاعت أن تقيمه وترده إلى وسط الاعتدال فهو وإلا أفنته وعفت آثاره حفظا لصلاح الكون واستبقاء لقوامه والإنسان الذي هو احد أجزاء الكون غير مستثنى من هذه الكلية. فان جرى على ما يهديه إليه الفطرة فاز بالسعادة المقدرة له وان تعدى حدود فطرته وافسد في الأرض آخذه الله سبحانه بالسنين والمثلات وأنواع النكال والنقمة لعله يرجع إلى الصلاح والسداد قال تعالى: «ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون». «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهن بعض الذين عملوا لعلهم يرجعون» «الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون». «فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون».

وان أقاموا مع ذلك على الفساد – لرسوخه في نفوسهم- أخذهم الله بعذاب الاستئصال وطهر الأرض من قذارة فسادهم...

وتوجد سنة أخرى من سنن الله الثابتة تتضمنها الآية القرآنية الشريفة الآتية: «وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجونك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا»[1]

قال صاحب الأمثل في تفسير هذه الآية: فهؤلاء سيبادون بسرعة بسبب ذنبهم العظيم في إخراج القائد الكفوء – الذي تذهب نفسه حسرات على العباد- من البلد إذ يعتبر ذلك أوضح مداليل كفران النعمة، ومثل هؤلاء القوم لا يستحقون الحياة ويستحقون العذاب الإلهي.

إن هذا الأمر لا يخص مشركي العرب وحسب بل هو (سنة من قد أرسلنا قبلكم من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) وهذه السنة تنبع من منطق واضح حيث إن هؤلاء القوم لا يشكرون النعم ويحطمون مصباح هدايتهم ومنبع النور إليهم بأيديهم. إن مثل هؤلاء القوام لا يستحقون رحمة الخالق وان العقاب سيشملهم ونعلم هنا أن الله تبارك وتعالى لا يفرق بين عباده وبذلك فان الأعمال المتشابهة في الظروف المتشابهة لها عقاب متشابه وهذا هو معنى عدم اختلاف سنن الخالق جل وعلا.

إن السنن الإلهية هي عكس السنن والقوانين التي يضعها البشر حيث تقتضي مصالحهم في يوم أن تكون هناك سنة أو قانون معين وفي يوم آخر تنقلب هذه السنة أو القانون إلى عكسه تماما. ونعرف هنا إن اختلاف السنن والقوانين البشرية إما أن يعود إلى عدم وضوح الأمور والتي عادة تتوضح بمرور الزمن، وتنكشف للإنسان اشتباهاته وأخطاؤه أو أن السبب في ذلك يعود إلى مقتضيات المصالح الخاصة وشروط الحياة التي تتحول وتتغير في كل وقت ولما كانت هذه

---

(١) الإسراء/ آية ٧٦.

الأمور لا تؤثر على الإرادة الإلهية فان ما يصدر عن الحكمة الإلهية من سنن تكون ثابتة في جميع الحالات والشرائط.[1]

وعليه فان الحوادث الكونية تتبع الأعمال التي تصدر من البشر فان كانت صالحة كانت النتائج مرضية والعاقبة حسنة وان كانت الأعمال سيئة - والعياذ بالله- كانت النتائج والعواقب سيئة أيضاً ومهلكة وممحقة.

فقد روي عن النبي ﷺ انه قال: إذا غضب الله على امة ثم لم ينزل بها العذاب غلت أسعارها وقصرت أعمارها ولم تربح تجارها ولم تزك ثمارها ولم تغزر أنهارها وحبس الله عنها أمطارها وسلط عليها أشرارها. [2]

وعنه ﷺ قال: اليمين الفاجرة تخرب الديار وتقصر الأعمار.[3]

وروي: إن الزنا يسود الوجه ويورث الفقر ويبتر العمر ويقطع الرزق ويذهب بالبهاء ويقرب السخط وصاحبه مخذول ومشئوم[4].

قال ابن خشيش: قال أبو الفضل: إن المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة عليها السلام فسال رجلا من الناس عن ذلك فقال له: قد وجب عليه القتل إلا انه من قتل أباه لم يطل له عمر، قال ما أبالي إذا أطعت الله بقتله إلا يطول لي عمر، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر.[5]

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام لرسول الله ﷺ: يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟ قال ﷺ يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة، ست منها في الدنيا، وثلاث عند موته وثلاث في قبره وثلاث يوم القيامة إذا خرج من قبره، فأما التي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه ويمحو الله سيماء الصالحين من

---

(١) تفسر الأمثل ج٩ ص٨٢-٨٣.

(٢) وسائل الشيعة ٨-١٣، ج٢.

(٣) مستدرك الوسائل ١٦: ٣٩، ج١٣.

(٤) مستدرك الوسائل، ١٤: ٣٣، ج١١.

(٥) آمالي الطوسي، ٣٢٨، بحار الأنوار ٤٥: ٣٩٦.

وجهه، وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه ولا يرفع دعاؤه إلى السماء والسادسة: ليس له حظ في دعاء الصالحين...[1]

عن أبي حمزة عن أبي جعفر قال: وجدنا في كتاب رسول الله ﷺ إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة وإذا طفف الميزان والمكيال أخذهم الله بالسنين والنقص وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلها وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم.[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذنوب التي تغير النعم البغي، والذنوب التي تورث الندم القتل، والتي تنزل النقم الظلم، والتي تهتك الستور شرب الخمر، والتي تحبس الرزق الزنا، والتي تعجل الفناء قطيعة الرحم، والتي ترد الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين.[3]

قال تعالى: «فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين»[4].

قال صاحب الميزان في تفسير هذه الآية: (الرجفة هي الاضطراب والاهتزاز الشديد كما في زلزلة الأرض وتلاطم البحر، والجثوم في الإنسان والطير كالبروك في البعير. وقد ذكر الله هنا في سبب هلاكهم أنهم أخذتهم الرجفة وقال في موضع أخر: «واخذ الذين ظلموا الصيحة»[5] وقال في موضع أخر:

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٢٤ ح١.
(٢) وسائل الشيعة ١٦ : ١١٨، ح٤.
(٣) معاني الأخبار ٢٩٦ ح١، الاختصاص: ٢٣٨.
(٤) العنكبوت/ آية ٣٧.
(٥) هود/ آية ٦٧.

,فأخذتهم صاعقة العذاب الهون»[1] والصواعق السماوية لا تخلو عن صيحة هائلة تقارنها ولا ينفك ذلك غالبا عن رجفة الأرض هي نتيجة الاهتزاز الجوي الشديد إلى الأرض وتوجف من جهة أخرى القلوب وترتعد الأركان.

فالظاهر إن عذابهم إنما كان بصاعقة سماوية اقترنت صيحة هائلة ورجفة في الأرض أو في قلوبهم فأصبحوا في دارهم أي في بلدهم جاثمين ساقطين على وجوههم وركبهم)

هكذا ينتقم الله تعالى من الذين لا يؤمنون به ولا يتبعون شريعته السماوية ولا يحكمون نظامه العادل في الأرض ولا على واقع حياتهم الفردية وإنما يلجئون إلى التكذيب والكفران بالنعم الإلهية وإتباع غير الله في أنظمتهم ومعتقداتهم وسلوكهم.

قال تعالى: «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون»[2]

قال صاحب الأمثل في تفسير هاتين الآيتين الشريفتين: تبحث هاتان الآيتان في قضية ثمود ومصيرهم حيث تقول: إن الله قد بعث الرسل والأنبياء لهم مع الدلائل البينة إلا أنهم «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» لذلك: «فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون»

وهؤلاء مجموعة تسكن وادي القرى- منطقة بين الحجاز والشام- وقد وهبهم الله أراضي خصبة خضراء مغمورة وبساتين ذات نعم كثيرة وكانوا يبذلون الكثير من جهدهم في الزراعة وقد وهبهم الله العمر الطويل والأجسام القوة وكانوا مهرة في البناء القوي المتماسك حيث يقول القران عنهم في ذلك: «وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين»

---

(١) حم السجدة/آية ١٧.

(٢) فصلت / آية ١٧ - ١٨ .

لقد جاءهم نبيهم بمنطق قوي وقلب ملؤه الحب ومعه المعاجز الإلهية إلا أن هؤلاء القوم المغرورين المستعلين لم يرفضوا دعوته - وحسب- بل آذوه وأتباعه القليلين لذلك شملهم الله بعقابه في الدنيا ولن يغني ذلك عن عذاب الآخرة شيئا.

نقرأ في الآية (٧٨) من سورة الأعراف أنهم أصيبوا بزلزلة عظيمة فبقيت أجسادهم في المنازل بدون حراك: «فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين» وفي الآية (٥) من سورة الحاقة قوله تعالى بشأنهم: «فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية» أما الآية (٦٧) من سورة هود فتقول عنهم: «واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين». أما الآية التي نحن بصددها فقد استخدمت تعبير :(صاعقة).

قد يتصور البعض إن هناك تعارضا بين هذه التعابير ولكن عند التدقيق يظهر إن الكلمات الأربع أعلاه (رجفة، طاغية، صيحة، صاعقة) ترجع جميعا إلى حقيقة واحدة لان الصاعقة - كما قلنا سابقا- لها صوت مخيف بحيث يمكن أن نسميها: بالصيحة السماوية ولها أيضاً نار محرقة، وهي عندما تسقط على منطقة معينة تحدث هزة شديدة وكذلك هي وسيلة للتخريب.

وفي الواقع إن البلاغة القرآنية تستوجب أن تبين الأبعاد المختلفة للعذاب الإلهي بتعابير مختلفة وفي سياق آيات عديدة كما تخلف أثرا عميقا في نفس الإنسان.

وهؤلاء القوم قد واجهتهم عوامل مختلفة للموت في إطار حادثة واحدة بحيث إن كل عامل لوحده يكفي لإبادتهم، كالصيحة المميتة مثلا، أو الهزة الأرضية القاتلة أو النار المحرقة وأخيرا الصاعقة المخيفة.[1]

انظر كيف أن الله سبحانه وتعالى يعذب ويهلك الذين يصيبهم الغرور والاستعلاء والتمادي في الغي والظلم والاعتداء على المؤمنين والصالحين لما

---

(١) تفسير الأمثل ج١٥ ص٣٧٥-٣٧٧.

يملكونه من قوة مادية وجسدية ويظهرون الاستخفاف بدين الله ونظامه الحق وشريعته العادلة ويكثرون من الاحتقار والاستهزاء بأولياء الله والمستضعفين من خلقه، وينفذون ما تمليه عليهم أحلامهم المريضة ونفوسهم الشريرة وأفكارهم المادية وأنظمتهم الوضعية ،فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون»[1] أو يرسل الله القوي العزيز عليهم الصيحة فتذرهم كالزرع اليابس الذي تذروه الرياح العاتية «وإنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر»[2] فحلت عليهم الكارثة لسوء أعمالهم ونتيجة لما جنته أيديهم وانحرافهم عن جادة الحق وشريعة السماء.

وقد أخذت الصيحة الأمة المجرمة المنحرفة عن الصراط المستقيم والدين القويم عند شروق الشمس كما نطق القران المجيد بذلك: «فأخذتهم الصيحة مشرقين»[3].

قال صاحب الأمثل في تفسير هذه الآية الشريفة: وبعد ذلك يبلغ كلام الله تعالى عن هؤلاء القوم الذروة حينما يبين عاقبتهم السيئة في آيتين قصيرتين وبشكل حدي مليء بالدروس والعبر بقوله: «فأخذتهم الصيحة مشرقين» أي صوت شديد عند شروق الشمس.

ويمكن حمل الصيحة على إنها صاعقة عظيمة أو صوت زلزلة رهيب، والمهم انه كان صوتا مرعبا اسقط الجميع مغميا عليهم أو ميتين.

والمعلوم إن الأمواج الصوتية إذا ما تعدت حدا معينا فستكون مخيفة تهز فرائص الإنسان وإذا ما ازدادت شدتها فستبهت الإنسان وتشله عن الحركة وربما

---

(١) الذاريات/ آية ٤٤.
(٢) القمر/ آية ٣١.
(٣) الحجر/ آية ٧٣.

تودي بحياته بل ومن الممكن أن تهدم الأبنية وهذا ما تفعله المتفجرات[1] وكذلك «فأخذتهم الصيحة مصبحين»[2]

وقد جاء في تفسير الأمثل لهذه الآية الشريفة: وكانت الصيحة عبارة عن صوت صاعق مدمر نزل على دورهم وكان من القوة والرهبة بحيث جعل أجسادهم تتناثر على الأرض والشاهد على ما قلناه ما تحدثنا به الآية الثالثة عشرة من سورة فصلت: «فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» فالعذاب الإلهي لا تقف أمامه الجبال الشاهقة ولا البيوت المحصنة ولا الأبدان القوية أو الأموال الوافرة ولهذا يأتي في نهاية قصتهم «فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» وجاءت الآيات (١٤١-١٥٨) من سورة الشعراء بتفصيل أكثر.[3]

وهكذا تتضح الصورة كاملة وتنجلي الحقيقة وهي إن الإنسان كلما ابتعد عن بارئه سبحانه وكفر بنعمه التي لا تعد ولا تحصى «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها» وجسد مبادئ الكفر والإلحاد وحكم أنظمة الهوى والانحراف في الحياة وجانب قانون السماء، وجعل الحق وراء ظهره وانغمس في اللذات المحرمة وفعل السوء والمنكر والفواحش ما ظهر منها وما بطن ولم يسمع قول الحق والعقل والشرع الحنيف القيم فليترقب نزول العذاب وحلول الكارثة والرجز القاصم، وليت الرجفة والزلزلة والصاعقة والصيحة منه ببعيد.

والرجز قريب من الذين ظلموا وبدلوا قولا غير الذي قيل لهم «فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من

---

(١) تفسير الأمثل ٨: ٩٤-٩٥.
(٢) سورة الحجر/ آية ٨٣.
(٣) الأمثل ٨: ١٠٤.

السماء بما كانوا يفسقون»[1] ولفظة الرجز استعملت في معان كثيرة منها البلايا الصعبة الطاعون الوثن الوثنية وسوسة الشيطان والثلج أو البرد الصلب لكن جميع ذلك مصاديق مختلفة لمفهوم يشكل الجذر الأصلي لتلك المعاني لأن أصل هذه اللفظة كما قال الراغب في (المفردات) هو الاضطراب وحسب ما قاله الطبرسي في مجمع البيان مفهومه الأصلي هو الانحراف عن الحق.

وعلى هذا الأساس إطلاق لفظ (الرجز) على العقوبة والبلاء لأنها تصيب الإنسان لانحرافه عن الحق وارتكاب الذنب وكذا يكون الرجز نوعا من الانحراف عن الحق والاضطراب في العقيدة ولهذا أيضاً يطلق العرب هذا اللفظ على داء يصيب الإبل ويسبب اضطراب أرجلها حتى أنها تلجا للمشي بخطوات قصيرة أو تمشي تارة وتتوقف تارة أخرى فيقال لهذا الداء (الرجز) على وزن المرض.

والسبب في إطلاق الرجز على الأشعار الحربية لأنها ذات مقاطع قصيرة ومتقاربة وعلى كل حال فان المقصود من الرجز في الآية أو الآيات الأخرى هو العقوبات المنبهة الخمسة التي أشير إليها في الآيات السابقة وان احتمل بعض المفسرين أن يكون إشارة إلى البلايا الأخرى التي انزلها الله عليهم ولم يرد ذكرها في الآيات السابقة ومنها الطاعون أو الثلج والبرد القاتل الذي وردت الإشارة إليها في التوراة)[2]

وقد ورد في تفسير الإمام العسكري عليه السلام في تفسير قوله تعالى «رجزا من السماء بما كانوا يفسقون» يخرجون عن أمر الله وطاعته وقال والرجز الذي أصابهم انه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة وعشرون ألف وهم من علم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون ولا يتوبون ولا ينزل هذا الرجز على من علم انه

---

(١) البقرة/ آية ٥٩.

(٢) تفسير الأمثل ٥: ١٨١-١٨٢.

يتوب أو يخرج من صلبه ذرية طيبة توحد الله وتؤمن بمحمد وتعرف مولاه علي وصيه وأخيه [1] .

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام انه قال(وسيصيب أكثر الذين ظلموا رجزا في الدنيا بسيوف بعض من يسلط الله تعالى عليهم الانتقام بما كانوا يفسقون كما أصاب بني إسرائيل الرجز)[2] .

إذن إن الخروج عن طاعة الله وعدم الالتزام بأوامره ونواهيه سبحانه سبب موجب لنزول الرجز وأنواع البلاء ، لذا يستوجب الالتزام بطاعة الله سبحانه وتعالى
وأوامره ، وتطبيق أحكام الدين وقوانينه وقيمه على واقع لحياة ، والعمل جهد الإمكان على ترويج أفكاره ومفاهيمه بين أبناء المجتمع الإنساني وإشاعة فضائله بينهم وتجسيدها في دنيا الوجود ، لكي تتحقق مرضاة الله سبحانه والتي بدورها تؤدي إلى نزول الخيرات ، وانفتاح أبواب البركات ، وغلق منافذ الشر وظهور المصائب والحوادث المبيدة .

يقول السيد الطباطبائي في تفسير الميزان : (فالحوادث الكونية تتبع الأعمال بعض التبعية ، فجرى النوع الإنساني على طاعة الله سبحانه وسلوكه الطريق الذي يرتضيه يستتبع نزول الخيرات ، وانفتاح أبواب البركات ، وانحراف هذا النوع عن صراط العبودية ، وتماديه في الغي والضلالة ، وفساد النيات وشناعة الأعمال يوجب ظهور الفساد في البر والبحر وهلاك الأمم بغشو الظلم وارتفاع الأمن وبروز الحروب وسائر الشرور والراجعة إلى الإنسان وأعماله ، وكذا ظهور المصائب والحوادث المبيدة الكونية كالسيل والزلزلة والصاعقة والطوفان وغير ذلك ، وقد عد الله سبحانه وتعالى سيل العرم وطوفان نوح وصاعقة ثمود وصرصر عاد من هذا القبيل . فالأمة الطالحة إذا انغمرت في الرذائل والسيئات

---

(١) تفسير الإمام العسكري ٢٦١، ص١٢٨.
(٢) العوالم والإمام الحسن ص٦٥٥.

أذاقها الله وبال أمرها وآل ذلك إلى هلاكها وإبادتها قال تعالى:« أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واقٍ» [1] وقال تعالى:« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا» [2] وقال تعالى: «ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون» [3].

وهذا كله في الأمة الطالحة ، والأمة الصالحة على خلاف ذلك .

---

(١) المؤمن / آية ٢١.
(٢) الإسراء / آية ١٦.
(٣) المؤمنون / آية ٤٤ .

إشكالٌ وحَل

ربما سائل يسال : لماذا نرى أشخاصا نعدهم من الأشرار وهم يملكون الثروة الطائلة وينعمون بالحياة المرفهة ، ونرى أشخاصا صالحين والبلاء يحيط بهم من كل جانب ؟

والجواب على ذلك : أن هؤلاء الأشرار المعنيين تكون النعمة لهم مكرا في حقهم واستدراجا وإملاء يملي عليهم ، قال تعالى:«سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم أن كيدي متين» [1] وقال تعالى: «ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون» [2] وقال تعالى: «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» [3] فالله سبحانه وتعالى يمن عليهم بالنعم والإحسان وهم يقابلونه بالكفر والمعصية فتتم عليهم الحجة «قل فلله الحجة البالغة» فينزل عليهم العذاب ويحل بهم الهلاك والدمار .

وأما إذا نزلت النوازل وصبت المصائب على فرد أو جماعة وهم من المؤمنين والصالحين ، كان ذلك فتنة ومحنة يمتحن الله بها هؤلاء الجماعة الصالحة من عباده ليميز الخبيث من الطيب وهو المحك والاختبار قال تعالى: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون . وقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» [4] .

فالفائزون في الاختبار هم الصادقون الذين يتسنمون الدرجات العلى ويفرحون بما أتاهم الله من فضله وإحسانه ، وبما أعد لهم من جنات ونعيم وسرور ، وأما الخاسرون فهم الكاذبون الذين لم يتمكنوا من اختيار المحنة

---

(١) القلم / الآية ٤٤ .
(٢) الدخان / آية ١٧.
(٣) الأنفال / آية ٣٠.
(٤) العنكبوت / آية ٤.

والاختبار بنجاح ، فأصبحت حالهم معلومة للعيان وظاهرة في الواقع تجر أذيال الخيبة والكذب والخسران الذي ما بعده خسران .

وهذه الأمور والأحوال متداولة بين الناس بما فيها من المحن والفتن والاختبارات والتاريخ – كما قيل – يعيد نفسه قال تعالى«وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء»[1] .

وأما ما نلاحظه في مدونات التاريخ وسجلات التجربة البشرية خلال مسيرتها الطويلة من أن نزول الكوارث والمحن والبلايا بالجماعة أو الأمة الطالحة في اغلب الأحيان فمعناه أخذا من الله سبحانه بالنقمة وعقابا بالأعمال السيئة التي اقترفتها تلك الأمم والجامعات الضالة عن جادة الحق ومنطق العدل والمتنكرة لشريعة السماء وقوانين الدين الإلهي والمتمسكة بالمبادئ الوضعية والعقائدية الأرضية . وهذا حكم الأعمال يظهر في الكون ويعود بالنتيجة إلى عامله ، فليتبصر من تبصر ويع من عقل ، ويدرك من تثقف وفهم .

وعليه فان الالتزام بما يريده الخالق المتعال ، والتمسك بشريعة الرب الغفور الرحيم والعمل بمقتضى قوانين السماء ، وبما يدعو إليه الإسلام الحنيف القيم ، حتما سيؤدي بالنتيجة إلى اجتياز كل محنة ، وعبور كل فتنة والنجاح الباهر في كل امتحان واختبار في دنيا الحياة والوجود .

وان كل عمل حسن مبني على الحق والأيمان الواقعي قطعا سيقود في نتيجة الأمر إلى الربح والغلبة والظفر بالنصر والسعادة ، لان الحق والأيمان من الأمور التي يحبها الله سبحانه وتعالى ويحث عليها ويأمر بالاعتصام والالتزام بها ، والله غالب على أمره ، قال تعالى: «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس

---

(1) آل عمران / آية ١٤٠.

لا يعلمون»[1] وقوله تعالى: «ليحق الحق بكلماته ويبطل الباطل»[2] « والعاقبة للتقوى»[3].

فالحق لا يقابله إلا الضلال والباطل ، ومن البديهي أن الباطل لا يقاوم الحق فالغلبة لحجة الحق على الباطل ، لان جولة الباطل ساعة وصولة الحق إلى قيام الساعة كما قال رسول الله ﷺ ذلك . فتدبر.

السعادة والغلبة حليفتان للحق والأيمان

مما لا ريب فيه أن الله عز وجل خلق الإنسان وساقه إلى سعادته الوجودية وكماله الحيوي ، وقد دلت الملاحظة الدقيقة والتجربة العميقة على أن الصنع والتكوين الإلهي جهز كل مخلوق وموجود نوعي بما يدفع به الآفات والفساد المتوجه إليه ، ويعارض كل موجود نوعي يقوم بأمور غير ملائمة تدعوه إلى أعمال أنشطته وقواه الوجودية ، ليكمل بذلك في وجوده ويوصله إلى غايته وسعادته التي هيأها الله له .

إذن فما بال الإنسان لا يعتني في شانه بذلك لأنه غير مستثنى في نوعه وفرده عن هذه الكلية ؟

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى ولم يخلق الإنسان عبثا ، ولم يوجده هباء بل خلقه لمعرفته وعبادته وطاعته ، وتحكيم نظامه وشرائعه ومناهجه في دنيا الوجود ، ثم الرجوع إليه سبحانه ، قال تعالى:«أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون»[4] . وقال تعالى: «وإن إلى ربكَ المنتهى»[5].

---

(١) يوسف / آية ٣١.
(٢)الأنفال / آية ٨.
(٣)طه /آية ١٢٢.
(٤) المؤمنون / آية ١٦.
(٥) النجم / آية ٤٢.

لذا اقتضت العناية الربانية إلى إيصال الإنسان كسائر ما خلق من خلق وأوجد من موجودات إلى عنايته بالدعوة والإرشاد ثم بالامتحان والابتلاء ثم بإهلاك من بطل في حقه غاية الخلقة وسقطت عنه الهداية فان في ذلك إتقانا للصنع في الفرد والنوع وختما للأمر في امة وإراحة الآخرين قال تعالى: «وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشاكم من ذرية قوم آخرين» [1].

فالله هو الغني وهو الرحمن الرحيم ، وهذه السنة الربانية -سنة الابتلاء والانتقام- هي سنة غالبة ومنصورة وغير مقهورة البتة ، قال تعالى: «وما أصابكم من مصيبة إلا بما كسبت أيديكم » [2].وقال تعالى:«ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون» [3].

فالحق هو الغالب ، والمؤمن هو المنتصر في الحياة في كل الأحوال.

ولقد جاء في الميزان : (فالمؤمن منصور غير مغلوب أبداً ، إما ظاهراً وباطناً ، وإما باطنا فقط ، قال تعالى: «قل هَل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين» [4].

ومن هنا يظهر : أن الحق هو الغالب في الدنيا ظاهرا أو باطنا معا ، أما ظاهرا : فإن الكون كما عرفت يهدي النوع الإنساني هداية تكوينية إلى الحق والسعادة ، وسوف يبلغ غايته ، فان الظهور المترائي من الباطل جولة بعد جولة لا عبرة له ، وإنما هو مقدمة لظهور الحق ولما ينقض سلسلة الزمان ولما يفنه الدهر ، والنظام الكوني غير مغلوب البتة ، وأما باطنا : فلما عرفت الغلبة لحجة الحق .

---

(١) الأنعام / ١٣٣ .
(٢) الشورى / آية ٣١ .
(٣) الصافات / آية ١٧٣.
(٤) التوبة / آية ٥٣ .

وبعد أن أصبح من المؤكد أن النصر والغلبة لحجة الحق ومنطق الأيمان في هذه الحياة والحياة الآخرة صار من اللازم والواجب على الإنسان بحكم كونه عاقلاً ومدركاً وذا قدرة في التمييز والتفكر ، أن يختار الحق على الباطل والأيمان على الكفر والشرك والفسوق ، ليظفر بالسعادة والنصر والربح الدائم وليتجنب الشقاء والخذلان والخسارة والهلاك المبرم .

وان لا يأخذ عمره القصير ، ومتاعه القليل مقياسا يحكم به على عامة الوجود ، وعليه أن يدرك أن الله هو المحيط بالزمان والمكان ، والحاكم على الدنيا والآخرة ، والقيوم على كل شيء ، إذا حكمَ حكمَ فصلاً ، وإذا قضى قضى عدلاً وحقاً ، وهو سبحانه لا يخاف فوتاً ولا يعجل في أمر ، وعليه أن يطيع الله جل وعلا ، ويحكم نظامه وقانونه على واقع الحياة ، ويلتزم بأوامره وينتهي عن نواهيه ، لكي تكون مسيرته موفقة نحو تحقيق الغاية من وجوده ، وتحقيق الكمال المنشود والسعادة المطلوبة والربح الدائم ، والنتيجة المظفرة في الدارين.

أصدق المصاديق في الزمن الغابر والمعاصر

لقد دلت التجربة البشرية الغنية بالأحداث والدروس والعبر ، وقد صدق التاريخ ما دلت عليه ، وأكده العلماء والفلاسفة الإلهيون ذلك ، وهو أن الإسراف في الأمور ، والإفراط والتفريط في الحياة ، والميل والانحراف في السلوك والتوجهات والأفكار ، كل أولئك هو تجاوز عن حد قانون التكوين وقانون التشريع ، وان هذا التجاوز عن الحد موجب للفساد والاختلال ، وان فيه إفساداً للنظام المرسوم ، ويتبعه إفساد غايته ، وإفساد غاية كل مكوناته .

وكما مر علينا في هذا الكتاب ، أن الكون مؤلف تأليفا خاصا يتلاءم معه أجزاؤه بعضها مع البعض في النتائج والآثار ، فالكون يسير بالنظام الجاري فيه إلى

غايات صالحة مقصودة ، وان الإنسان هو احد أجزاء هذا الكون وخاضع للكلية الحاصلة فيه وغير مستثنى منها .

وان خروج بعض الأجزاء عن خطة المخطوط له أو لغيره يستعقب منازعة بقية الأجزاء له فان استطاعت أن تقيمه وترده إلى وسط الاعتدال فهو وإلا أفنته وعفت آثاره ، حفظا لصلاح الكون واستبقاء لقوامه .

وبما أن الإنسان هو احد أجزاء هذا الكون فلابد أن تشمله هذه الكلية والقاعدة المجعولة من قبل الله سبحانه والدالة على قدرته وقوته وحكمته سبحانه ، فإذا استقام الإنسان في حياته وسلوكه وأطاع الله تعالى وعمل بمقتضى الفطرة والهداية فاز بالسعادة المقدرة له ، وان شذ وانحرف عن طريق الحق ومنطق العدل والصواب ، وتعدى حدود فطرته، وافسد في الأرض وعصى ، أخذه الله سبحانه بأنواع النكال وشديد البلاء والنقمة لعله يرجع إلى جادة الحق والصواب وطريق الصلاح والسداد ، «ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون »[1].

وان طغى وتكبر وآثر الفساد على الصلاح ، واختار طريق التجاوز والانحراف أخذه الله بعذاب الهلاك السريع والموت الجماعي الذي لا مفر منه. «... ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»[2] و «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون»[3] لان هناك علاقة طبيعية بين الذنوب والفساد وبين الفساد ونزول العذاب «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس» والفساد هنا بمعناه الأعم فهو يشمل المفاسد الاجتماعية والبلايا وسلب النعم والبركات .....

وقد يستفاد من الروايات الشريفة أن كثيراً من الذنوب تجلب معها الآثار الوضعية السيئة والخطيرة المترتبة عليها فمثلاً إن قطع الرحم يقصر العمر ، وان

---

(١) الروم / آية ٤١ .
(٢) الأعراف / آية ٩٦.
(٣) القلم / آية ٤٤ .

أكل المال الحرام يورث ظلمة القلب ، وإن كثرة الزنا يورث فناء الناس ، ويقلل الرزق ، حتى أننا لنقرأ حديثا عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه : (من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال) .

ومن اصدق المصاديق على ما نقول ، ما ورد ذكره في القرآن الكريم : «فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»[1] وقال تعالى: «فتلكَ بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون»[2].

وقد روي عن ابن عباس انه قال : (إستفدت من القرآن الكريم أن الظلم يخرب البيوت ويهدمها) ثم استدل بالآية الكريمة : «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا».

وفي الحقيقة إن تأثير الظلم في تخريب البيوت والمدن والمجتمعات لا يقاس بأي شيء ، فالظلم يأتي بالصاعقة المهلكة ، والظلم يزلزل ويدمر ..

وله اثر كأثر الصيحة في السماء ، المهلكة المميتة ، وقد أكد التاريخ وذكر مراراً،كم وكم من المدن قد خربت وتدمرت بسبب الظلم قال تعالى: «فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين»[3] وقال تعالى: «أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم من حيث لا يشعرون»[4] .

---

(١) العنكبوت / آية ٤٠ .

(٢) النمل / آية ٥٢ .

(٣) الأعراف / آية ١٦٦ .

(٤) النحل / آية ٤٥ .

الفصل الرابع

سيل العرم

وهو مصداق أخر، وحقيقة ناصعة ، نطق بها القرآن الكريم ، وأكدها التاريخ ، وهذا السيل يؤكد حلول العذاب بأمة أعرضت عن الله سبحانه وشرعه القويم ،وكفرت بآلائه ، وآثرت الكفر عن الأيمان ، والسيئة على الحسنة ، والمعصية على الطاعة ، فذاقت وبال فعلها السيئ ، وجنت نتائج انحرافها وآثار ذنوبها ، بان أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم ،فغرقت القرى ، وخربت الديار ، وذهبت الأموال ، واستبدلت الجنات النظِرةَ ، والمزارع المثمِرةَ ، بجنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، نكالا لهم وجزاءً لما اقترفت أيديهم من سوء وآثام .

وقد يرسل الله تعالى مثل هذه السيول بين آونة وأخرى عندما تقتضي الحكمة الإلهية ، والسنن الكونية ، والآثار الوضعية لسوء أفعال العباد ذلك .

قال تعالى: «لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور»[1] .

عن سدير / قال : سال رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم»[2] الآية ، فقال : هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضها إلى بعض وانهار جارية وأموال ظاهرة فكفروا بأنعم الله وغيروا ما بأنفسهم من عافية الله ، فغير الله ما بهم من نعمة ، وإن الله لا

---

(١) سبأ / آية ١٥-١٧.
(٢) سبأ /١٩.

يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرق قراهم وخرب ديارهم وذهب بأموالهم وأبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، ثم قال : «ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور» [1]

وعن ابن عباس : إن الله يبعث في أخر الزمان خمسة أنواع من العذاب : أولها : حيات ذوات أجنحة ينزلن ويحملن المطففين من السوق ، والثاني : سيول تغرق الحالفين بالكذب ، والثالث : تخسف بقوم الأرض وهم الذين لا يبالون من أين يأخذون من الحرام أو الحلال ، والرابع : تجيء ريح فتحمل قوماً وتضربهم على الجبال فيصيرون رماداً وهم الذين يبيتون على لهوهم ، والخامس : تجيء نار فتحرق بعض أصحاب السوق وهم أكلة الربا)[2].

الغرق

وهو احد المصاديق على ما تقدم ، صدع به القرآن المجيد ، وسجله التاريخ في ذاكرته الخالدة ، وهو حقيقة ناصعة ظهرت في الزمن الغابر وقد تكررت في الزمن المعاصر وان كانت على نطاق محدود ، لعل البشرية تؤوب إلى ربها ، وتقلع عن آثامها ، وتتدبر أمرها ، وتتفكر فيما تؤول إليه عاقبتها ، قال تعالى: «فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين» [3].

نعم لقد أغرق الله سبحانه الذين كذبوا بآياته ، وخالفوا نبيه نوحا عليه السلام وعصوه ، ولم يهتدوا بهدي الأيمان ، بل آثروا الباطل على الحق ، وطريق

---

(١) وسائل الشيعة ١٥/٣١٤ج١.
(٢) مستدرك الوسائل ١٣ : ٣٣٣ ، ج١٩.
(٣) يونس/٧٣.

الكفر والشرك والانحراف على الصراط المستقيم ، ولجأوا إلى عبادة الجبت والطاغوت والحكم بغير ما أمر الله به ، فانظر إلى عاقبة أولئك البشر ، وما آل إليه توجههم الخاطئ ، وتفكيرهم المنحرف ، ونظرهم القاصر .

حيث عندما حانت اللحظة الحاسمة ، إذ صدر الأمر الإلهي فتلبدت السماء بالغيوم كأنها قطع الليل المظلم ، وتراكم بعضها على بعض بشكل لم يسبق له مثيل ، وتتابعت أصوات الرعد وومضات البرق في السماء كلها تخبر عن حادثة مهولة ومرعبة جدا .

شرع المطر وتوالى مسرعاً منهمراً أكثر فأكثر ، وكما يصفه القرآن الكريم في سورة القمر : «ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر»[1] .

ومن جهة أخرى ارتفعت المياه الجوفية بصورة رهيبة بحيث تفجرت عيون الماء من كل مكان .

وهكذا اتصلت مياه الأرض بمياه السماء ، يقول صاحب التفسير الأمثل : (فلم يبق جبل ولا واد ولا تلعه ولا نجد إلا استوعبه الماء وصار بحراً محيطاً ضخما ... أما الأمواج فكانت على اثر الرياح الشديدة تتلاطم وتغدو كالجبال ، وسفينة نوح ومن معه تمضي في هذا البحر وهي تجري بهم في موج كالجبال «ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين»[2] فان مصيرك إلى الفناء إذا لم تركب معنا .

لم يكن نوح – هذا النبي العظيم – أباً فحسب ، بل كان مربياً لا يعرف التعب والنصب ، ومتفائلاً بالأمل الكبير بحيث لم ييأس من ابنه القاسي القلب ، فناداه عسى أن يستجيب له ولكن –للأسف – كان اثر المحيط السيئ عليه اكبر من تأثير قلب أبيه المتحرق عليه .

---

(١) القمر /آية ١١و ١٢.
(٢) هود /آية ٤٢.

لذلك فان هذا الولد اللجوج الأحمق ، وظناً منه أن ينجو من غضب الله أجاب والده نوحا و «قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء» ولكن نوحا لم ييأس مرة أخرى فنصحه أن يترك غروره ويركب معه و «قال لا عاصم اليوم من أمر الله» ولا ينجو من هذا الغرق إلا من شمله لطف الله «إلا من رحم» .

الجبل أمره سهل وهين ، وكرة الأرض أمرها هين كذلك ، والشمس والمجموعة الشمسية بما فيها من عظمة مذهلة لا تعدل ، ذرة إزاء قدرة الله الأزلية . أليس أعلى جبل بالنسبة لكرة الأرض بمثابة نتوات صغيرة على سطح برتقالة ؟ أليست هذه الأرض التي ينبغي أن يتضاعف حجمها إلى مليون ومائتي ألف مرة حتى تبلغ حجم الشمس ، وهذه الشمس التي تعد نجما متوسطا في السماء من بين ملايين الملايين من النجوم في متسع عالم الخلق ، فأي خيال ساذج وفكر بليد يتوقع من الجبل أن يصنع شيئا ؟

وفي هذه الحالة التي كان ينادي نوح ابنه ولا يستجيب له ارتفعت موجة عظيمة والتهمت كنعان بن نوح وفصل الموج بين نوح وولده «وحال بينهما الموج فكان من المغرقين»[1] .

اجل لقد غرق الكفر كله ، والانحراف كله ، ولم يبق إلا من رطب فمه بذكر الله ، وعطر عقله بالتفكير في آيات الله وعظمته وحكمته ، وانشغل بطاعته وعبادته ، وحكم قانون السماء ، وجسد خلق الإسلام وأحكام الله في دنيا الحياة ، وهم قليل ممن حملتهم سفينة النجاة ، وقد ذكرت بعض الروايات أنهم ثمانون شخصا فقط «وما آمن معه إلا قليل»[2].

---

(١) الأمثل ج٦ : ٥٣٥-٥٣٦ .
(٢) هود / آية ٤٠ .

وقد جمعهم نوح عليه السلام بسرعة وحين أزف الوعد ، واقترب الطوفان وأوشك أن يحل عذاب الله أمرهم أن يركبوا في فلكه «وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها أن ربي لغفور رحيم» [1].

وهكذا يهلك العاصون ، ويموت الكافرون ، ويفوز الطائعون ، وينجو المؤمنون ويفرحون بتلك النهاية الحسنة «أن العاقبة للمتقين» [2].

كارثة تسيونامي

وهي كارثة رهيبة أذهلت البشرية وأرعبتها ، وهي تتلقى أخبارها ومجريات أحداثها ، وأرقام خسائرها ، وضخامة خرابها ، وعدد قتلاها وقد حلت هذه الكارثة في ثمان مدن سياحية من جنوب شرق آسيا ، تقع في جنوب المحيط الهندي ، وهي مدن تنعم بالرخاء ، وتمارس البغاء ، وشرب المخدرات ، والشذوذ الجنسي ، وقد كانت مأوى لرجال السياحة الغربيين وغيرهم حيث تنتشر فيها الملاهي ودور السينما وقاعات الرقص والقمار ودور الدعارة والشذوذ ، ولم تراع فيها القيم الدينية ، ومبادئ الأخلاق والفضيلة البتة ، وكأن الحياة خلقت للرذيلة فقط ، ولم يكن هناك للدين وازع ولا للشرف رادع .

وبينما الناس هناك منهمكون في لهوهم ومجونهم وشذوذهم ورقصهم وطربهم وإذا بالبحر ينفجر انفجاراً هائلاً ومرعباً فيزحف هادراً وخاطفاً لتلك المدن الثمان السياحية فأحالها إلى أنقاض وركام أو بيوت خاوية على عروشها ، فغمرت الحدائق الغناء ، وخربت البيوت المزخرفة وتهدمت دور اللهو والشذوذ والدعارة ومات مئات الآلاف من البشر حتى تعدى عددهم المائتين والخمسين ألف شخص ، ناهيك عن مئات الآلاف من المفقودين والمشردين والباقين من دون

---

(١) هود / آية ٤١ .

(٢) هود / آية ٤٩ .

مأوى عرضة للأمراض والأوبئة والضياع ، وأما الخسائر المادية فحدث ولا حرج ، وقد قدرت بالمليارات من الدولارات .

وتقول إذاعة مونتكارلو الفرنسية في إحدى نشراتها المسائية ، وأضنها السابعة حسب توقيت العراق : أن المياه التي غمرت المدن المنكوبة عندما انسحبت إلى البحر قد رسمت أو شكلت كلمة لفظ الجلالة (الله) باللغة العربية . وقد علق عليها مذيع النبأ في تلك الإذاعة : أن هذا العذاب الذي حل بتلك المدن هو من صنع الله سبحانه لأنه ترك اسمه عليه .

حقاً ما يقوله المذيع ، لان هذا العذاب هو تجسيد حي للسنن الكونية ونتيجة للآثار الوضعية لذنوب العباد في تلك المنطقة من العالم الذين استهانوا بشريعة السماء وقيم الأخلاق ومبادئ الشرف ، وتكالبوا على المادة والعيش بالسحت الحرام والانغماس في الرذيلة حتى أخمص القدم ، وهجروا الحق والسداد ، واعرضوا عن الفضيلة والرشاد ، فحصدوا ما زرعوا والآتي اخطر واشد ، أن لم يتداركوا أمرهم ويعالجوا وضعهم بالرجوع إلى الله وشريعته السهلة السمحاء المتممة لمكارم الأخلاق . قال تعالى: «... ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»[1] وقال تعالى: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون» [2] .

وهذه الكارثة المدهشة هي مصداق معاصر حي ، ودليل مشهود ، وآية ناطقة في تاريخنا الحديث ، تؤكد عظمة الله تعالى، وقدرته المحيطة وحكمته البليغة، تتراءى أمام البشرية جمعاء ، لعلهم يرجعون إلى جادة الحق والصواب ، ويقلعون عن طريق اللهو والشذوذ والانحراف ، وتبين بوضوح وجلاء أن الله يمهل ولا

---

(١) العنكبوت / آية ٤٠ .
(٢) الروم / آية ٤١ .

يهمل ، وان عذابه قريب جداً من الذين يركبون رؤوسهم ، ويتمادون في غيهم ، وانحرافهم وشذوذهم وابتعادهم عن الله وشرعه القويم ، ليكونوا دروسا بليغة ، وعبرة ناطقة لمن يريد الاعتبار ، ويتعظ بمصائب غيره من أبناء جنسه وكما قيل : (مصائب قوم عند قوم فوائد) .

فيصحح المسير ، ويلتجأ إلى بارئه الحكيم العادل ، ويحكم شريعته الواقعية في دنيا الوجود ، وإلا فالمخاض عسير ، والعاقبة سيئة ، والنهاية قاسية ، والمصير اسود ، والعذاب شديد .

وما دام الوقت متسعا ، والفرصة سانحة ، يجب على كل عاقل ذي نظر ورأي ، أن يتدبر في هذه الكوارث ، ويتفكر في هذه المصائب التي تئن منها الإنسانية ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، ويحزم حقائبه ويؤوب إلى الله الغفور الرحيم قبل فوات الأوان وحصول الندم حين لا ينفع الندم ، ولسان حاله يقول : «ربي أرجعوني لعلي اعمَل صالحاً» . قال تعالى: «حتى إذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون . لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا أنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» [1].

إعصار كاترينا

من الحقيقة بمكان أن هذا الإعصار ، هو احد المصاديق الحية في زماننا الحاضر ، ويدل بجلاء تام على قدرة الله العجيبة ، وقوته العظيمة ، وحكمته الفائقة ، وعقوبته المشهودة .

وهذا الإعصار هو آية من آيات الله الكثيرة ، وسنة من سننه الكونية التي تتجسد بين فترة وأخرى على ارض الواقع ، في هذه البقعة من الأرض أو تلك ،

---

(١) المؤمنون / ٩٩ - ١٠٠ .

تبعاً لأعمال العباد التي أخذت منحى خطيرا في الشذوذ والانحراف عن جادة الصواب ، وشريعة الحق ، ووفقا لمجريات الحكمة الربانية ، التي تعود بالنفع التام لبني الإنسان أينما وجدوا وفي أي زمان كانوا ، لينتبهوا من غفلتهم التي هم فيها ، وليروا هذا المنحدر الخطير الذي يسيرون فيه ، وليدركوا تلك النهاية القاسية المترتبة على ذلك ، والمصير الحالك الذي ينتظرهم ، إن استمروا على قول الباطل ، وفعل الإسراف في الجريمة ، والانحراف عن الحق ، وارتكاب الموبقات ، والآثام والمعصية ، والابتعاد عن شريعة الإسلام ، وعن الالتزام بطاعة الملك العلام .

فلربما يحصل نتيجة لهذا التيقظ من الغفلة ، ولهذه الرؤية الفاحصة رجوع مفيد من الإنسان إلى ربه الغفور الرحيم ليعالج وضعه المتردي ، ويصلح ما يحتاج إلى الإصلاح من الأمور والأوضاع ذات العلاقة بمسيرته ، وتقدمه نحو الصلاح والموفقية في الحياة .

وقد ضرب هذا الإعصار الهائج ، الخاطف للأرواح والممتلكات ، والمدمر للدور والأشجار ، والمغير للحياة من حالة النعيم إلى حالة الجحيم ، الجنوب الأمريكي متمركزاً في ثلاث ولايات – كما تقول وكالات الأنباء العالمية – هي : نيو أورليانز ولوزيانا والمسيسبي مخلفا دماراً هائلاً وخسائر فادحة جدا ، بحيث أصبحت الأرض ومن عليها كأنها بركان ثائر ، أو ساحة حرب تناثرت فيها الأشلاء ، وتصاعدت فيها النيران ، فالتهمت الأخضر واليابس ، واتت على كل ذي حركة وروح ،

ولقد كانت سرعة الرياح العاتية تزيد على المائتي كيلو متر في الساعة الواحدة ، مصحوبة بالأمطار الغزيرة ، والفيضانات العارمة والكاسحة لكل ما يلاقيها من بيوت وبشر وحواجز ، فتطايرت دور السكن ، واقتلعت الأشجار ، وتساقطت أعمدة الكهرباء ، وخربت الحدائق والمزارع ، وهلكت النفوس ، وذهبت الأموال ، واستحالت الحياة إلى موت احمر ، وظلام دامس ، وانين وإلام وعذاب وضياع وأمراض .

اجل لقد كان دمار لا يوصف ، والخسائر ضخمة ، والقتلى كثيرين والمشردون أكثر ، والباقون بدون مأوى أكثر وأكثر .

وقد تحدثت الأنباء عن هذا الإعصار بإسهاب ، وذكرت هلاك الآلاف من البشر وتشريد الملايين ، وأما الخسائر المادية فإنها فاقت المائتين مليار دولار ، حتى وصل الحال بالولايات المتحدة الأمريكية القوية والغنية أن تمد اليد طلبا للعون والمساعدة من الدول الخارجية وتقبل مساعدة من أي دولة – يا سبحان الله – لضخامة الخسارة وفداحة المأساة .

ومما يزيد في الطين بلة ، هو حصول الحوادث المؤلمة ، والحالات المؤسفة في تلك الولايات المنكوبة الواقعة على الساحل الجنوبي للولايات المتحدة الأمريكية واستشراء حالات السرقة والقتل عمداً والاغتصاب والاختطاف والانتحار بكثرة وهذا ما نقلته وأكدته المحطات الفضائية والإذاعات العالمية .

وقد أدى هذا الإعصار إلى تمزيق الوحدة في الحكومة الأمريكية ، حيث ندد الحزب الجمهوري الحاكم ، والديمقراطي المعرض بالحكومة لتباطئها في التعامل مع الإعصار ، والحيلولة دون حصول هذا الخراب الكبير ، وإزهاق أرواح الآلاف المؤلفة من البشر أو تشردها ، أو عدم وصول المساعدات الطبية والغذائية والكسائية إليهم بسرعة ، مما حدى بالحكومة إلى نقل مايكل براون رئيس شؤون الكوارث إلى وظيفة كتابية بسيطة .

وقد علق الرئيس الأمريكي بوش على الإعصار بقوله : لقد تم إلحاق الدمار وإزهاق الأرواح ولم يكن بسبب الرجال وإنما بسبب الرياح ، لقد سبب إعصار كاترينا دمارا هائلا ، وخرابا كبيرا نتيجة لغضب الرياح والمياه .....

والحقيقة أن هذه الكوارث المذهلة والمصائب المتعددة التي تحل بالبشرية بين آونة وأخرى ، هي دروس بليغة للإنسانية جمعاء لتعتبر بها لعلها ترجع إلى الله العلي القدير ، وتصلح شانها بامتثال أوامره والابتعاد عن نواهيه ، والركون إلى

شريعته ، والالتزام بقوانينه وحدوده لتحقيق الصلاح في الحياة ، والاستقامة في السلوك ، والطمأنينة في النفوس ، والطهارة في القلوب ، والسعادة في الدارين.

وهكذا تتوضح اصدق المصاديق في الزمن الغابر والمعاصر ، والمستقبل مليء بمصاديق أخرى ربما تكون اكبر حجما ، وأكثر ضخامة واشد تأثيرا ، والله نسال أن تكون البشرية قد استوعبت تلك الدروس البليغة ، وتوقفت أمام هذه العبر الناطقة ، والمعبرة بصدق وجلاء تام عن عمق الملازمة بين ما يفعله بنو ادم والآثار الوضعية لتلك الأفعال خيرة كانت أم آثمة ، وعلاقة ذلك كله بما هو موجود من سنن كونية ، وقوانين عامة ربانية «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين»[1] .

أملا أن تكون الناس قد غيروا أنفسهم نحو الخير والكمال ، حتى يحصدوا الخير والسلام والأمان ، قال تعالى: «أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما أنفسهم»[2] .

المبادئ الوضعية تفتقر إلى المعصوم وكفاءته

إن الإنسان مهما درس وتعلم ، وتفكر وتفهم ، فهو وان تعلم شيئا ولكن غابت عنه أشياء ، فهو مفتقر في حياته ، وبحاجة ضرورية إلى من يرشده ويوجهه نحو الرشاد والسداد ولاسيما في مجال التطبيق العملي للأفكار ، والمعتقدات ، والحدود . أضف إلى ذلك الاحتياج الشديد إلى الأسوة والقدوة في الحياة ، المسدد في تفكيره ، والمعصوم في كل أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ولا يفضله غيره البتة ، بل هو الفاضل على الإطلاق . ليكون ذا مصداقية ويوحي بالاطمئنان والثقة والتيقن لمن يعمل معه ، ويسترشد بفكره وسلوكه وخلقه .

---

(١) سورة آل عمران /آية ١٣٧.

(٢) سورة الرعد /آية ١١.

لكي يكون المسير صحيحا ، والطريق واضحا ، والصراط مستقيما ، والثمرة متحققة ، «وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» [1].

وعليه فان انعدام المرشد الكفوء ، والموجه المسدد له الأثر الخطير في إضاعة الجهود ، وتشتت الطرق ، واستحالة تحقق الأهداف ، واستشراء الكذب ، والنفاق ، والدجل ، والشعارات الفارغة ، فتكون النتيجة ضياع الثمرة والضحك على الذقون وحلول الكارثة والطامة الكبرى . في الحياة الإنسانية والاجتماعية .

وعلى هذا الأساس ، أرسل الله تبارك وتعالى الأنبياء والرسل المعصومين من الخطأ والزلل وارتكاب المعصية إلى البشرية جمعاء ، ليقوموا بدور التبليغ والتوجيه والإرشاد والهداية إلى الله تعالى، وليكونوا الأسوة والقدوة لهم في دنيا الوجود ، ومن بعدهم سبحانه وتعالى على نقباء أو حواريين أو أئمة معصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ليكملوا المشوار ويواصلوا مسيرة الهداية حتى بلوغ الكمال وتحقيق الأهداف المنشودة ، وتوفير الرخاء والرفاه والسعادة للإنسانية جمعاء وعلى حد سواء .

الحاجة إلى المعصوم عليه السلام

إن الحاجة إلى المعصوم عليه السلام كالحاجة إلى ضروريات الحياة ومستلزمات وجودها ، واستمرار بقائها ، لان الحياة لا تستقيم وتتوازن وتسعد بدونه البتة ، بل تبقى تسير بغير هدى وتتخبط تخبط العشواء ، فاقدة لكل هدف وغاية توحد الصفوف وتجمع الكلمة ، وتقرر المصير ، وتوضح الطريق وتنوره .

---

(١) الأنعام / ١٥٣ .

لذا اقتضت سنة الهداية الربانية أن تزود عقل الإنسان بجميع أدوات المعرفة ، وإلى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية كي تتم عليه الحجة ، وتكمل نعمة الهداية ليختار طريقه في الحياة ملء إرادته خيراً كان أو شرا .

واقتضت أيضا أن يسند العقل الإنساني وبواسطة الوحي الإلهي ومن خلال الهداة الذين اختارهم سبحانه ، لتولي مسؤولية الهداية ، ولتبيان كل شيء ذي علاقة ايجابية بكل مرفق من مرافق الحياة ، ويؤدي بها إلى بلوغ الصلاح والكمال والتوازن ، فالله سبحانه وتعالى لم يترك عبادة مهملين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مضيء ، قال تعالى: «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد» [1].

ومما لا ريب فيه ، أن وجود الحجة الهادية المتمثلة بالإمام المعصوم ضرورة ملحة وهامة جداً في تطبيق المبدأ ، وتنفيذ بنوده وتشريعاته ، بصورة أمينة ودقيقة ، لان المعصوم عليه السلام له الدور الرئيس في التبليغ والإرشاد ، والتربية والتعليم ، نتيجة لما يتمتع به من كفاءة تامة ، ودرجة عليا في الاستيعاب ، والإحاطة اللازمة بتفاصيل المبدأ المنوط به وأهدافه ومتطلباته ، وهو المسئول عن تجسيده على ارض الواقع .

والإمام المعصوم عليه السلام له الأثر الأكبر في تكوين الأمة المؤمنة بالمبدأ ، وتربيتها تربية رسالية هادفة من اجل تحقيق أهداف المبدأ والغايات التي ينشدها ، وتطبيق قوانينه على واقع الحياة قال تعالى «يزكيهم وليعلمهم الكتاب والحكمة» [2] والتزكية هو التطهير المعنوي والتربية باتجاه الصلاح والكمال وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الفرد والمجتمع.

والإمام المعصوم عليه السلام هو الذي يصون المبدأ من الزيغ والتحريف والضياع ، بناء على ما يتمتع به من قدرات علمية ونفسية وكفاءة تامة في كل جانب من جوانب الحياة ، كما أن له القدرة اللازمة في حل أي مشكلة تواجه الفرد والأمة ،

---

(١) الرعد /آية ٧.

(٢) الجمعة / آية ٢ .

إضافة إلى شجاعته الفائقة وصموده الكبير ، ومعرفته العجيبة والتامة بالنفوس وبالطبقات الاجتماعية والأطياف الفكرية والسياسية ، وبقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة المختلفة .

والإمام المعصوم عليه السلام هو الذي يستطيع أن يجسد الأطروحة الإلهية على ارض الواقع بصورة دقيقة وكما يريدها جاعلها وموجدها وهو الله تعالى، فيقدمها بصورتها الحقيقة والواقعية وبذلك يقدم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة بقيادته للأمة وبهذا السلوك المعصوم والتوجه المتزن والكفاءة التامة والمعرفة الفائقة والشجاعة النادرة تستمر عملية التربية الصحيحة وتخلق الجماعة الصالحة ، التي تأخذ على عاتقها الاستمرار في تربية الأجيال وتوجيههم وإرشادهم لممارسة قيم ومفاهيم المبدأ الشريف الذي بشر به المعصوم ودعا إليه وإلى تطبيقه على الواقع الفردي والاجتماعي ، وغلق الطريق أمام العابثين والمنحرفين ورجال السوء ، وهكذا تستمر المسيرة الإنسانية بالصعود نحو العلى وبلوغ الكمال المنشود .

المبادئ الوضعية والمعصوم عليه السلام

من البديهي المعلوم أن المبادئ الوضعية والأنظمة المادية تفتقر إلى الوجود الفاعل في الحياة والمتمثل بتسديد المعصوم ورؤاه الصادقة وتوجيهاته الحقة وأفكاره الثاقبة والمحركة للمسيرة الإنسانية على أساس متزن وصراط مستقيم ، كما وتفتقر إلى الأسوة في الصعاب ، وإلى القدرة في السلوك والتصرف ، وإلى المثل الأعلى في تطبيق والخلق العظيم .

وتفتقر أيضا إلى المصداقية في تجسيد النظرية على الواقع العملي ، لوجود التفاوت بين النظرية والتطبيق ، كما أثبتت الأحداث والوقائع العملية للممارسات الفكرية والتطبيقية للأحزاب السائدة على الساحة البشرية .

لذا نرى دوما وابدأ تهافت الأفكار الوضعية واندثار أحزابها أو تراجعها رأسا على عقب أو فشلها فشلا ذريعا على مدى التاريخ لذلك نلاحظ العلميات الترقيعية والتصحيحة والعلاجية لهذه الأفكار وتلك الأحزاب مستمرة وبدون انقطاع ، لان ما تقدمه من برامج نظرية لا تتلائم والواقع العلمي لاستحالة تطبيقها على مفردات الحياة الإنسانية ، لأنها لا تشبع الحاجات الفطرية والقيم الروحية ، والمثل العليا للفرد والمجتمع ، ولم تحقق العدل لكل الطبقات الاجتماعية .

وهذا دليل ملموس وبرهان قاطع على ضرورة وجود الفكر المعصوم أو الراشح عنه من خلف الستار في تسيير دفة النظام للحياة الإنسانية في كل مرفق من مرافقها المختلفة ليكون ضمانة أكيدة وقوية للحيلولة دون حصول الزيغ الفكري ، والانحراف السلوكي ، والشذوذ في الحياة ، والانحطاط في الأخلاق ، والهدم في البناء الإنساني والاجتماعي .

ومن هذا المنطلق ، وبناءا على الضرورة الملحة لوجود الإمام المعصوم عليه السلام في المعترك الحياتي للإنسانية وعلى كل الأصعدة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والروحية ، نص الإسلام في تشريعاته وأحكامه ، وبأمر من الله تعالى على وجود الإمام المعصوم عليه السلام لكي يعمل إضافة لما تقدم ذكره ، في سبيل ترشيد الأمة واستجماعها لخبرات أجيالها المتعاقبة وفي سبيل إيصال الحق إلى الجميع ، ودعم وتأييد العاملين من اجل نشر المبدأ الحق والموسوم بالكمال والصلاح والتقدم والمتمثل بالإسلام النقي في ربوع الأرض كافة ، وهو يرعى عملية التميز والتمحيص الإعدادي لجيل البناء والمسؤولية ، ويكشف فشل المدارس الأخرى وعجزها عن تحقيق السعادة المنشودة ، وبلوغ الأهداف الكبرى للأمة ، ويساهم في حفظ روح الرفض للبغي والانحراف والظلم ، ويحبط المساعي الخبيثة والمتكررة لقتلها .

قال تعالى: «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»[1] .

---

(١) الرعد / آية ٧ .

وقد ورد في تفسير هذه الآية في عدة روايات شريفة : (إن المنذر هو رسول الله ﷺ وفي كل زمان إمام يهديهم إلى ما جاء به النبي ﷺ وفي بعضها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في الآية : (والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة) .

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : (ولم تخل الأرض منذ خلقها الله تعالى من حجة له فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولن تخلو إلى أن تقوم الساعة ، ولولا ذلك لم يعبد الله ، قيل : كيف ينتفع الناس بالغائب المستور ؟ قال عليه السلام : (كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب) .

وعن الحجة القائم عليه السلام قال : (وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأنظار السحاب ، وإني لأمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان أهل السماء) .

والأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى ، ومقتضاها تحقق الرد عن الباطل والهداية إلى الحق ، إلى الإمام في زمن الغيبة والمراد حصولها بالأسباب الخفية كما يشعر به حديث السحاب (الانتفاع بالإمام كالانتفاع بالشمس إذا غيبها السحاب) دون الظاهرة فإنها منتفية بالضرورة ولا ينافي ذلك تضمن بعضها الإعلان بالحق فانه من باب الإسناد إلى السبب)[1] .

حقيقة وجود المعصوم عليه السلام في المبدأ الإسلامي

إن من الحقيقة بمكان إن المبدأ الإسلامي يؤكد دوماً وأبداً وبنص القرآن الكريم ، إن الله تعالى هو مصدر الهداية ، وهدايته هي الهداية الحقيقة والواقعية ، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم ، وإلى طريق الحق وجادة الصواب والاستواء ، قال تعالى: «قل إن هدى الله هو الهدى»[2]. وقال تعالى:

---

(١) مفاتيح الأصول : ٤٩٦ – ٤٩٧ باب الإجماع .
(٢) الأنعام / آية ٧١ .

«والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[1] وقال تعالى: «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»[2]. وهذه حقائق لا ريب فيها يقرها العلم ويؤيدها ، ويدركها العلماء ويخضعون لها بكل وجودهم وملء عقولهم وإرادتهم .

ومن الحقيقة أيضا ، إن الإسلام يؤكد وينص على أن الأنبياء عليهم السلام وأوصياءهم ، هم الهداة الذين اختارهم الله سبحانه لتولي مسؤولية هداية العباد ، وقد حملوا مشعلها منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون ، لأن اللطف الإلهي اقتضى وجود حجة هادية وعلم مرشد ونور مضيء في كل آن وزمان ، وان الأرض لا تخلوا من حجة هادية مطلقا ، لئلا يكون للناس على الله حجة ، قال تعالى: «يوم ندعو كل أناسٍ بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كانَ في هذه أعمى فَهو في الآخرة أعمى وأضَل سبيلا» [3].

وهذا نص صريح وجلي ، على أن لكل أهل زمان إماما يدعون به يوم القيامة ، ويكون الاحتجاج به عليهم أو ليكون شاهدا عليهم يوم الحساب ، ويؤكد القرآن الكريم إن هذا الإمام موجود بجعل من الله سبحانه ، أي منصوب من قبل الله تعالى، لهداية الخلق إليه بأمره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا»[4]. وقوله تعالى: «إني جاعلك للناس إماما»[5].

والمراد بالإمام حسب المنطوق القرآني ، هو الذي يأتم به أهل كل زمن في سبيل الحق ، ويجتبى في كل زمان لهداية الناس بأمر الله تبارك وتعالى ويكون حجة الله على خلقه وشاهدا يوم الحساب عليهم . فمن اقتدى من الناس بإمام

---

(١) البقرة / آية ٢١٣ .
(٢) الأحزاب / آية ٤ .
(٣) الإسراء / ٧١ - ٧٢ .
(٤) الأنبياء / ٧٣ .
(٥) البقرة / ١٢٤ .

الحق – وهو إمام العصر – يؤتى كتابه بيمينه ، فيكون من الفائزين ، ومن عمى معرفة الإمام الحق في عصره ، واعرض عن إتباعه فهو في الآخرة من الخاسرين ، فهو أعمى وأضل سبيلا ، كما تقول كتب التفاسير المعتبرة ذلك كالميزان .

وعليه تحتم وجود إمام حق وهدى في كل عصر تتوفر فيه الصفات التي تؤهله للاحتجاج به على أناس زمانه يوم القيامة وحجة عليهم في الدنيا والآخرة ، وتكون معرفته وأتباعه في الدنيا وسيلة للفوز والنجاة في الآخرة ، وعدم معرفته في الدنيا والإعراض عن إتباعه يكون سببا في الخسران المبين والضلال الأشد في الآخرة .

وان هذا الإمام الحق يملك القدرة على الهداية للأخذ بيد أتباعه إلى الهدى والحق الذي يريده الله سبحانه ويحقق لهم الطاعة المرجوة والعبادة الحقيقة ، وبذلك تكون طاعته معتبرة عن طاعة الله سبحانه ، وان يكون قادرا على معرفة حقائق أعمال الناس ، ليتسنى له الهداية لهم والشهادة على أعمالهم .

وهذا يتطلب المعرفة الواسعة والعلم الغزير ، وان يكون عنده علم الكتاب من قبل الله سبحانه ، وان يتحلى بأعلى درجات العدالة والتقى والعصمة ، لكي لا يخل بأمانة نقل الهداية الإلهية إلى قومه ، ولا يحيف في شهادته عليهم يوم القيامة.

فالإمامة عهد من الله سبحانه وتعالى لا ينال من تلبس بظلم مطلقا ، ومما لا ريب فيه إن ارتكاب الخطيئة وفعل المعصية والشرور هي مصاديق للظلم ، وعليه فالمؤهل لان يكون إماما يجب أن يكون معصوما ، قال تعالى: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»[1] .

---

(١) البقرة / اية ١٢٤.

فالذي تتوفر فيه هذه الصفات كلها فهو الإمام الحق ، وقد توفرت جميعها في اثنى عشر رجلا من أهل بيت النبي ﷺأولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وأخرهم المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) .

وقد نص عليهم الرسول الأكرم ﷺالواحد تلو الأخر بأمر من الله سبحانه في مناسبات عديدة ، وأزمنة كثيرة ، حتى أصبح ظاهرا للعيان ومعروفا للأنام .

وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام خير من عرفهم النبي الأعظم ﷺبأمر من الله تبارك وتعالى لقيادة الأمة من بعده ، بعد أن أعدهم إعدادا تاما بأقواله وأفعاله ﷺوكان هذا الإعداد الرسالي تنفيذا للتخطيط الرباني ، وقد تجلى هذا التخطيط الرباني ، وقد تجلى هذا التخطيط فيما نص عليه الرسول الأكرم ﷺبقوله : (إني مخلف فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم اعلم منكم) [1]

يقول ابن حجر في صواعقه ص١٥١:

(ثم إن الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله ، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض ويؤدوه الخبر السابق : ((وتعلموهم فإنهم اعلم منكم)) وتميزوا بذلك عن بقيمة العلماء لان الله اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وقد مر بعضها) .

وقد اثبت الواقع التاريخي انحصار توفر العصمة وهذه الصفات بعد رسول الله ﷺ في الإمام علي ولأحد عشر إماما من أولاده وأولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺأي من ذرية رسول الله ﷺكما نسب نبي الله عيسى إلى إبراهيم من جهة البنت (مريم عليها السلام) .

---

(١) أخرجه حجر في صواعقه ص١٥٠ . والحاكم في مستدركه على الصحيحين ١٠٩/٣ وسنن الترمذي : ٦٦٢/٥ وغيرهم كثير .

روى البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال : (سمعت النبي ﷺيقول : (يكون اثنا عشر أميرا) فقال كلمة لم اسمعها فقال أبي : انه قال : (كلهم من قريش) .

رواه مسلم في صحيحه من عدة طرق ، عن جابر بن سمرة وبعده ألفاظ ، وفي بعضها لفظ : (إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي اثنا عشر خليفة ...) ، (لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا .....) ، (لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثنى عشر خليفة .....) وكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفيت ، قلت لأبي : يا أبه ما قال ؟قال : (كلهم من قريش) . رواه الترمذي وأبو داوود أيضا ، ورواه الطبري في المعجم الكبير وفي أوله : (يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيما لا يضرهم من خذلهم ....) ورواه المتقي الهندي في كنز العمال عن انس بن مالك بلفظ : (لن يزال هذا الدين قائما إلى اثنى عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها) راجع منتخب الأثر ومعجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ج٢ ص٢٥٥-٢٦٥. وكذلك كتاب أحاديث المهدي عليه السلام في مسند احمد بن حنبل .

الواقع التاريخي وبكل شفافية وجلاء تام إن المصداق الوحيد الذي تنطبق عليه ، هم الأئمة الاثنا عشر من عترة الرسول الأكرم ﷺحيث أنهم يختصون بهذا العدد تاريخيا ، كم هو واضح ومعلوم وتنطبق عليهم الأوصاف المستفادة من دلالات الحديث المتقدم والروايات الشريفة المستفيضة .

وقد ثبت عند المسلمين كافة – وهو محفوظ في ذاكرة التاريخ وسجلاته – وفاة الأئمة الأحد عشر من هؤلاء الأئمة الاثنى عشر ، وثبت عند الإمامية عدم وفاة الإمام الثاني عشر منهم ، وهو الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف ، وقد غيبته يد الحكمة والمصلحة الإلهية ، وهو يرى ولا يرى – رؤية الفاحص الخبير – وهو يحضر اجتماعات الأمة ومواسم الحج ، ويسدد المؤمنين ويراعيهم ويفيدهم كما تفيد الشمس من خلف السحاب .

وتتجلى رعايته عليه السلام بقضاء حوائج المؤمنين الشخصية والاجتماعية والإصلاح بينهم والدعاء لهم ، وتزويدهم بالوصايا التربوية ، والإجابة على الأسئلة الدينية ، وتعليمهم الأدعية ، كما سجلته المصادر المختصة بهذه الفترة[1] .

إذن من هو الإمام المنتظر الذي مثلت سيرته وسيرة أبائه المعصومين عليهم السلام السيرة الواقعية للإسلام النقي بعد عصر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. والتي كشفت لنا الصورة المشرقة لحركة الإسلام الأصيل الذي اخذ يشق طريقه إلى أعماق الأمة ووجدانها خصوصا بعد أن أخذت حركتها الديناميكية ، وطاقتها الحرارية تتضاءل بعد انتقال الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى ؟!

الإمام المهدي المنتظر عليه السلام

هو الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه وسل مخرجه الشريف وجعلنا من أنصاره بحق محمد واله الطاهرين ورزقنا شفاعته .

ولد في دار أبيه الحسن العسكري عليه السلام في مدينة سامراء أواخر ليلة الجمعة الخامس عشر من شعبان ، وهي من الليالي المباركة التي يستحب إحياؤها بالعبادة وصوم نهارها لروايات شريفة مروية في الصحاح مثل سنن بن ماجة ، وسنن الترمذي وغيرها من كتب أهل السنة[2] ، إضافة إلى ما روي عن أئمة أهل البيت[3] عليهم السلام .

---

(١) راجع تاريخ الغيبة الصغرى ص٣٦٣ و ص٥٩٧ وما بعدهما .

(٢) راجع مسند احمد بن حنبل : ١٧٦/٢. سنن بن ماجة : ٤٤٤/١. فيض القدير : ٤٥٩/٤. سنن الترمذي : ١١٦/٣ كنز العمال : ٤٦٦/٣. وغيرها كثير .

(٣) ثواب الأعمال للصدوق ص١٠١، مصباح المتهجد للطوسي ص٧٦٢. إقبال الأعمال للسيد بن طاووس ص٧١٨.

وكانت سنة ولادته المباركة (٢٥٥ هـ) على أشهر الروايات كما جاء في كتاب (الغيبة) للشيخ الثقة الفضل بن شاذان الذي عاصر ولادة المهدي عليه السلام وتوفي قبل وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام بفترة وجيزة[1] .

تواتر خبر ولادة الإمام المنتظر عليه السلام

إن أخبار ولادته عليه السلام قد تواترت ، ورواها الكثيرون من العلماء بأسانيد صحيحة على اختلاف مذاهبهم ، أمثال الطبري والفضل بن شاذان ، والحسين بن حمدان ، والمسعودي ، والشيخ الصدوق ، والشيخ الطوسي ، والشيخ المفيد ، ونور الدين عبد الرحمن الجامي الحنفي في شواهد النبوة ، والعلامة محمد مبين المولوي الهندي في وسيلة النجاة والبخاري في فصل الخطاب والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ، كما نقل خبر الولادة ما يناهز المائة وثلاثين من علماء مختلف الفرق الإسلامية بينهم عشرات المؤرخين ستة منهم عاصروا فترة الغيبة الصغرى أو ولادة الإمام عليه السلام والبقية من مختلف القرون إلى يومنا هذا ، أمثال ابن خلكان ، وابن الأثير ، وأبي الفداء ، والذهبي ، وابن طولون ، وسبط بن الجوزي ، وابن عربي ، والخوارزمي ، والبيهقي والصفدي ، واليافعي ، والقرماني ، وابن حجر الهيثمي وغيرهم كثير ، ومثل هذا الإثبات مما لم يتوفر لولادات الكثير من أعلام التاريخ الإسلامي[2].

---

(١) النجم الثاقب للميرزا النوري ١٤٦/٢. الكافي : ٣٢٩/١.

(٢) راجع دفاع عن الكافي : ٥٣٥/١ – ٥٩٢ للسيد ثامر العميدي .

ولقد أحيطت ولادته عليه السلام بالكثير من السرية والخفاء بأمر من والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام خوفا من السلطات العباسية الظالمة التي كانت ترصد ولادته لأجل أن تفتك به ، لذا طلب الإمام العسكري من عمته السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد أن تبقى في داره ليلة الخامس عشر من شهر شعبان ، واخبرها بأنه سيولد ابنه وحجة الله في أرضه فسألته عن أمه فاخبرها إنها نرجس ، فذهبت إليها وفحصتها فلم تجد فيها أثرا للحمل ، فعادت إلى الإمام وأخبرته بذلك فابتسم وبين لها إن مثلها مثل أم موسى عليه السلام التي لم يظهر حملها ولم يعلم به احد إلى وقت ولادتها لأن فرعون كان يتعقب أولاد بني إسرائيل .....

وقد أخبرت الكثير من الروايات الشريفة بان ولادته عليه السلام ستحاط بالخفاء ونسبت الإخفاء إلى الله تعالى، وشبهته بإخفاء ولادة موسى عليه السلام وفي بعضها بولادة إبراهيم عليه السلام وعلة ذلك حتى يؤدي رسالته .

روى الشيخ الصدوق مستندا عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام في حديث قال فيه : (أما علمتم انه ما منا إلا وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، إلا القائم الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه ؟ ! وان الله عز وجل يخفي ولادته ، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة النساء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته .....) [1].

حضور وفاة أبيه والصلاة عليه :

روى الشيخ الصدوق في "إكمال الدين" والشيخ الطوسي في "الغيبة" إن الإمام المهدي – عجل الله فرجه- قد حضر وفاة أبيه الإمام العسكري عليه السلام.

ونقل الطوسي عن إسماعيل بن علي .... (فلما مثل الصبي بين يديه سلم وإذا هو دري اللون في شعر رأسه قطط ، مفلج الأسنان ، فلما رآه الحسن

(١) إكمال الدين : ٣١٥ ، كفاية الأثر : ٣١٧ للصدوق .

عليه السلام بكى وقال : (يا سيد أهل بيته اسقني الماء فاني ذاهب إلى ربي) .... ثم قال له عليه السلام: (ابشر يا بني فأنت صاحب الزمان وأنت المهدي وأنت حجة الله على أرضه وأنت ولدي ووصيي وأنا ولدتك وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولدك رسول الله وأنت خاتم الأئمة الطاهرين وبشر بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسماك وكناك بذلك عهد إلي أبي عن أبائك الطاهرين صلى الله على أهل البيت ربنا انه حميد مجيد ، ومات الحسن بن علي من وقته صلوات الله عليهم أجمعين)[1] .

روى الشيخ الصدوق عن أبي الأديان البصري احد ثقاة الإمام العسكري عليه السلام: (..... فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قبيل المعتصم المعروف بسلمة فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه نعشه مكفنا ، فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة بشعره قطط بأسنانه تفليج ، فجذب رداء جعفر بن علي وقال : (تأخر يا عم فانا أحق بالصلاة على أبي) فتأخر جعفر وقد اربد وجهه واصفر وتقدم الصبي فصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه ، ثم قال : (يا بصري هات جوابات الكتب التي معك) فدفعتها إليه .....الخ)[2].

وكان لصلاة الإمام المهدي على والده الإمام العسكري انجاز عظيم وأهمية بالغة ، حيث توضح للحاضرين وللأمة هوية الإمام الثاني عشر المتمثل بشخصه الكريم عليه السلام هذا أولاً .

وثانيا منع عمه جعفر الملقب بالكذاب من استغلال هذا الموقف المهم للحصول على تأييد الناس لدعاويه التضليلية والمدعومة من قبل السلطة العباسية الجائرة بأنه هو الإمام بعد أخيه الحسن العسكري عليه السلام.

---

(١) غيبة الطوسي : ١٦٥.

(٢) كمال الدين : ٤٧٥ - ٤٧٦.

وقد عمد الإمام عليه السلام فعل ذلك وإعلان وجوده المبارك عليه السلام إكمالا للحجة على الرغم من المخاطر المترتبة على القيام بهذه المهمة .

حتمية وقوع غيبة الإمام المهدي (عج)

لقد سجلت المصادر الإسلامية الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام التي أخبرت عن حتمية غيبته – عجل الله فرجه – وبهذه الأحاديث الشريفة مهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار لهذه الغيبة التي لابد من وقوعها ـ لتكون معلومة لدى الأمة وواضحة .

فقد جاء عن الحافظ صدر الدين إبراهيم بن محمد الحموييني الشافعي في كتابه فرائد السمطين وغيره بأسانيدهم عن ابن عباس إن يهوديا اسمه نعثل ويكنى أبو عماره جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسأله عن أشياء ترتبط بالتوحيد والنبوة والإمامة فأجابه عليها فاسلم الرجل وقال :

اشهد أن لا الله إلا الله ، وانك رسول الله ، واشهد أنهم الأوصياء بعدك ، ولقد وجدت هذا في الكتب المتقدمة ، وفيما عهد إلينا موسى عليه السلام: إذا كان أخر الزمان يخرج نبي يقال له (احمد) خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، يخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط . فقال صلى الله عليه وآله: (يا أبا عماره أتعرف الأسباط) ؟ قال : نعم يا رسول الله أنهم كانوا اثنى عشر .

قال : (فان فيهم لأوي بن أرحيا) . قال : اعرفه يا رسول الله ، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل سنين ثم عاد فاظهر شريعته بعد دراستها وقاتل مع فريطيا الملك حتى قتله .

وقال صلى الله عليه وآله: (كائن في أمتي ما كان من بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، وان الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى ، ويأتي على أمتي زمن لا

يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ، فحينئذ يأذن الله بالخروج فيظهر الإسلام ويجدد الدين) .

ثم قال ﷺ: (طوبى لمن أحبهم وطوبى لمن تمسك بهم ، والويل لمبغضهم)[1].

وروى عنه ﷺانه قال : (من أنكر القائم من ولدي في غيبته مات ميتة جاهلية)[2].

وقال ﷺ: (المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم يأتي بذخيرة الأنبياء عليهم السلام فيملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما)[3].

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلامانه قال : (... ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما تكون له غيبة وحيرة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون ...)[4].

وقال عليه السلام: (وان للغائب منا غيبتين احدهما أطول من الأخرى فلا يثبت على إمامته إلا من قوي يقينه وصحت معرفته)[5].

وعن الإمام السجاد عليه السلامقال : (في القائم سنة من نوح وهو طول العمر)[6] إلى غير ذلك من الأقوال الشريفة فيه للائمة المعصومين عليهم السلام.

---

(١) فرائد السمطين : ٢ / ١٣٢ .
(٢) كمال الدين : ٤١٣ . كفاية الأثر : ٦٦ .
(٣) فرائد السمطين : ٢/ ٣٣٥ . وينابيع المودة : ٤٨٨ .
(٤) الكافي للكليني : ١/ ٢٧٣ .
(٥) ينابيع المودة للحافظ الحنفي : ٤٢٧ .
(٦) كمال الدين : ٣٢٣ .

الغيبة للإمام الحجة بن الحسن عليه السلام أمر حتمي ، أكدته الروايات الشريفة ، وهي على العموم إجراء تمهيدي كان لابد منه ليتسنى للإمام المهدي عليه السلام من الظهور وانجاز المهمة الإصلاحية العالمية الكبرى المنوطة به ، وإقامة الدولة الإسلامية العالمية التي يسودها القسط والعدل والبركات . وقد اقتضت الحكمة الربانية أن تكون هذه الغيبة على مرحلتين : صغرى وكبرى ، ولتتحقق عمليتا التأهيل والتمحيص الإعدادي ، وتتراكم الخبرات والمهارات المعرفية ، واللياقات النفسية عبر أجيال المجتمع استعدادا لظهوره عليه السلام ونصرته في مقاتلة أعدائه وبناء دولته العالمية العادلة .

فكان عليه السلام في الغيبة الصغرى يوضح بعض القضايا العقائدية المرتبطة بغيبته الكبرى ، ويعمل جاهدا على قضاء حوائج المؤمنين ويقدم لهم الإرشادات التربوية والأدعية المسنونة المرتبطة به عليه السلام وبغيبته والمبينة لما سيتحقق على يديه عند ظهوره بأمر الله تبارك وتعالى وغونه وتسديده .

ويتضح ذلك من خلال روايات التشرف برؤيته ولقياه في غيبته الصغرى والتي تكون مدتها قرابة السبعين عاما (٢٦٠-٣٢٩هـ) .

وهكذا يكمل الإمام المنتظر عليه السلام خلال الغيبة الصغرى ما تبقى مما تحتاجه الأمة خلال الغيبة الكبرى من العلوم والمعارف والإعداد والتأهيل والتمحيص مما يعين المؤمنين على التحرك والاستقامة على الطريق الحق والصراط المستقيم ليحفظ للأمة استمرار مسيرتها التكاملية ، وهذا ما يهدف إليه عليه السلام في غيبته الكبرى ، كما هو واضح من رسائله الصادرة عنه عليه السلام في تلك الفترة .

وهو الآن عليه السلام يقوم بمهامه الرسالية من خلال متابعة الأحداث والتطورات العالمية ، ومراقبة الظروف التي لابد من تحققها كي يتسنى له الظهور على الساحة الإنسانية بعد أن تستنفذ الحضارات الجاهلية كل ما في جعبتها من

قدرات وطاقات ، وتتفتح العقول البشرية وكذلك القلوب ، لتقبل الرحمة الإلهية وتلقي الهدي الإلهي من خلال قائد رباني قادر على قيادة الإنسانية جمعاء وتحقيق ما يريده الله له .

وذلك بعد أن تتهيأ كل الظروف الموضوعية اللازمة من حيث العدة والعدد وسائر الظروف العالمية التي ستمهد لظهوره عليه السلام وتفجير ثورته الإسلامية الكبرى ، وتحقيق أهداف الدين الحق وظهوره على الدين كله ولو كره المشركون ، وإقامة مجتمع العدل والتوحيد الخالص ، مجتمع الكمال والتوازن ، والتطور والأزدهار والسرور ولا غرو في ذلك البتة ، مادام الإمام مسددا من قبل الله تعالى في صغره أو كبره ، ومزودا بأهلية كاملة وكفاءة تامة كما أخبرت بذلك كتب الحديث والتاريخ ، وقد تحدث عليه السلام بجوامع العلم والحكمة وهو صغير ، وظهر له من خوارق العادات الكثير .

يقول ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي في ذيل ترجمته للإمام الحسن العسكري عليه السلام: لم يخلف الإمام العسكري غير ولده أبي القاسم محمد الحجة ، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن أتاه الله فيها الحكمة .....[1]

ويقول صاحب كتاب مرآة الأسرار للشيخ عبد الرحمن الجامي الحنفي في ترجمته : (كان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين وجلس على مسند الإمامة ، ومثله مثل يحيى بن زكريا حيث أعطاه الله في الطفولية الحكمة والكرامة ، ومثل عيسى بن مريم حيث أعطاه النبوة في صغر سنة كذلك المهدي جعله الله إماما في صغر سنه ، وما ظهر له من خوارق العادات كثير لا يسعه هذا المختصر)[2]

وقد ترك الإمام المهدي عليه السلام للأمة خلال مرحلة الغيبة الصغرى تراثا غنيا لا يمكن غض النظر والتغافل عنه ، وهو لا يزال يمارس مهامه القيادية وينفع الأمة كما تنتفع بالشمس إذا ظللها السحاب ، كما جاء في الأحاديث الشريفة .

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٤.
(٢) مرآة الأسرار.

رعاية الإمام المهدي عليه السلام للكيان الإسلامي والأمة

الإمام المهدي المنتظر – عجل الله فرجه – هو أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء كما تحدث هو عن نفسه بقوله : (وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأنظار السحاب ، واني لأمان أهل الأرض كما إن النجوم أمان أهل السماء) .

وقد قدم عليه السلام للأمة المنجزات الكثيرة ، والخدمات الجليلة ، وان سيرته العظيمة ، وتحركاته الهامة تتمحور حول إزالة الأسباب الموجبة لغيبته ، والتمهيد لظهوره المبارك الذي يترتب عليه تحقيق السلام والأمن والرفاه والازدهار ، في العالم اجمع ، ونشر الإسلام النقي في ربوع المعمورة ، والقضاء على المجرمين والظالمين وأعداء الإنسانية ، ورفع راية الحرية والإخاء والمحبة بين بني الإنسان ، وتحقيق السعادة المنشودة للبشرية جمعاء .وكان عليه السلام ولا يزال وبأساليب خفية يأخذ دوره الهام والمؤثر في الكثير من الحوادث الواقعة التي تصب في صالح تحقيق الأهداف الكبيرة المتقدمة الذكر من اجل الصالح العام .

ومما لا شك فيه إن الإمام عليه السلام يتابع الأوضاع العامة والخاصة للمؤمنين والأمة ويحيط علما بكل التطورات والأعمال العدائية التي تستهدف القضاء على الإسلام الحنيف الواقعي ، واستئصال المؤمنين فيتصدى لها ويتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أنواعها وصورها ، وبهذه الرعاية المهدوية حفظ الإسلام من (تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) . كما قال النبي محمد صلى الله عليه وآله: (إن لكل بدعة يكاذب بها الأيمان وليا من أهل بيتي موكلا يذب عنه ويعلن الحق ويرد كيد الكائدين) . وحفظ المؤمنين أيضا ، أتباع أهل البيت عليهم السلام واستمر وجودهم وتنامى على مدى الأجيال ، على الرغم من التصفيات الجسدية والمحاربة الفكرية الواسعة التي شهدها التاريخ الإسلامي والإنساني . يقول الإمام المهدي عليه السلام في رسالته الأولى للشيخ المفيد : (فانا نحيط علما بأنبائكم

ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم ومذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

إنا غير مهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء وإصطلمكم الأعداء)[1] .

اجل لولا رعايته – عجل الله فرجه – للمؤمنين ، والذب عنهم والتسديد لهم لأوشكت الفتن السوداء ، ومكر الأعداء ، أن ينهي وجودهم الفكري والجسدي .

تسديد العلماء والفقهاء

إن من المهام الرئيسة التي قام بها الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الكبرى ، انه حفظ الإسلام النقي للأجيال الذي تجلى بمذهب أهل بيت العصمة عليهم السلام وذلك عن طريق تسديد العمل الاجتهادي للعلماء والفقهاء وحال دون إجماعهم على الباطل بطريقة أو بأخرى ، جاء في كنز الفوائد للعلامة الكراجكي ما يأتي :

(.... لان هذه الآثار والنصوص في الأحكام موجودة مع من لا يستحيل منه الغلط والنسيان ، ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان ، وإذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلا بوجود معصوم يكون من ورائهم ، شاهد لأحوالهم ، عالم بأخبارهم ، إن غلطوا أهداهم أو نسوا ذكرهم أو كتموا ،علم الحق من دونهم .

وإمام الزمان عليه السلام وان كان مستترا عنهم بحيث لا يعرفون شخصه ، فهو موجود بينهم ، يشاهد أحوالهم ويعلم أخبارهم ، فلو انصرفوا عن النقل ، أو

---

(١) الاحتجاج : ٣٢٣/١ وعنه في معادن الحكمة : ٣٠٣/٢.

ضلوا عن الحق لما وسعته التقية ولأظهره الله سبحانه ومنع منه إلى أن يبين الحق وتثبت الحجة على الخلق)[1] .

ويقول العلامة السيد محمد المجاهد في كتابه مفاتيح الأصول : (... البناء على قاعدة اللطف التي لأجلها وجب على الله نصب الإمام فإنها تقضي ردهم لو اتفقوا على الباطل فانه من أعظم الألطاف ، فان امتنع حصوله بالطرق فالأسباب الخفية) .... إن وجود الإمام في زمن الغيبة لطف قطعا فيثبت فيه كل ما أمكن ، لوجود المقتضى وانتفاء المانع .

وان هذا اللطف قد ثبت وجوده قبل الغيبة فيبقى بعده بمقتضى الأصل ، إضافة إلى أن النقل المتواتر قد دل على بقائه وقد ورد ذلك عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بألفاظ ومعان متقاربة : (إن فيهم في كل خلف عدولا ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[2] .

وفي المستفيض عنهم عليهم السلام: (إن الأرض لا تخلو إلا وفيها عالم إذا زاد المؤمنون شيئا ردهم إلى الحق وان نقصوا شيئا تمم ذلك ، ولولا ذلك لإلتبس عليهم أمرهم ولم يفرقوا بين الحق والباطل) .

وهكذا يتوضح تسديد الإمام للعلماء والفقهاء ، ويتحقق الرد عن الباطل ، والهداية إلى الحق من الإمام المنتظر عليه السلام في زمن الغيبة والمراد حصولها بالأسباب الخفية .

وقد اهتم الإمام عليه السلام بتسديد العلماء والفقهاء العدول لأنهم يمثلون في الواقع واسطة بين الأمة والإمام عليه السلام لاسيما الذين يحتلون الدرجة الرفيعة ، والمكانة المتقدمة في توجيه الأمة وتثقيفها فكريا أو سياسيا أو تربيتها (فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم) .

---

(١) كنز الفوائد للعلامة الكراجكي :٢/٢١٩.

(٢) مفاتيح الأصول للعلامة السيد محمد المجاهد .

وفي كثير من الأحيان يتدخل الإمام عليه السلام بصورة مباشرة أو غير مباشرة عبر احد أوليائه[1]. وبالخصوص في الأمور المهمة والتحركات الخطيرة ذات التأثير على مسيرة الأمة وحركة الإسلام لكي يجعل تلك الأمور والتحركات تجري في صالح المؤمنين والأمة أو بما يدفع عن الجميع الأخطار والشدائد الماحقة ، والخطط المعادية المهلكة .

كما تخبر الكثير من الروايات الكاشفة عن تدخلاته عليه السلام .

وقد صرحت بعض الأحاديث الشريفة بان الخضر عليه السلام من مرافقيه في غيبته عليه السلام . لعله يستعين به عليه السلام [2] وبأمثاله المؤمنين المخلصين الورعين المتقين في القيام بما تقدم من مهام جسيمة وخطيرة وحافظة ومسددة ، ودافعة لحركة الأحداث بما يخدم الأمة ويصلحها ويرقيها نحو الكمال ، وبما يمهد لظهوره المبارك (عج) . وإعداد ما يلزم له من عوامل ومؤهلات .

كما صرحت الأحاديث الشريفة ، انه – عجل الله فرجه – يحضر موسم الحج في كل عام ، فينتهز هذه الفرصة للالتقاء بالمؤمنين القادمين من معظم أنحاء العالم يتعرف على أحوالهم ويوصل توجيهاته المختلفة إليهم من دون أن يكشف عن هويته الشريفة أو قد يكتفي بتعريفهم : (بأنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله كما تقول الرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق في كمال الدين : ٤٤٤) .

ومن الجدير بالذكر أن هناك روايات وأخبار خاصة تدل على مشاهدته في الغيبة الكبرى من قبل الأولياء المخلصين في كل عصر ، وعددها يفوق حد التواتر ، وقد نقل الميرزا ، النوري مائة منها في النجم الثاقب ، وفي المصادر الأخرى ما يزيد على ذلك بكثير[3].

---

(١) رعاية الإمام المهدي للمراجع والعلماء الأعلام . مجمع الشيخ كريم الجهرمي .

(٢) كمال الدين : ٣٩٠ وعنه في إثبات الهداية : ٣/ ٤٨٠ .

(٣) هناك مصادر أثبتت جواز الالتقاء بالإمام المهدي في الغيبة الكبرى : تاريخ الغيبة الصغرى : ٦٤٠ ، تاريخ الغيبة الكبرى : ١٠٧ ، النجم الثاقب الباب السابع للميرزا النوري ، بحار الأنوار للعلامة المجلسي . وغيرها كثير .

وطبيعي إن مقابلات الإمام عليه السلام تشمل كما مر سابقا قضاء حوائج المؤمنين المادية والمعنوية ، والوصايا التربوية ، وتوضيح غوامض المعارف الإلهية والتأكيد على الأحكام الشرعية الصحيحة وغير ذلك من مهامه عليه السلام في كل عصر وزمان .

أضف إلى ذلك إن هذه اللقاءات تؤدي إلى ترسيخ الأيمان بوجوده عليه السلام وإزالة كل التشكيكات المثارة ضده ، بالإضافة إلى الإيضاحات العلمية الدقيقة أو الكرامات الاعجازية التي تؤكد هويته عليه السلام وتقطع أي مجال للشكوك والظنون فيه عليه السلام.

وبناءً على ما تقدم ، ظهر أن للإمام المنتظر عليه السلام رعاية للأمة والمؤمنين لا توصف بأنها عظيمة وحسب ، بل إنها أعظم وأعظم ، لأنها تتناسب وعظمة الإمام عليه السلام وعظمة سيرته المثالية الواقعية ، وقدراته الاعجازية ، كما تتناسب أيضا مع ضخامة الهدف الإصلاحي العالمي الأكبر الذي أنيط به تحقيقه في دنيا الوجود ، باعتباره المصلح العالمي الأعظم ، الذي بشرت به الأديان والمذاهب ، ورجالات الفكر والفلسفة وهو الإمام الأخير من أئمة الحق والهدى والعصمة ، والمكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية العادلة المزدهرة ، وعلى يديه عليه السلام يحقق الله عز وجل وعده بإظهار الإسلام على الدين كله – ولو كره الكافرون – أو المشركون – وتوريث الأرض للصالحين وملئها قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا .

وما زالت الرعاية المهدوية ولم تزل ماثلة في الوجود وباقية مثول الإمامة وبقائها فيهم إلى قيام الساعة ، كما قال أئمة أهل البيت أنفسهم (عليهم السلام) : (والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة) . والله اعلم حيث يجعل رسالته .

مما لا ريب فيه إن هناك تكاليف مهمة أكدتها الأحاديث الشريفة للمؤمنين في عصر الغيبة ، وحثت على الالتزام بها ، نتيجة لما ترتبت عليها من آثار بالغة تساهم بصورة فعاله في تعجيل ظهور الإمام عليه السلام ومن هذه التكاليف ، هو تمتين الارتباط الوجداني بالإمام المنتظر عليه السلام والتفاعل العملي مع أهدافه السامية ، والدفاع عنها ، والشعور الوجداني العميق بقيادته ، والدعاء له بالحفظ والنصرة ، وتعجيل فرجه وظهوره ، وكبح أعدائه ، والتصدق عنه والمواظبة على زيارته ومن التكاليف المهمة أيضا ، هو إحياء القيم الدينية والأخلاقية والالتزام بها ، والعمل بالإسلام النقي الذي يمثله الحجة المنتظر عليه السلام والعمل بجد ونشاط من اجل إحياء أمر منهج أهل البيت عليهم السلام ونشر أفكارهم والتعريف بمظلوميتهم ، وموالاتهم والبراءة من أعدائهم والعمل بوصاياهم وتعاليمهم وتراثهم الثر ، والتسلح بالصبر والثبات على منهج الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وقد ورد عنهم عليهم السلام : (يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم ،فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان)[1] .

اجل هنيئاً للثابتين على أمر أهل البيت وإحيائه ، والسائرين على نهجهم ، والمنتظرين للفرج المهدوي ، والذي يعتبر من أفضل العبادات ، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام : (أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله)[2] .

وطبيعي إن هذا له ابلغ الأثر في تربية النفوس وارتقائها نحو الكمال ، كما يعتبر من الطرق المؤثرة في بناء وخلق الجماعة الصالحة التي تأخذ دورها في الإعداد والتأهيل ، كي تتحمل المسؤولية الإلهية من اجل نصرة وتجسيد الولاية الربانية المتمثلة في شخص الإمام عليه السلام على ارض الواقع بتعجيل ظهوره المبارك.

---

(١) كمال الدين : ٣٣٠ ، بحار الأنوار : ١٤٥/٥٢.

(٢) المحاسن للبرقي وعنه في بحار الأنوار : ١٣١/٥٢.

لقد أكدت الروايات الشريفة على عظمة الآثار المترتبة على انتظار الفرج المهدوي باعتباره من (أعظم الفرج)[1] . وبأنه (أحب الأعمال إلى الله) [2]وهو كما يقول الرسول الأعظم ﷺ : من (أفضل أعمال أمتي) ((كمال الدين :٦٤٤)) .

إذن فالانتظار هو من أفضل العبادات الفضلى إذا كان القيام به بنية التعبد لله سبحانه وبذلك يكون من أفضل الوسائل التربوية المقربة إلى ساحة القدرة والعظمة الإلهية ، ولهذا المعنى أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله الشريف : (طوبى لشيعة قائمنا ، المنتظرين لظهوره في غيبته ، والمطيعين له في ظهوره ، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[3] .

كما أن الإمام زين العابدين عليه السلام يعتبر المنتظر للإمام الحجة عليه السلام داخلاً في الجماعة الموسومة (بزمرة أولياء الله) ، لذا نراه يقول أن انتظار الفرج هو (أعظم الفرج) [4].

وعليه فان الانتظار هو وسيلة مهمة من الوسائل التربوية والوحدانية التي ترسخ تعلق الإنسان وارتباطه بخالقه العظيم ، وتثبت إيمانه العملي بهذا الرب الكريم ، من حيث قدرته على كل شيء ، وتدبيره المحكم لأمر خلائقه والرحمة بهم .

وهذا عامل مهم له عظيم الأثر في صلاح الإنسان ، والأخذ بيده نحو الرقي والكمال ، وهذا ما تهدف إليه معظم أحكام الشريعة وجميع عباداتها ، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إلا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجل من العبادة عملا إلا به

---

(١) كمال الدين : ٣٢٠.
(٢) الخصال للشيخ الصدوق وكمال الدين /٦٤٥.
(٣) كمال الدين : ٣٥٧.
(٤) نفس المصدر : ٣٢٠.

.... شهادة أن لا اله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله والإقرار بما أمره الله والولاية لنا والبراءة من أعدائنا والتسليم لهم - أي للائمة عليهم السلام- والورع والاجتهاد والطمأنينة والانتظار للقائم عليه السلام.....)[1] .

كما ويؤكد عليه السلام إن المنتظر للإمام المهدي عليه السلام يفوز بمقام الصحبة للإمام عليه السلام وينال أجرها ، بل يعتبر كالمجاهد المتضرج بدماه في سبيل الله بين يدي رسوله الله صلى الله عليه وآله والحائز على أعلى مراتب الشهداء المجاهدين المستشهدين دفاعا عن الحق والصراط المستقيم ، ولنقرأ ما يقوله الإمام الصادق عليه السلام بهذا الخصوص : (من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر) وقال عليه السلام: (من مات منكم على هذا الأمر منتظرا له كان كمن كان في فسطاط القائم عليه السلام [2].

وقال عليه السلام : (من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه ، قال الراوي : ثم مكث هنيئة ثم قال : لا بل كمن قارع معه بسيفه ثم قال : لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله [3].

والأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وعن أئمة الحق والهدى عليهم السلام كثيرة ومتعددة ، ويفهم منها إن اختلاف هذه الآثار في مراتبها يكشف عن تباين عمل المؤمنين بمقتضيات الانتظار ، أي فكلما اشتد الانتظار ، ازداد صاحبه مقاما وثوابا عند الله تبارك وتعالى، وكلما سمت مرتبته وارتفعت كلما تعاظمت آثارها المباركة وتزايدت ، وخاصة ازدياد الجهد في التهيؤ للانتظار بالورع والاجتهاد وتهذيب النفس من الرذائل والعادات المشينة والتحلي بالأخلاق النبيلة والصفات الحميدة ، والسلوك الحسن .

---

(١) غيبة النعماني: ٢٠٠، واثبات الهداة: ٥٣٦/٣.

(٢) كمال الدين: ٦٥.

(٣) المحاسن للبرقي: ٢٧٨/١ ح١٥٣. وعنه في بحار الأنوار: ١٢٦/٥٢ ح١٨.

ماذا يعني الانتظار؟

الانتظار في حقيقته ومعناه ، وما يتضمنه من غايات وأهداف ، وما يحويه من آثار ايجابية لها انعكاسات على الحياة الفردية والاجتماعية ، وهو موضوع واسع تناولته الأحاديث الشريفة والبحوث الفكرية والعقائدية والثقافية والنفسية ، شرحا وتحليلا وتحقيقا وتوضيحا ، نتيجة لما يتمتع به من أهمية عظيمة ، ولما يترتب عليه من آثار جليلة وفوائد كثيرة ، وعطاءات قيمة .

وعليه فقد ظهر من خلال تلك الروايات والبحوث المزبورة ، إن الانتظار هو عبارة عن :

(كيفية نفسانية ينبعث منها التهيؤ لما ينتظر ، وضده اليأس فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ أكد ..... فالمؤمن المنتظر مولاه اشتد انتظاره وازداد جهده في التهيؤ لذلك بالورع والاجتهاد وتهذيب نفسه وتجنب الأخلاق الرذيلة والتحلي بالأخلاق الحميدة حتى يفوز بزيارة مولاه ومشاهدة جماله في زمان غيبته كما اتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين ، ولذلك أمر الأئمة الطاهرون عليهم السلام فيما سمعت من الروايات وغيرها بتهذيب الصفات وملازمة الطاعات ، بل رواية أبي بصير مشعرة أو دالة على توقف الفوز بذلك الأجر حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: (من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر ، فان مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه ..... ولا ريب انه كلما اشتد الانتظار ازداد صاحبه مقاما وثوابا عند الله عز وجل ...)[1].

والانتظار يعني : (ترقب ظهور وقيام الدولة القاهرة والسلطنة الظاهرة لمهدي آل محمد عليهم السلام وامتلائها قسطا وعدلا وانتصار الدين القويم على جميع الأديان كما اخبر به الله تعالى نبيه الأكرم ووعده بذلك ، بل بشر به جميع الأنبياء والأمم ، انه

---

(١) مكيال المكارم : ١٥٢/٢ - ١٢٣.

يأتي مثل هذا اليوم الذي لا يعبد فيه غير الله تعالى ولا يبقى من الدين شيء مخفي وراء ستر وحجاب مخافة احد ....)[1].

وهكذا يتأكد بشفافية أن الانتظار هو عمل بناء باعث على الحركة العملية والتحرك الايجابي والالتزام بمنطق الحق والعدل المتمثل بمنهج آل محمد عليهم السلام والدعوة إليه ، وهو يتضمن حالة قلبية تؤدي بطبيعتها إلى انبعاث تلك الحركة التي تتمحور حول التهيؤ والاستعداد للظهور المرتقب وعلى هذا الأساس أصبح الانتظار من أفضل العبادات إضافة إلى انه يلزم صاحبه العمل بالورع ومحاسن الأخلاق وتهذيب الصفات وملازمة الطاعات كما تقول الروايات . وليس الترويج للفساد وكما يدعى .

جاء في كتاب النهضة والثورة المهدوية لمطهري : (ويستفاد من الروايات الإسلامية أن ظهور المهدي عليه السلام يقترن ببلوغ جبهتي السعداء والأشقياء ذروة عملهم كل حسب أهدافه لا أن ينعدم السعداء ويبلغ الأشقياء ذروة إجرامهم وظلمهم ، وتتحدث الأحاديث الشريفة ، عن صفوة من أنصار الحق تلتحق بالإمام فور ظهوره .... فحتى لو فرضنا أنهم قلة من الناحية الكمية إلا أنهم من الناحية الكيفية خيرة أهل الأيمان وبمستوى أنصار سيد الشهداء عليه السلام كما تتحدث عن التمهيد لثورة الإمام المهدي بسلسلة من الانتفاضات التي تقوم بها أنصار الحق .... كما تتحدث بعضها عن حكومة يقيمها أنصار الحق وتستمر حتى تفجر ثورة الإمام المهدي)[2].

وعلى كل حال فان الانتظار هو احد أهم الواجبات الإسلامية التي يتكلف بها المسلمون في عصر الغيبة ، واليأس منه حرام بالاستناد إلى الأدلة القرآنية ، قال تعالى: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو

---

(١) النجم الثاقب : ٢/٤٤٣.

(٢) النهضة والثورة المهدوية : ٦١ - ٨١.

كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[1].

وفي الانتظار يسود جو نفسي مفعم بالأمل والرحمة الإلهية ويخلق في المؤمن الدوافع المحرضة على المسارعة في توفير الشروط اللازمة لنصرة الحجة المنتظر عليه السلام من خلال الإعداد التربوي والتهذيبي للنفس والتحلي بأنبل الخصال وأفضل السجايا وأحسن السلوك مع دعوة الآخرين لمثل هذا الإعداد وتلك الصفات الحميدة .

يقول الإمام المهدي المنتظر – عجل الله فرجه - : (فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ، ويتجنب ما يدنيه من كراهيتنا وسخطنا فان أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة والله يلهمكم الرشد ، ويلطف لكم في التوفيق برحمته)[2].

وقال عليه السلام: (.... أما ظهور الفرج فانه إلى الله تعالى ذكره وكذب الوقاتون ... وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فان في ذلك فرجكم ...)[3].

وعليه ينبغي الاستعداد الدائم للظهور على ضوء القول الأول، والإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله بتعجيل الفرج له عليه السلام ولنا للملازمة على ضوء القول الثاني للإمام عليه السلام.

---

(١) التوبة / ٣٢ – ٣٣.

(٢) الاحتجاج : ٢/٤٩٥.

(٣) كمال الدين : ٤٨٣. وغيبة الطوسي : ١٧٦.

لقد أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة تنص على حتمية قيام الدولة المهدوية لإتمام النور الإلهي وإظهار الإسلام على الدين كله ، قال تعالى: «يريدونَ ليطفئوا نورَ اللّهِ بأفواههم واللّه متم نورِه ولو كره الكافرون . هوَ الذي أرسلَ رسوله بالهدى ودينِ الحقِ ليظهره على الدينِ كلهِ ولو كره المشركون»[1]

وقد أكد المفسرون في تفاسيرهم وعلى اختلاف مذاهبهم بان إظهار الإسلام الحق هو وعد حتمي الوقوع ، وإنما يتحقق في عصر المهدي الموعود حيث يظهر الإسلام على جميع الأديان فيعم المشارق والمغارب وتقام الدولة الإسلامية العالمية ، لان المقصود من الإظهار هو الغلبة والاستيلاء وليس مجرد قوة الحجة، لان غلبة الحجة أمر حاصل ابتداءاً ولا يبشر الله عز وجل إلا بأمر مستقبل غير حاصل كما استدل على ذلك الفخر الرازي في تفسيره الكبير[2] .

كما نصت آيات قرآنية أخرى على استخلاف المؤمنين الصالحين ووراثتهم الأرض وحكمها : «أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» (الأنبياء /١٠٥) وان الذين يستخلفهم في الأرض هم الذين امنوا وعملوا الصالحات من المسلمين الذين كانوا يستضعفون ولم يسمح لهم بعبادة الله بأمن . كما نصت على التمكين لهؤلاء دينهم الذي ارتضاه تبارك وتعالى لهم «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من

---

(١) الصف : ٨ - ٩.

(٢) التفسير الكبير : ٤٠/١٦. قد ذكرت التفاسير باختصاص تحقق هذا الوعد بعهد المهدي (ع) كتفسير القرطبي :١٢/٨. والتفسير الكبير : ٤٠/١٦. وتفسير الميزان : ١٥١/١٥ - ١٥٧. بالإضافة إلى الروايات من طرق أهل البيت المصرحة بذلك .

قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» (سورة النور /٥٥).

وهذه الآية المباركة والتي قبلها تتحدثان عن عصر ظهور المهدي كما يقول السيد العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان .

وهكذا يتحقق المجتمع التوحيدي الخالص الذي يعبد الله سبحانه وتعالى والعبادة الحقيقة ولم تبق هناك عبادة جاهلية أورده عن دين الله حق .

وبذلك يتجسد المصداق الجلي بصورة حقيقية وواقعية لأحد أهم الأهداف الإلهية من بعثة جميع الأنبياء عليهم السلام على ارض الواقع في دنيا الوجود . وبهذا تحقق السعادة للإنسانية والعبادة الحقة لله تعالى والتكامل الإنساني في ظلها ، وهذا كله – والحمد لله – يعتبر من خصائص الدولة المهدوية المملوءة قسطا وعدلا ، والمحققة لأمال البشرية وطموحاتها في الحياة ، والمعيدة للإسلام أصالته ونقاءه وللإنسانية جمعاء الكرامة والعزة والكمال .

سيرة الإمام المنقذ عليه السلام

إن من دواعي البركة والتبرك بسيرة هذا الإمام المنقذ عجل الله فرجه وفرجنا به ، أن نذكر لئالئ من سيرته الغراء على سبيل الاختصار ، تحقيقا للفائدة ، وإتماما لهذا البحث المختصر والمتواضع والذي يدور حول بعض من حياة خاتم الأوصياء الذي لا يعرف حقيقته إلا الله والرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام .

وأما ما يكتبه الناس في هذا الخصوص فهو جهد بسيط – إن شاء الله يؤجرون عليه – وهو ما جادت به أقلامهم ومعارفهم المكتسبة استنادا للروايات الشريفة الصادرة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيت العصمة والهدى عليهم السلام والمبينة للكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تنص على ذلك .

وعلى كل حال فان الأحاديث الشريفة نصت على إن الإمام المهدي عليه السلام يسير بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله و(يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله)، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان قبله ويستأنف الإسلام جديدا)[1] .

فالمهدي عليه السلام يهدم الجاهلية الثانية كما هدم جده النبي محمد صلى الله عليه وآله الجاهلية الأولى ويستأنف الإسلام الذي عاد غريبا كما بدا غريبا .

وللعلم إن الجاهلية الثانية اشد شرا من الجاهلية الأولى بدليل قول النبي صلى الله عليه وآله: (بعثت بين جاهليتين لأخراهما شر من أولهما)[2] . فسيرته عليه السلام وسيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله هي سيرة واحده ، وان كان هناك فروق بين السيرتين تفرضهما بعض الخصوصيات الزمانية لكل منها . وهو عليه السلام يحيي السنة المحمدية ويقفو اثر النبي صلى الله عليه وآله ويبين أثاره ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي)[3] .

وهو (يقفوا اثري لا يخطئ)[4] . و (يبين آثار النبي)[5] . وقال صلى الله عليه وآله :(رجل مني اسمه كاسمي يحفظني الله فيه ويعمل بسنتي)[6] اجل ، انه عليه السلام يدعوا الناس إلى سنة رسول الله ويجددها ، ويهدي إلى(أمر قد دثر وضل عنه الجمهور)[7] لذلك سمي المهدي .

فهو عليه السلام مع نفسه : (ما لباسه إلا الغليظ وما طعامه إلا الشعير الجشب) (الكافي ٤١١/١ واثبات الهداية : ٥١٥/٣) .

---

(١) غيبة النعماني : ٢٣٢ ، عقد الدرر للمقدسي الشافعي : ٢٢٧، تهذيب الأحكام ١٥٤/٦.
(٢) أمالي الشجري : ٧٧/٢ :
(٣) فتن ابن حماد : ١٠٢ ، القول المختصر لابن حجر : ٧ ، برهان المتقي : ٩٥.
(٤) الفتوحات المكية لابن عربي : ٣٣٢/٣.
(٥) إثبات الهداة : ٤٥٤/٣.
(٦) إثبات الهداة : ٤٩٨/٣.
(٧) سنن الدرامي : ١٠١ وعقد الدرر

وأما هو عليه السلام مع الله تبارك وتعالى: (يكون من الله على حذر ، لا يضع حجرا على حجر ، ولا يقرع أحدا في ولايته بسوط إلا في حد) (ملاحم بن طاووس :١٣٢) .

وأما هو عليه السلام مع الأمة فهو : الرؤوف الرحيم بهم ، وكان يوصف عليه السلام بأنه : (المهدي كأنما يعلق المساكن الزبد) (فتن ابن حماد /٩٨ وعقد الدرر :٢٢٧) .

وهو عليه السلام ذو الصدر الرحب والملاذ المنقذ الذي تأوي إليه الأمة .

وكما جاء في الحاوي للسيوطي : ٧٧/٢ وابن حماد ما نصه : (تأوي إليه أمته كما تأوي النحلة إلى يعسوبها) .

وقد جاء في برهان المتقي الهندي : ٧٧ ما يأتي :

(كما تأوي النحل إلى بيوتها) . لأنه عليه السلام يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، كما هو متواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام. حتى يبلغ من عدله وإحسانه ونبله ومروءته أن يتمنى الأحياء عودة الأموات ينعموا ببركاته وبعدله ، وقد جاء في القول المختصر ص٥ وابن حماد : ٩٩، ان (تتمنى الأحياء الأموات) .

ولاغرو في ذلك البتة لأنه عليه السلام وكما تقول الأحاديث الشريفة على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام أن المهدي – عجل الله فرجه – يحكم بحكم سليمان عليه السلام ، وداوود في قضائه أي بالعلم (اللدني) دون الاحتجاج بالبينة[1] . لكي يجسد العدل الحقيقي ويقره على ارض الواقع وهذه من خصوصيات عهده عليه السلام الملائمة لطبيعة الوضع العام في ذلك العهد المبارك .

ومن بركات عهده عليه السلام ومحاسن سيرته أن تختفي من الأرض وتزال مظاهر الشرك ولا يبقى في الساحة الإنسانية إلا التوحيد الخالص والترويج له ، ويكون الدين كله لله ، ويعبد الله سبحانه في كل بقعة من بقاع الدنيا عبادة حقيقة لا شائبة فيها .

---

(١) الكافي : ٣٩٧/١. واثبات الهداة : ٤٤٧/٣.

كما يقوم عليه السلام: (بعرض الأيمان على الجميع وينهي الحالة المذهبية فيوحد المذاهب الإسلامية ويصلح الله به أمر الأمة ويرفع إختلافها ويؤلف قلوبها)[1]. (على أساس السنة النبوية النقية وما اخفي أو ضيع من قيم الإسلام الأصيلة ، فهو كما قال جده صلى الله عليه وآله: (سنته سنتي يقيم الناس على ملتي وشريعتي)[2] .

ويقوم الإمام المنتظر عليه السلام بتنقية الدين من كل ما علق به من شوائب وتحريفات وبدع وضلالة غرسها أعداء الإسلام فيه وقد ورثها المسلمون خلال قرون الابتعاد عن الإسلام الأصيل بفعل حكام الجور ودعاة الانحراف المتسلطين والأساليب الماكرة .

وقد جاء في ملاحم السيد ابن طاووس : ٣٢ . (ليمحو الله به البدع كلها ويميت به الفتن كلها ، يفتح الله به باب كل حق ، ويغلق به كل باب باطل) .

ويقوم أيضا عليه السلام بإشاعة الأمن والرحمة والدقة في المحاسبة ، والمتابعة لمن اختارهم ولاة لحكم الأرض والذين هم ممن يتحلون بأعلى كفاءات الحاكم من العلم والفقه والشجاعة والنزاهة والإخلاص .

وعلامته عليه السلام (أن يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيما بالمساكين)[3] وفي عهده عليه السلام (يزاد المحسن في إحسانه ويثاب على المسيء)[4].

وعلى يديه عليه السلام تتحقق العدالة الاجتماعية نصا وروحا ، ويعاد نظام (التسوية في العطاء)[5] الذي كان سائدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. كما يجعل عليه السلام بيت المال قسمة مشتركة بين المسلمين دونما تفاضل أو تمييز تطبيقا لمبدأ العدالة الإسلامية المحمدية .

---

(١) ابن حماد : /١٠٢. والطبراني الأوسط : ١٣٦/١.

(٢) كمال الدين : /١١٤.

(٣) مسند ابن أبي شيبة : ١٩٩/١٥، سنن الدرامي : ١٠١ ، حاوي السيوطي : ٧٧/٢.

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) مسند احمد : ٣٧/٣.ميزان الاعتدال : ٩٧/٣.

وتتحدث الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ، عن كثرة عطاء الإمام المهدي – عجل الله فرجه – وتعتبرها سمة مميزة له عليه السلام فهو : (يحثو المال حثوا)[1] . عندما يعطي من سأله ، لكي يغني الناس بما يكفيهم ، وبما يحتاجون إليه ليجعلهم في رفاهية من العيش بحيث يتفرغوا إلى كل عمل فيه الصلاح والإصلاح والكمال والرقي والطاعة والعبادة . ليقيم عليه السلام بذلك المجتمع التوحيدي الأكثر تطورا ورقيا ، وتوفير كل متطلباته ، وإزالة كل العقبات عنه .

وهكذا (يفرج الله عن الأمة فطوبى لمن أدرك زمانه)[2] فالله سبحانه وتعالى يحقق عليه يديه عليه السلام للأمة الإسلامية ولبني الإنسان عموما كل طموحاتهم وأمالهم وأهدافهم وغاياتهم ، ويقيم المجتمع الموحد العابد الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، والساعي للخير والإحسان والبركات ، والسائر في منازل الكمال ومعارج النور .

فتخرج الأرض بركاتها وكذلك السماء ، وتحرر البشرية من ذل الحياة البهيمية ، والخضوع لأسر الشهوات ويفتح أمام الإنسان جميع أبواب التكامل والرقي المعنوي والتكامل الروحي فيشهد عصره عليه السلام تطورا فكريا وروحيا راقيا كما أكد ذلك الإمام محمد الباقر عليه السلام بقوله : (إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد ، فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم)[3].

يقول الإمام علي عليه السلام ضمن حديث له بخصوص الإمام المهدي عليه السلام :

(.... يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره ، وينصره بآياته ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعا وكرها ، ويملأ الأرض عدلا وقسطا ونورا وبرهانا ، يدين له عرض البلاد وطولها حتى لا يبقى كافر إلا آمن ولا صالح إلا صلح

---

(١) مسند احمد : ٣/٨٠.

(٢) إثبات الهداة : ٣/٥٠٤.

(٣) إثبات الهداة : ٣/٤٤٨. الكافي : ١/٢٥. كمال الدين : ٦٧٥.

ويصطلح في كلمه السباع وتخرج الأرض بركاتها وتنزل السماء بركتها وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاما ، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه)[1].

ومن خلال ما تقدم يتضح لبني الإنسان اجمع إن صلاح البشرية وخيرها وتكاملها المادي والمعنوي ورقيها وازدهارها وسعادتها إنما يتحقق في ظل رسالة السماء وبواسطة أولياء الله المعصومين عليهم السلام لأنهم حجج الله في الأرض والامتداد الطبيعي للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والادلاء على الله لنيل مرضاته فهم (أئمة الهدى ومصابيح الدجى وإعلام التقى وذوي النهى وأولي الحجى وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى)[2] ، والسابقون إلى تسلق الكمال الإنساني المنشود .

فعلى أيديهم وعلى يد خاتمهم الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام الذي وعد الله به الأمم يتحقق كل ذلك ، (ولذلك يرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء) كما أخبر عن ذلك جده الأكرم رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله.

الأيمان بالمصلح والمنقذ العالمي تجسيد لحاجة فطرية عامة

انه لمن الأفضل ونحن نصل إلى ختام هذا البحث المتواضع أن نشير ، إلى أن الأيمان بالمصلح العالمي ، والمنقذ الأكبر ، هو في الحقيقة تجسيد لحاجة فطرية ليست في الفكر الديني وحده وحسب ، وإنما في الفكر الأخر أيضا الذي لا يمت إلى الدين بصلة ، لان الأيمان بحتمية ظهوره ، وتأسيسه الدولة العدل والمساواة والأمن والرفاه ، وهو من النقاط المشتركة التي تسالمت عليها جميع الأديان السائدة على الساحة البشرية .

---

(١) إثبات الهداة : ٣/٥٢٤.

(٢) الزيارة الجامعة .

يقول أية الله الشيخ محمد أمين زين الدين (قدس سره) : (إن الأيمان بحتمية ظهور المصلح الديني العالمي وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كل الأرض من نقاط الاشتراك البارزة بين جميع الأديان)[1].

اجل ، إن هذا الأيمان هو تجسيد لحاجة فطرية في الفكر الديني وفي غيره من الأفكار الأخرى ، لذا بشرت به جميع الأديان وكثير من المفكرين من قبل ومن بعد ، لأنه يعتبر المنقذ العالمي والمصلح الأكبر ، الذي يتحقق على يديه السلام والعدل والازدهار بعد أن تضع الحرب أوزارها ، في كل بقعة من بقاع العالم .
فمثلا يقول المفكر البريطاني الشهير (برتراندرسل) : (إن العالم في انتظار مصلح يوحده تحت شعار واحد)[2] .

ويقول العالم الفيزياوي المعروف (البرت انشتاين صاحب النظرية النسبية) : (إن اليوم الذي يسود العالم كله فيه السلام والصفاء ويكون الناس متحابين متاخين ليس ببعيد)[3] .

ويقول المفكر والفيلسوف الايرلندي (برناردشو) – وبصورة دقيقة وجلية وشفافة جدا – بما يقترب من عقيدة الإمامية بالمهدي (ع) في كتابه : (الإنسان السوبرمان) الذي نقله عنه الدكتور عباس محمود العقاد في كتابه عن برناردشو ، في وصف المصلح بأنه : (إنسان حي ذو بنية جسدية صحيحة ، وطاقة عقلية خارقة ، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل ، وانه يطول عمره حتى ينيف على ثلاثمائة سنة ، ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور ، وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة)[4] .

---

(١) المهدوي والمهدوية : ص١٣.
(٢) المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه : ٦.
(٣) المهدي الموعود ودفع الشبهات عنه : ٧.
(٤) برناردشو للاستاذ العقاد : ١٢٤ – ١٢٥.

وقد علق الأستاذ عباس محمد العقاد على كلمة برناردشو في كتابه الموسوم : (برناردشو) بالقول : (يلوح لنا أن سوبرمان شو ليس بالمستحيل ، وان لا تخلو من حقيقة (ثابتة) نقلا عن كتاب (المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي :٩) وقد نقلها الشيخ محمد حسن آل ياسين في كتابه : (المهدي المنتظر بين التصور والتصديق :٨١) وللفائدة راجع كتاب أعلام الهداية بهذا الخصوص .

إذن فان قضية الإمام المهدي - عجل الله فرجه - هي قضية إنسانية قبل أن تكون دينية ، وإنها التعبير الدقيق عن ضرورة تحقق الطموح الإنساني بشكله التام ، وبصورته الشفافة والمشرقة .

وعندما يقف عندها المفكرون على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم ، وأفكارهم ، فلأهميتها العظيمة وآثارها الجليلة ، لأنها تعبر عن حاجة فطرية عامة ، يشترك فيها بنو الإنسان عموما ، وهذه الحاجة تقوم على ما جبل عليه الإنسان من تطلع مستمر للكمال ، بكل صوره ، وان ظهور المصلح العالمي ، والمنقذ الأكبر للبشرية من الظلم والجور بكل أشكاله ، وإقامة دولته المملوءة قسطا وعدلا في اليوم الموعود ، يعبر عن بلوغ المجتمع الإنساني في حالة الاستقامة والتوازن ووصوله إلى كماله المنشود .

يقول أية الله الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) :

(ليس المهدي عليه السلام تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب ، بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية ، بمختلف أديانها ومذاهبها وصياغة للإلهام فطري أدرك الناس من خلاله - على تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب - أن للإنسانية يوما موعودا على الأرض تحقق فيه رسالات السماء مغزاها الكبير وهدفها النهائي ، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مر التاريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل) .

بل لم يقتصر هذا الشعور الغيبي ، والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينيا بالغيب ، بل امتد إلى غيرهم أيضا وانعكس حتى على اشد الأيدلوجيات

والاتجاهات رفضا للغيب ، كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات وأمنت بيوم موعود ، تصفى كل التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام .

وهكذا نجد أن التجربة النفسية لهذا الشعور والتي مارستها الإنسانية على مر الزمن من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموما بين بني الإنسان)[1] .

إذن فالإجماع قائم على حتمية اليوم الموعود كما قال اية الله السيد المرعشي في مقدمة الجزء الثالث عشر من (إحقاق الحق) : (وليعلم أن الأمم والمذاهب والأديان اتفقت كلمتهم – إلا من شذ وندر – على مجيء مصلح سماوي الهي ملكوتي لإصلاح ما فسد من العالم ، وإزاحة ما يرى من الظلم والفساد فيه ، وانارة ما غشيه من الظلم ، غاية الامر انه اختلفت كلمتهم بين من يراه عزيزاً ، وبين من يراه مسيحاً ، ومن يراه خليلاً ، ومن يراه – من المسلمين – من نسل الإمام ملانا أبي محمد الحسن السبط ومن يراه من نسل الإمام مولانا أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد ....)[2] .

وقد تأكد أيضا وبصورة جلية أن البشارات السماوية الواردة في الكتب المقدسة تهدي إلى الإمام المهدي المنتظر عليه السلام الذي يقول به مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وقد أثبتته دراسات متعددة في نصوص هذه البشارات . ولزيادة الإيضاح والمعرفة والتيقين اقرأ : (البشارات والمقارنات ، أو بشارات عهدين للشيخ الصادقي ، والمهدي المنتظر والعقل ، لمحمد جواد مغنية ، والبراهين الساباطية تحقيق القاضي جواد الساباطي ، من أعلام القرن الثالث عشر الهجري ، الذي كان عالما نصرانيا ثم اسلم على المذهب السني) .

وعلى كل حال فان الإمام المهدي المنتظر عليه السلام هو حقيقة إنسانية ودينية وتأريخية لا تقبل الريب ، تعيش في ضمير الإنسانية ووجدانها من قبل أن تستقر في

---

(١) بحث حول المهدي :٧ – ٨ .

(٢) إحقاق الحق مقدمة ج ١٣.

عقل الأمة الإسلامية وقلبها المؤمن النظيف من الرين والزيغ والشطط ، وهو الامتداد الطبيعي للرسول والرسالة إلهية ، والخاتم للأوصياء عليهم السلام .

فان وجوده والانتظار لظهوره ، هو باعث قوي وفعال على التحرك الايجابي نحو الخير بمفهومه الأوسع والذي يشكل عامل دفع للإنسانية جمعاء ولأتباع الأنبياء جميعا للتحرك باتجاه تحقيق الأهداف والغايات والقيم الأصيلة ، التي تسعى البشرية بكل جهدها من اجل تحقيقها في دنيا الإنسان .

وهذا ما تفتقر إليه المبادئ الوضعية ، لذلك فهي تعيش الضبابية ، والتخبط ، والطوبائية ، وعدم المصداقية على ارض الواقع الإنساني ، مما يجرها إلى الإفلاس والفشل والخسران المبين ، وعدم الملائمة للواقع المعاش .

الخلاصة

وعليه فان وجود الأئمة المعصومين الاثنى عشر (عليهم السلام) بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وتواجدهم في الساحة الإنسانية ، الواحد تلو الأخر باعتبارهم الامتداد الطبيعي للرسول والرسالة ، له الأثر الايجابي الفاعل في تسيير سفينة الحياة البشرية ، نحو شاطئ الأمان وساحة الكمال ، وتحقق الأهداف الإنسانية الكبرى لما يملكونه عليهم السلام من طاقات خلاقة ، وكفاءات تامة ، وقدرات عالية ، وأفكار مسددة ، ولما يتمتعون به من ملكة العصمة ، والسداد في الرأي ، والمصداقية ، والرؤية الواضحة ، ولما يتصفون به من صفات حميدة ، وسجايا نبيلة ، وأخلاق عظيمة ، وشجاعة نادرة ولكن - ياللأسف الشديد- إن أصحاب الدنيا والمتاع الزائل وعشاق السلطة ، وعبيد اللذة ، وإسراء الهوى ، من أمويين وعباسيين ومن اختط نهجهم ، أو سار على دربهم ، زرعوا العراقيل وشيدوا الحواجز في طريق الأئمة عليهم السلام والصالحين من أتباعهم ، بحيث لم يتركوا وسيلة ماكرة أو طريقة ملتوية إلا اتبعوها ، رغبة منهم ، في تعطيل برامجهم الرسالية عليهم السلام من أن تأخذ دورها

الإصلاحي والتربوي في الحياة الإسلامية وعموم الإنسانية ، فكانت خسارة البشرية نتيجة لهذا التصرف الحاقد والخاطئ فادحة جدا .

ولكن – ومع كل ذلك – فان الأئمة عليهم السلام لم يألوا جهدا ، ولن يتركوا فرصة سانحة إلا وأضاؤوها بنور هديهم ، وتوجيههم ، وتثقيفهم ، وتوعيتهم ، مما جعل الأمة الصالحة على بصيرة من أمرها ، ففعلت هذه البصيرة فعلها الايجابي البالغ، في مجريات الأمور ومسيرة الأحداث وتربية الأجيال ، وإيجاد الصلاح .

وعلى اثر ذلك وجدت الجماعة الصالحة الفاعلة المتقية ، فشمرت عن سواعدها وبإخلاص مذهل ، من اجل الأخذ بأيدي الناس ، نحو الالتزام بالحق والدين النقي الذي يريده الله ورسوله صلى الله عليه وآله إضافة إلى ما تركه أئمة الحق والهدى عليهم السلام ، من تراث ضخم وغني لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه ، لان له دورا مهما وبارزا في عملية البناء الفكري السليم ، والسلوك القويم للأمة مما يسارع في تحقيق الأهداف وبلوغ الأمة وعموم الإنسانية كمالها المنشود .

وألان ونحن نعيش فترة الانتظار للإمام المعصوم الثاني عشر ، نتطلع إلى اليوم الموعود الذي تشرق فيه شمس الحقيقة والحرية الحقيقية وولادة دولة العدل والاستقامة المرجوة ، التي ستعم البشرية بدون استثناء ، لكي تنعم بالخير الوفير والسعادة والازدهار .

فالإمام عليه السلام وان كان غائبا إلا انه – وكما مر – ما فتئ يوجه ويسدد ويربي وينفع كما تنفع الشمس إذا ظلها سحاب .

ولا غرو فان كل هذا قد ألقى بثقله الايجابي على الأمة وعموم الفكر الإنساني ولا زال ، لكي تتقدم البشرية نحو التوازن والاستقرار والأمن والسلام حتى بلوغ الكمال المنشود ، في ذلك اليوم الموعود .

وبديهي إن هذا غير موجود البتة في المبادئ الوضعية والأفكار الأرضية – كما هو معلوم ومقرر في أيدلوجياتها - .

إذن كيف يتسنى لهذه الأفكار والمبادئ الوضعية أن تحقق للبشرية ، أهدافها وسعادتها في الحياة ، وهي تفتقر إلى ذلك الثقل الكبير والتراث الضخم المملوء بالسداد الفكري ، والرؤية الصادقة ، والحكمة البليغة ، والتجربة الثرية ؟؟! .
وكيف تستطيع أن تحقق للبشرية أهدافها وسعادتها وهي تعتمد على أفكار طوبائية مشوشة ، يسودها الشك والظن والوهم وعدم اليقين ، والرؤية غير الصادقة والفكرة اللاقاطعة ؟؟ .

وهي كل ما تعتمد عليه ، مجموعة من أفكار قاصرة صادرة عن إنسان قاصر غير ملهم ولا عصمة له ، ولا يعلم ماذا يحدث غدا ، وكل ما في أفكاره أنها مستحدثه قد تكون وليدة واقع معين أو ظرف طارئ في طريقهما إلى التبدل والتغير ، أو وليدة مصلحة آنية سريعة الزوال .

لذا لا يكون هناك مكان أو حيز لتلك الأفكار الضيقة والقاصرة على الساحة الإنسانية عندما تهب رياح التغيير ، والتطور الفكري وظهور الحقيقة ، لأنها لا تملك من الحق والقدرة والاستعداد ما يؤهلها على الصمود والبقاء أمام الواقع الجديد الذي يغايرها ، في الأهداف والغايات والمناهج ، فيكون حالها حال الكثير من الأفكار الطوبائية والمجافية للحق والفطرة البشرية ، والواقع الإنساني ، التي سرعان ما انتفخت ، سرعان ما انفجرت واختفت في دهاليز التاريخ المظلمة ، وإلى الأبد .

وعليه فان كل مبدأ أو نظام أو قانون أو تشريع لا يكون مصدره الله تبارك وتعالى، ولا يبلغ به المعصوم – أو من ينوب عنه – ويحث عليه ويسعى إلى تطبيقه ، يكون حضه من الصمود صفرا .

إلا بقوة السلاح والاستبداد والبغي وسحق الحريات ، وهذا خلاف لمبادئ الأخلاق وحقوق الإنسان وغير محقق للسعادة المطلوبة البتة .

وهذا ما حصل في الغابر من التاريخ الإنساني والحاضر منه ، فنرى إن ذلك المبدأ اللاحق قد يسود فترة ويختفي فترات ويظهر أخرى ، ولكن مصيره الفشل الذريع ، والخسران المبين في كل ظهور .

إذن فالعقل كل العقل ، أن نتمسك بالمبدأ والدين الحق الخالي من كل شائبة وتطرق وإرهاب وضبابية ، وان نعمل بما يأمر به المعصوم عليه السلام ، ويقرره ، ويجسده على ارض الواقع من قوانين ، وقيم ، ومفاهيم ، وأفعال ، وأخلاق ، وسلوك ، وحدود ، ومناهج ، لكي نسعد ونفوز في الدارين ، وبذلك نكون من أولى النهى ، وأرباب العقول الصائبة والنفوس المؤمنة «ومن يأته مؤمناً قد عَمِلَ الصالحاتِ فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى»[1].

وهكذا اتضحت الأهمية الكبرى لوجود الإمام المعصوم عليه السلام ، وتبنت أثاره البليغة جلية وواضحة في صحة المسار ووضوح الطريق واستقامة الصراط ، وتوحد الكلمة وتراص الصفوف ،وتحقق الغايات والأهداف المنشودة .

كما اتضح أيضا أن الشعور بوجوده ومآزرته عليه السلام يشيع في الأمة ألاطمئنان والأمان ، وانه عليه السلام صمام النجاة من كل زيغ وانحراف يضر بسفينة الحياة عندما تتلاطم أمواج بحار الفتن والبدع والمشكلات .

فوجود الإمام المعصوم والشعور الدائم بوجوده فهو بالحقيقة ضرورة ما بعدها ضرورة ، لان لهذا الوجود والشعور ألأبعاد المهمة ، والممتدة في أعماق الأمة وحاضرها ومستقبلها مما جعلها تسير على هدي وبصيرة ، وسلامة في الفكر والتخطيط ، ورزانة في السلوك والتصرف ، وتسارع في الخطى نحو التوازن والتكامل والرقي .

---

(١) سورة طه /٧٥-٧٦.

القسم الثاني

الفصل الاول

الحكم والحكومة في المنظور الإسلامي

وبناءً على ما تقدم ، أصبح الحديث عن الرؤية الإسلامية للحكم والحكومة مستساغاً وملحاً وفي مكانه ووقته المناسبين ولو بصورة إجمالية ، بعيدا عن التفصيل والإسهاب والتعقيد ، بعد أن انتهينا من التمهيد ، والمقارنة بين الإسلام كشريعة إلهية تتسم بالواقعية والأخلاقية ، وتنسجم مع الفطرة البشرية ، وبين المبادئ الوضعية والأفكار المادية الغربية عن الواقع والمجافية للفطرة الإنسانية .

وكذلك الاستنتاج ، والنتائج الحتمية ، مرورا بالإمام المهدي – عجل الله فرجه وسهل مخرجه - كقضية إنسانية قبل أن تكون دينية ، وافتقار المبادئ اللادينية لهذه القضية الهامة في ارتقاء الحياة الفكرية والاجتماعية والسلوكية والروحية ، وأثارها الجليلة على تقدم المسيرة الإنسانية نحو الحياة الأفضل وتحقيق العدل والتكامل المطلوب .

مع ذكر بعض المواضع ذات العلاقة ، ومن أراد التوسعة والزيادة في المعرفة والفائدة ، فليراجع الموسوعات و المصادر الخاصة بذلك ، من أولى الخبرة وأصحاب الاختصاص .

وعلى كل حال ، أقول :

إن من المعلوم لكل ذي لب ومعرفة بأمور الحياة التي تخص الفرد والمجتمع ، يقرر : انه لابد من وجود حكومة تنظم تلك الأمور بما يتناسب والحياة الفردية والاجتماعية ، من تسهيل لأمورها ، وحل لمشكلاتها ، وتنظيم لعلاقاتها ، وتحديد لمساراتها على كل الأصعدة ومختلف المستويات .

ولما كان الدين مجموعة من التشريعات والأحكام الصادرة عن المولى جل وعلا ، لتنظيم حياة الإنسان ، فردا كان أو جماعة فلا بد من وجود ، حاكم عادل

على رأس حكومة ، لتنفيذ قوانين السماء على الأرض ، وتجسيد تلك الأحكام على ارض الواقع لكي لا تبقى تحت رحمة المصادفات ، أو حبرا على ورق .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى حتى يكون بالإمكان تحقيق الهدف المنشود وهو إقامة حكم الله في الأرض ، والغاية المرجوة وهي نيل رضا الله تبارك وتعالى. ومن هنا تقتضي الحكمة والضرورة ، أن تقوم سلطة على أساس التشريعات والأحكام الإلهية ، لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ومحاربة الظلم والظالمين بواسطة وإشراف حاكم عادل بعيد عن البغي والسفاهة والاستبداد ، تطبيقا لقوله تعالى: «قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين» [1].

والظالم هو الذي لا يحكم بما انزل الله سبحانه لقوله تعالى: «ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون» [2] وكذلك الذي يتعدى حدود الله سبحانه وتعالى، ولا يأتمر بما أمر به ولا ينتهي عما نهى عنه ، فهو في عداد الظالمين لقوله تعالى: «ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» [3].

والظلم أنواع ، فتارة قد يظلم الإنسان نفسه بتكبره وعدم طاعته لله تعالى وتنفيذ أوامره والابتعاد عن معاصيه ، وتارة أخرى قد يظلم أبناء جنسه ، وكلما اتسعت مسؤوليته ازداد ظلمه وكبر واشتد خطره ، وعاث في الأرض فسادا وإفسادا ، وفي الناس قتلا وسجنا وتشريدا ، في اغلب الأحيان .

وقد شهدت البشرية أنواعا متعددة من الظلم والظالمين خلال مسيرتها التاريخية ومنذ بداية نشأتها ، حتى أن الكرة الأرضية شهدت أول جريمة قتل إنسان صالح وهي بعد لم يبلغ مجموع أفراد ساكنيها عدد الأصابع ، وقد أشار القرآن الكريم لذلك بقوله تعالى: (وقتل قابيل هابيل) لا لشيء سوى أنهما قربا قربانا إلى

---

(١) البقرة/١٢٤.
(٢) المائدة/٤٥.
(٣) البقرة/٢٢٩.

الله تعالى فتقبل من هابيل لأنه مؤمن ولم يتقبل من الأخر ، فحسد أخاه وبمداخلة الشيطان الرجيم نفذ جريمته وندم بعدها .

وهناك على مر التاريخ ، الكثير ممن أسس أساس الظلم والجور على بني الإنسان ، وخصوصا على الطيبين والمصلحين والأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، من أنبياء ومرسلين ومؤمنين بالله العظيم وشرائعه العادلة .

ولقد وصل الصلف والكبر بهم أن اعتبروا أنفسهم ظل الله في الأرض ، أو وكلاء عنه ، أو أربابا من دونه سبحانه كنمرود ، وفرعون الذي قال لبني إسرائيل : «أنا ربكم الأعلى» .

وهامان ويزيد والحجاج والسفاح ومن على شاكلتهم كثير حتى يومنا هذا ، وقد فاق بعض المجرمين الجدد أسلافهم جريمة وخسة وظلما وتنكيلا .

وقد عانى ما عانى الأنبياء وحواريهم ، والأوصياء وأتباعهم ، والأئمة عليهم السلام وأبنائهم والسائرون على دربهم صنوفا من الأذى ، وأنواعا من البلاء ، وألوانا من التعذيب النفسي والجسدي على أيدي هؤلاء اللكع الظلمة المجرمين وأعوانهم القذرين على طول الخط التاريخي .

وكان القدر الجامع ، والهدف المشترك لهؤلاء الطغاة ، العتاة ، هو قتل الفضيلة ونشر الرذيلة ، والانحراف عن جادة الحق والصواب ، وإطفاء نور الله في الأرض ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون والكافرون والمجرمون والظالمون .

ولكن الله تبارك وتعالى قابل مكرهم هذا بان نصر الحق وأهله «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»[1] ، «كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين»[2]. فنسفت الأديان السماوية مشروعية صلاحيات الحكام المتسلطين ، لتحصر الإلوهية والربوبية بالإله الحق الواحد الأحد ، خالق السموات والأرضيين وما فيهما وما بينهما وما فوقهما

---

(١) الروم/٤٧.
(٢) يونس/١٠٣.

وما تحتهما ، بل خالق كل شيء وهو المدبر الرازق . قال تعالى: «إن الحكم إلا لله» [1]. وقال تعالى: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير» [2].

كما أن من لطف الله جل وعلا ، انه يعطي النظام الوجودي الفيض آنا بعد آن ، لأنه يحتاج إلى الفيض الإلهي في كل وقت وانه سبحانه يقوم بتنظيم الحياة من خلال خليفة يجعله في الأرض ، يعمل جاهدا من اجل تطبيق الشريعة وحفظ النظام ، والقرآن الكريم والسنة الشريفة يؤكدان ذلك بصورة قاطعة ، بالإضافة إلى الأدلة العقلية . قال تعالى: «إني جاعل في الأرض خليفة» [3]. أي خليفة الله في كل نظام الوجود وموقعه في الأرض .

عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : (أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت) أي لإنهدمت وانخسفت بأهلها.[4]

وعنه عليه السلام في رواية أخرى : (لو بقي اثنان لكان احدهما الحجة على صاحبه)[5] وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد : إن الأرض لا تخلو من حجة ، وان الله ما ترك أرضا منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله ، وهو حجته على عباده)[6].

نستنتج مما تقدم – ومن باب اللطف الإلهي ، والفيض والجعل الرباني – إن الإنسان مهما كثر عدده أو قل لابد أن يكون هناك نظام ينظمه ، وإمام يهتدي به

---

(١) يوسف /٤٠.
(٢) آل عمران /٢٦.
(٣) البقرة /٣٠.
(٤) الأصول من الكافي ج١ كتاب الحجة باب الأرض لا تخلو من حجة ج١٠ / ١٧٩.
(٥) الأصول من الكافي ج١ كتاب الحجة باب انه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان احدهما الحجة ح٢ ص١٧٩٨.
(٦) بحار الأنوار ج٣٢ ح ١٤ ص١٩.

في مسيرة حياته ، وفق شريعة عادلة تستوعب كل ما يحتاج إليه في ظرفه الزمني الذي يحيط به وبيئته التي يعيش فيها ، وهذه الشريعة متماشية مع تطوره وصعوده نحو الكمال .

وبعبارة أخرى وجود سلطة تنفيذية وعلى رأسها حاكم عادل ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحكم بالعدل والإحسان ويحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويحارب الظلم ، وينشر المساواة والحرية المشروعة ، طبقا لما يريده الله عز وجل من أوامر ونواه ، وتنفيذا لإحكامه وتشريعاته المتطورة حسبما تقتضيه الحكمة والضرورة الحياتية ، ابتداءاً من لدن آدم عليه السلام وحتى الشريعة الخاتمة ، شريعة الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الشريعة الكاملة المتكاملة التي تغني ولا يستغنى عنها البتة لأنها استوعبت حياة الإنسان وكل ما يستجد من أمور في حياته المستقبلية ، من يوم ولادتها في ارض الجزيرة العربية وحتى نهاية الحياة وقيام القيامة.

وأما ما نراه من حكومات جائرة أثناء المسيرة البشرية الطويلة فهو الاستثناء من القاعدة ، ولا يمثل إلا خط الانحراف عن الشريعة والحق والعدل ومنطق العقل والحكمة .

إذن فالإسلام هو دين البشرية الخالد ، دين الفطرة والغريزة الطاهرة ، دين الحياة والمستقبل «إن الدين عند الله الإسلام» ، «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[1] ويؤكد القرآن الكريم في آية أخرى : «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة»[2] فكأن الإنسان وجد مصبوغا بهذه الصبغة الإلهية مفطورا على فطرة التوحيد .

ولقد تجسد الإسلام قولا وعملا وسلوكا ومنهجا ، فكرا وعقيدة شريعة وأخلاقا ، دولة ونظاما على ارض الواقع أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأيام وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أخذه عن ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه

---

(١) الروم/٣٠.
(٢) البقرة/١٣٨.

تلميذه الأمين وقد تربى في حجره ﷺ ونهل علمه ، وتخلق بأخلاقه وآدابه وتخرج من مدرسته الرسالية الكبرى . يقول الدكتور محمد طي ما نصه :

(هذا النظام جرت محاولات لتطبيقه ، وكان ممن طبقه الرسول الأكرم ﷺ وقد أخذه الإمام علي عليه السلام عن الرسول . ونحن عندما نتناول نظام الحكم عند الإمام علي عليه السلام فإننا نريد أن نتناول نظام الحكم الإسلامي نفسه ، ذلك لان الإمام عليا عليه السلام كان التلميذ الأمين للرسول ﷺ وهو الذي تمثل الإسلام فكان الإسلام مجسدا في لحم ودم لا يعرض له الزلل والخطأ..)[1] .

تعريف الحكم لغةً واصطلاحاً

وإتماماً للفائدة ينبغي معرفة ماذا تعني كلمة الحكم في اللغة وما هو التعريف ألاصطلاحي لهذه الكلمة التي تتردد في كتب الحكم والسياسة، وعلى شفاه الناس.

الحكم لغة : (الحكم) القضاء وقد (حَكم) بينهم يَحْكُم بالضم (حُكم) و (حكَمَ) له وحكم عليه . و (الحُكْم) أيضا الحكّمة من العلم . و(الحكيم) العالم وصاحب الحكمة . والحكيم أيضا المتقن للأمور وقد (حكُم) من باب ظُرف أي صار حكيما و (أحكمه فإستحكَمَ) أي صار محكما . و (الحَكَمَ) بفتحتين الحاكم . و (حَكّمه) في حالة (تحكيما) إذ جعل إليه الحكم فيه (فأحتكَمَ) عليه في ذلك . واحتكموا إلى الحاكم و (تحاكموا) بمعنى . و (المحاكمة) المخاصمة إلى الحاكم .

وفي الحديث : (إن الجنة للمُحكّمين) وهم قوم من أصحاب الأخدود حُكّموا وخُيّروا بين القتل والكفر فإختاروا الثبات على الإسلام مع القتل[2] .

الحكم اصطلاحا :

---

(١) الإمام علي (ع) ومشكلة نظام الحكم ص٩.

(٢) مادة حكم / مختار الصحاح للرازي /ص١٤٨.

الحكم : هو ممارسة للسلطة على الناس . والسلطة هي القابلية أو القدرة على فرض الإرادة على الآخرين . هذه القابلية أو هذه القدرة يمكن أن تنشأ من مصدر مشروع منسجم مع القانون أو من مصدر خارج إطار المشروعية ، فتتخذ شكل القوة[1].

وقد عرف العديد من المفكرين والسياسيين السلطة بأنها : (ممارسة نشاط ما على سلوك الناس) وهكذا يرى (جيرهارد ليبهولز) في السلطة : (القدرة على فرض الإرادة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على كائنات بشرية)[2].

((أما مصدر السلطة فيراه بعض الباحثين بشرياً ، بينما يراه بعض آخر إلهياً)) أما الذين يرون مصدر السلطة في البشر فيختلفون في تحديد الهيئة البشرية التي تمتلك هذه السلطة . فمنهم من يرى أن هذه الهيئة هي الشعب ، ومنهم من يرى هي الأمة تفوضها إلى الحكام ، وبعض ثالث يرى أنها يمكن أن تفوض أو أن تؤخذ بطريقة أخرى ، وهذا رأي مؤيدي الاستبداد الملكي وغير الملكي .

أما الذين يرون إن مصدر السلطة الهي فهم فريقان :

الأول : المدرسة السنية : وقد آمنت هذه المدرسة بالشورى وانتخاب أهل الحل والعقد ، فيكون انتخاب الناس للحاكم كاشفا عن إرادة الله ، ويقول بهذا الجرجاني الايجي والرازي ويأخذ به غيرهم من علماء السنة أيضا .

فقد جاء في شرح المقاصد : (إن اختيار أهل البيعة للإمام دليل لنيابة الله ورسوله له وان ((البيعة إمارة دالة على حكم الله ورسوله بأمانة صاحب البيعة به))[3].

ويتساءل الرازي في (الأربعين في أصول الدين) : لم لا يجوز أن يكون اختيار الأمة شخصا يكشف عن كونه نائبا لله تعالى[4]؟

---

(١) الدكتور محمد طي في كتابه الإمام علي ومشكلة نظام الحكم / ص١٣.
(٢) جان مينو مدخل إلى علم السياسة / ترجمة ج يونس.
(٣) شرح المقاصد /ج٥ /ص٢٥٦.
(٤) الأربعين في أصول الدين / ص٤٣٩.

الثاني : نظرية النص التي يقول بها الشيعة ، ويرون فيها : إن الله يعين الحاكمين "بالنص" . فقد أمر النبي محمد ﷺ بالايصاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده إلى ابنه الحسن ثم الحسين ثم علي زين عابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ابن جعفر ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد الجواد ثم علي الهادي ثم الحسن العسكري ثم الحجة المنتظر عيهم أفضل الصلاة وأتم التحية والسلام .

وقد توفوا إلا الحجة المهدي المنتظر فانه حي يرزق ، وقد قال عنه النبي ﷺ: (إذا تظاهرت الفتن وأغار بعضهم بعضا يبعث الله المهدي يفتح حصون الضلالة وقلوبا غلقا ، يقوم في أخر الزمان ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما)[1] .

ولقد أكد الرسول الأكرم ﷺ على الائتمام بإمام وإلا كان جاهليا ويموت ميتة جاهلية فنراه ﷺ يقول : (من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية)[2] .

والإمامة التي تؤمن بها الشيعة ، هي الإمامة العامة التي ينبغي أن تتوفر فيها عناصر أربعة هي : العصمة ، النص ، الديمومة ، والعلم الخاص . وهذا حسب رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأما بشأن المسؤوليات التي عهدت إلى الإمام والأدوار التي كان على الإمام أن ينهض بأدائها فهي :

١- الدور الوجودي التكويني (الولاية) .

٢- الدور التشريعي (المرجعية الدينية) .

٣- القيادة السياسية .

٤- القدوة الصالحة [3] .

هذه العناصر وتلك المسؤوليات هي التي صارت موضعا للنزاع بين فرق المسلمين منذ الصدر الأول من تاريخ الإسلام حتى اللحظة .

---

(١) اخرجه الحموين في فرائد السمطين .

(٢) الكليني ، روضة الكافي ج٨ ص١٢٩ ومسند احمد بن حنبل : ٩٦/٤.

(٣) بحث حول الإمامة ص٩- ١٠ حوار مع كمال الحيدري .

وهنا ملاحظة مهمة يجدر الإشارة إليها وهي : ((أن البعد السياسي للإمامة هو بعد ثابت بالبداهة ، لحاجة الأمة إلى قائد سياسي لإقامة العدل . وإذا كان المعصوم موجودا فهو الأولى أولوية تعينية وان القيادة تنصرف إليه حصرا .

أما في حال غيابه فليست العصمة شرطا لحكم في النظرية السياسية الإمامية ، بل يملأ المركز بمن يشغله كما يشير إلى ذلك الاجتهادات المختلفة لنظريات الحكم في عصر الغيبة))[1].

ومن الجدير بالانتباه ، إن الأبعاد الكاملة لفلسفة الإمامة في اشتراط العصمة ، والنص والديمومة والعلم الخاص لا تتضح من دون أن تتحدد بجلاء المسؤوليات التي أنيطت بدور الإمامة حسب المنظور القرآني .

فالدور التشريعي (بيان العقائد والأخلاق والأحكام) ، يستلزم العصمة للإمام في المراحل الثلاث من التلقي والتبليغ والسلوك الخارجي ، حتى لا يحصل هتك حرمة العبودية للمولى سبحانه أو منافاة ، وعليه يجب الطاعة للإمام .

وان الدور الوجودي أو البعد التكويني للإمامة وهو قانون طبيعي وجودي كبقية القوانين التكوينية موضوعة الهداية يستلزم العلم الخاص غير الكسبي ، ويصفه مطهري : بأنه ذروة مفهوم الإمامة كما في كتابه (الإمامة ترجمة كسار)[2].

وان فلسفة اشتراط العصمة في الإمام ليست شرطا ضروريا لإثبات قيادته السياسية وخلافته للنبي ﷺ في إدارة شؤون الأمة ، بل لأجل إثبات مرجعيتهم الدينية (الأئمة عليهم السلام) التي هي على حد مرجعية النبي ﷺ مع فارق إن النبي ﷺ يوحى إليه وهم يأخذون منه ، لذا رفعوا اليد عنها بعد ذلك .

إن فلسفة النص ووظيفته تكمن في إثبات عصمة الإمام والكشف عنها لإثبات قيادته السياسية ، وهذا إلا يتنافى مع وجود نصوص قرآنية وروائية كثيرة أثبتت القيادة السياسية لأمير المؤمنين عليه السلام وأولاده تبعا له بعد النبي ﷺ (يا أيها

---

(١) بحث حول الإمامة /ص٣٢٥.

(٢) إمامة / ص٤٥.

الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)[1].

وحديث الغدير المعروف والمتفق عليه . والذي ينص على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام .

لذلك تم التخلي عن هذا الشرط في عصر الغيبة ، والعصمة أمر خفي على الناس فلا يمكن نيلها من خلال الاختيار والانتخاب ، وهكذا يأتي النص كاشفا عن المعصوم (والعصمة تدور مدار اليقين ، مدار العلم وليس العمل بل يكون العمل مترتبا على هذا العلم) .

وأما بشأن الديمومة ووجود متأهل من أهل البيت عليهم السلام في كل عصر بحيث لا تخلو الأرض من حجة ، فان ذلك يرتبط بشكل مباشر بالدور التكويني الذي عهد به إلى الإمام والمهمة الوجودية التي ينهض بها على ما نطقت به الآيات والروايات[2].

الإمامة الامتداد الطبيعي للنبوة

الإمامة في نظر مدرسة أهل البيت عليهم السلام امتداد طبيعي للنبوة ومن شؤونها ، لأنها تكمل مسيرتها الإلهية في الحياة الإنسانية من حيث تطبيق مفرداتها التشريعية في كل حقل من حقول الحياة ، خلال المسيرة الطويلة للإمامة والممتدة من انتقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى وحتى نهاية فترة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام .

لذلك أكد القرآن الكريم على الإمامة ونص عليها بقوله تعالى«يا أيها الرسول بلغ ما أنزلَ إليك مِن رَبك وإن لَم تفعل فما بلغت رسالته والله

---

(١) المائدة /٦٧.

(٢) بحث حول الإمامة ص٩٩.

يعصمك من الناس...»[1] وقال تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[2] ((والذي آتى الزكاة وهو راكع هو أمير المؤمنين علي عليه السلام)) إذ تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة فاثبت له الولاية كولاية الله ورسوله [3].

كما نص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأمر من الله سبحانه على إمامة علي عليه السلام وولديه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة والتسعة المعصومين من ذرية الحسين (عليهم السلام) حيث قال صلى الله عليه وآله حديثه المسمى بحديث الثقلين : (إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردى عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) .

وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم خليفتين ....) أو (إني تارك فيكم الثقلين .....) وفي رواية عن أبي سعيد الخدري : قال صلى الله عليه وآله: (إني أوشك أن ادعى فأجيب .....) ثم يأتي الحديث إلى أن يصل : (وان اللطيف اخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) ، وهذا الحديث صحيح ، متواتر من حيث السند ، وقطعي الصدور عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

وقد روى هذا الحديث الصحيح المتواتر القطعي الصدور أكثر من ثلاثين صحابيا ، وما لا يقل عن ثلاثمائة عالم من كبار علماء السنة في مختلف العلوم والفنون ، في جميع الاعصار والأمصار والقرون بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة ، وفيهم أرباب الصحاح والمسانيد وأئمة الحديث والتفسير والتاريخ كما جاء في الموسوعة الجليلة (عبقات الأنوار) للعالم الهندي الكبير السيد حامد حسين الكهنوي (١٢٤٦ – ١٣٠٦هـ) .

---

(١) المائدة : ٦٧.

(٢) المائدة /٥٥.

(٣) الدر المنثور ١٠٥/٣ ، تفسير الدبري الكاشف للزمخشري : ٢٥٨/٢.

ويقول السيد محمد تقي الحكيم : إن هذا الحديث بلغت أحاديثه من طرق السنة إلى تسعة وثلاثين حديثا ، ومن طرق الشيعة إلى اثنين وثمانين حديثا ، على ما أحصاه صاحب كتاب (غاية المرام)[1]. ومن بين رواته صحيح مسلم وسنن الدارمي وخصائص النسائي وسنن أبي داوود وابن ماجة ومسند احمد ومستدرك احمد ومستدرك الحاكم وذخائر الطبري وحلية الأولياء وكنز العمال .

وكذلك رواة من المفسرين أمثال : الرازي والثعلبي والنيسابوري والخازن وابن كثير وغيرهم ، بالإضافة إلى عدد كبير من كتب التاريخ واللغة والسير والتراجم .

ويؤكد هذا الحديث الشريف على العصمة المطلقة لأهل البيت عليهم السلام. لأنه ينص في وصف علاقة القرآن بالعترة الطاهرة بقوله : (ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) .

ومن المعروف باللغة أن لن تفيد التابيد ، أي أنهما لن يفترقا أبدا منذ الصغر وحتى نهاية العمر ، ولو كان هناك اشتباه أو نسيان أو معصية – معاذ الله – في أي فترة من فترات أعمارهم عليهم السلام لافترقوا عن القرآن الكريم ، وهذا خلاف النص الشريف لحديث الثقلين ، فإذن تثبت لهم العصمة مطلقا من عدم الافتراق من الولادة إلى قيام الساعة .

ويثبت كذلك علمهم عليهم السلام بكل صغيرة وكبيرة في كتاب الله الكريم ، لأنهم لم يفترقوا عنه في لحظة من لحظات حياتهم الشريفة ، لذا فان ما من شيء يحتاج إليه الإنسان للوصول إلى الهدف الذي خلق من اجله إلا وهو موجود في القرآن الكريم وهم عليهم السلام يعلمون به . لأنهم ((عدل القرآن) أو أنهم ((القرآن الناطق) . والقرآن المجيد يصرح بأوضح عبارة : «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء»[2].

---

(١) الأصول العامة للفقه المقارن : ١٦٤ – ١٦٦.

(٢) النحل /٨٩.

ولا نستغرب من ذلك أبدا ، لأننا لو نظرنا إلى ما أشارت إليه الآية الكريمة : «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك»[1] ، والذي عنده (علم من الكتاب) هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ عند الله سبحانه - بانه - سيحضر عرش بلقيس من مأرب باليمن إلى مجلس سليمان عليه السلام بالشام قبل طرفة عين واحدة ، وهو يعلم ببعض من علم الكتاب ، واحضره في الحال بأسرع ما يكون باسم الله الأعظم .

جاء في حديث مأثور عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال : (إن آصف بن برخيا قال لسليمان عليه السلام : مد عينيك حتى ينتهي طرفك ، فمد عينيه فنظر نحو اليمن ، ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب ، ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه)[2].

وقيل إن الأرض انخسفت ما بين عرش بلقيس ومجلس سليمان في لحظة واحدة ، وإذا بالعرش في المجلس بإذن الله كما تقول بعض التفاسير المعتمدة .

فآصف وزير النبي سليمان عليه السلام عنده علم قليل من علم الكتاب، يصفه الإمام الصادق عليه السلام لسدير الذي سأله عن : (عنده علم من الكتاب) قال عليه السلام : قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر ... ، قال : فأومأ بيده إلى صدره وقال : علم الكتب والله كله عندنا ، علم الكتاب والله كله عندنا)[3].

وعلى الرغم من هذا العلم القليل من علم الكتاب إلا انه استطاع أن يأتي بعرض ملكة سبأ من اليمن إلى نبي الله سليمان عليه السلام ، فكيف بمن عنده علم الكتاب كله كأمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام بمفاد حديث الثقلين وهذه الآية الكريمة : «ويقول الذين كفروا لست مرسلا كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» .

---

(١) النمل / ٤٠.

(٢) نور الثقلين ج٤ ص٨٧.

(٣) الأصول من الكافي ج١ ح٣ ص٢٥٧.

قال صاحب تفسير الميزان : (وبهذا يتأيد ما ذكره جمع ووردت به الروايات من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام ، إن الآية نزلت في علي عليه السلام فلو انطبق قوله : «ومن عنده علم الكتاب»[1] على احد ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وآله يومئذ لكان هو ، فقد كان اعلم الأمة بكتاب الله ، وتكاثرت الروايات الصحيحة على ذلك ولم يرد فيه إلا قوله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين المتواتر من طرق الفريقين (لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) لكان فيه كفاية .

وحديث الثقلين هو الحديث المعروف الذي رواه الفريقان عن جم غفير من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) الحديث[2].

وكذلك في البصائر وفي الكافي وفي تفسير العياشي وفي تفسير البرهان عن ابن شهر أشوب ، وعن الفقيه ابن المغازلي الشافعي أيضا وغيرهم يقول : إن الذي عنده علم الكتاب هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي المعاني بإسناده عن خلف بن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله جلّ ثناؤه ، قال : (الذي عنده علم من الكتاب) ذاك وصي أخي سليمان بن داوود ، فقلت له : يا رسول الله فقول الله : (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال : ذاك أخي علي بن أبي طالب.

وكما هو معلوم من طرق الروايات والآيات إن الله سبحانه وتعالى علم جبرائيل عليه السلام وأرسله إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله ليبلغه ويعلمه وهو بدوره صلى الله عليه وآله اخذ في تعليم أمير المؤمنين عليه السلام فعلمه ألف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب .

---

(١) الرعد/٤٣.

(٢) تفسير الميزان ج١٣ ص٣٨٧.

وأمير المؤمنين علي عليه السلام علّم ولديه الحسن والحسين والإمام الحسين علم ولده زين العابدين وهكذا الإمام السابق يعلم الإمام اللاحق حتى وصل إلى الإمام الغائب الحجة المنتظر سلام الله عليهم أجمعين .

قال الإمام الصادق عليه السلام : (حدثني أبي وحدث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث علي أمير المؤمنين وحديث علي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله حديث جبريل وحديث جبريل هو قول الله تعالى) .

فالأئمة الاثنا عشر عليهم السلام علمهم واحد وحديثهم واحد ، فهم المعصومون من الخطأ ، والمنزهون عن العيب ، والمطهرون من الارجاس مادية كانت أو معنوية بصريح القرآن المجيد ، قال عز من قائل : «إنما يريد الله ليَذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»[1] .

جاء في الميزان : (فهم الحجة على الخلق ، وأهل البيت عليهم السلام لم يستعملوا التصرف التكويني دائما بل استخدموه للضرورة القصوى ، فحيث تغلق أمامهم السبل لإثبات إمامتهم وخلافتهم الحقيقية لرسول الله صلى الله عليه واله كانوا يستعينون بالتصرف التكويني)[2] .

اجل فأهل البيت عليهم السلام هم الحجة على الخلق ، وهم الأئمة والخلفاء بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبناء على دورهم في المرجعية الدينية ومهماتهم التشريعية التي ينهضون بها في مضمار بيان العقائد والأخلاق والأحكام ، فعندئذ تجب طاعتهم وأتباعهم والأخذ منهم .

ومن هذه الحيثية تعد أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم شرعية – أي منجزة ومعذرة وفق التعبير الأصولي – على حد حجية الرسول محمد صلى الله عليه وآله ولهذا ينطبق

---

(١) الاحزاب /٣٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ج١٥ ص٣٧١ .

عليهم قول الله تبارك وتعالى:«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[1].

لذلك شبههم الرسول الأعظم ﷺ بسفينة النبي نوح عليه السلام لان الراكب فيها ناج ، والمتخلف عنها غارق في نار جهنم وبحرها المتأجج ناراً واشتعالا وعذاباً .

قال ﷺ :(مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[2] .

كما نلاحظ في وصية أمير المؤمنين لابنه الإمام الحسن عليه السلام ، تأكيده : إن رسول الله أوصى إليه ، ودفع إليه أشياءه الخاصة : الكتب والسلاح ليجري تناقلها من إمام إلى إمام ، وذلك إذ يقول : (يا بني أمرني رسول الله ﷺ أن أوصي إليك وان ادفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول اله ﷺودفع إلي كتبه وسلاحه)[3] .

الرسول ﷺ وموقف الأمة

لقد تعهد الرسول الأكرم محمد ﷺ أهل بيته الطاهرين ، وما انفك يوصي بهم خيراً وإحساناً وإتباعاً ، منذ بزوغ فجر رسالته الغراء وحتى آخر لحظة من حياته الشريفة ، وقصة (الكتف والدواة) خير شاهد على ذلك ، تنفيذا لأمر الله تعالى، لأنه ﷺ «لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» .

مرض الرسول ﷺ مرضه الأخير ، فأفاق من إغماءة إصابته فقال ﷺ : (ائتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا) . ثم أغمي عليه ﷺوقام من يلتمس له ما طلب . فقال احدهم : (ارجع فانه غلبه الوجع) وقيل :

---

(١) الحشر /٧.

(٢) القندوزي الحنفي وينابيع المودة ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ج١ ص٢٦.

(٣) نهج السعادة ج٧ ص١٥٩.

قال له : (فانه يهجر حسبنا كتاب الله) فرجع ، ولما أفاق النبي ﷺقال له بعضهم : (ألا نأتيك بالكتف والدواة ؟) .

فقال ﷺ : (ابعد الذي قلتم .....؟ ولكني أوصيكم بأهل بيتي خيرا ، واعرض بوجهه عن القوم فنهضوا)[1] .

وبديهي إن الأمر الذي أراده النبي محمد ﷺهو الوصية مرة أخرى يخص أهل بيته وخاصة ولاية أمور المسلمين ، بالإضافة إلى الطاعة والاحترام وعدم الإذلال والقتل والتشريد والقرائن تدل على ذلك .

ومما يؤكد ذلك تجهيز النبي ﷺلجيش أسامة وتأميره على كبار الصحابة وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره ، وتسييرهم إلى الشام أبان مرضه ، ولكن القوم أصروا على البقاء في المدينة بالرغم من حث الرسول ﷺ إياهم على المسير ومقولته الشهيرة : (أنفذوا بعث أسامة لعن الله من تخلف عنه) وجعل يكررها[2] .

أهكذا يقابل الرسول محمد ﷺ وهو في ساعاته الأخيرة من عمره الشريف ؟ وبمثل هذا يواجهونه ﷺ ؟ فبعض يقول : غلبه الوجع ، وشخص يقول فانه يهجر حسبنا كتاب الله ، وبعض يتعمد العصيان ويتخلف عن تأدية أوامره ﷺ ولم يذهب مع جيش أسامة إلى أطراف الشام ، وبعض يسمع ويصمت ، وبعض يتشفى ويتفرج وبعض لم يأبه أو يتألم من غضب الرسول ﷺ عليه أو لعنه له ، وبعض لم يذرف دمعة واحدة على الحالة المؤلمة التي بات فيها النبي ﷺحيث المرض الشديد الذي ألم به ، والموقف الصعب الذي أحاط به ، وحالة العصيان المنكرة لأوامره ﷺ .

ولشدة ما آله ﷺهو عدم تنفيذ وصاياه الشريفة في البيعة لأمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل بيته الطاهرين ، وبغض وجفاء الأمة لهم عليهم السلام إلا العدد القليل جدا من المؤمنين الصادقين .

---

(١) راجع القرمزي مناقب : ٢٠ وابن ماجة مقدمة : ١١ ومسند احمد بن حنبل : ١٦٤/٤ – ١٦٥ .

(٢) السقيفة لأبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري .

أبهذه المواقف المعادية ، المشينة والمؤلمة ، يقابل رسول الإنسانية والرحمة المهداة لعموم البشرية ، وهو الذي (وما ينطق عن الهوى إن هو وحي يوحى علمه شديد القوى) ؟!![1]

أبهذه الكلمات النابية : (فانه يهجر) و (غلبه الوجع) وغيرها يقابل هذا الرسول الخاتم والأسوة والقدوة ، وهو الذي مدحه رب العالمين بقوله : (وانك لعلى خلق عظيم) ؟! وهو الداعي البشير والسراج المنير الذي اخرج قريشا والناس جميعا من ذل الجاهلية وعبودية الطغاة إلى عز الإسلام ، وطاعة الرحمن ، وهو الذي وحد الصفوف وانشأ الدولة ، وجعل قريشا والعرب سادة الأمم وتتقاد لهم الرقاب شرقا وغربا . والله يقول :«هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» ؟![2].

وبهذه الهموم والغموم ، وتراكم الغصص والحسرات والآهات ، والانقلاب على الأعقاب ، كما نطق القرآن الحكيم : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين» في مثل هذه الأجواء المحزنة والمؤلمة يرحل رسول الهدى والرحمة عن هذه الدنيا الفانية ويلحق بالرفيق الأعلى . والويل كل الويل لمن يكون خصيمه أو ينقلب على عقبيه .

(والمقصود بإنقلبتم : أي رجعتم كفارا بعد إيمانكم ، ومن ينقلب : أي يرتد ويرجع ، على عقبيه : أي إلى الوراء والخلف والمراد يرجع كافرا)[3].

---

(١) النجم/٣ - ٥.

(٢) الرحمن/٦٠.

(٣) توضيح القرآن الكريم ص٦٨.

أحاديث الرسول في علي وخلافته

إن أحاديث النبي ﷺ وأقواله في أمير المؤمنين علي عليه السلام كثيرة ومؤكدة لخلافته من بعده ، نختار بعضا منها إظهارا للوصية بإمارة المؤمنين وخلافة المسلمين ، التي ما زال النبي الأكرم ﷺ يكررها للأمة حتى تعلم علم اليقين إن عليا عليه السلام هو إمام عصرها وخليفة زمانها بعده ﷺ ،منها :

أولا : حديث الغدير :

وهو من أهم أحاديث الولاية ، حيث جميع الرسول الأعظم ﷺ الناس بعد رجوعهم من تأدية مناسك الحج ، وكانت أخر حجة حجها النبي ﷺ مع المسلمين وتسمى بحجة الوداع ، حيث أمر النبي ﷺ برد من تجاوز ذلك المفترق من الطرق ، وبحبس القادم حتى تكاملوا في (غدير خم) زهاء مائة وعشرين ألف حاج كما قيل ، فقام فيهم خطيبا فقال :

(أيها الناس ، يوشك أن ادعى فأجيب واني مسؤول وأنكم مسؤولون فماذا انتم قائلون ؟) .

قالوا : نشهد انك بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيرا .

قال : (ألستم تشهدون أن لا اله إلا الله وان محمد رسوله وان جنته حق وان ناره حق وان الموت حق ، وان البعث حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور) .

قالوا : بلى نشهد بذلك .

فقال : (اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد) .

إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وادر الحق معه أينما دار ....)[1] .

ويدل هذا الحديث الشريف دلالة قاطعة على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام على المسلمين ، وان الرسول صلى الله عليه وآله افرد له خيمة يقال أنها خضراء وأمر المسلمين أن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين بقولهم : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكبار الصحابة قالوا له : بخ بخ لك يا أمير المؤمنين لقد أمسيت يا بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة وقد قالها أبو بكر وعمر . (كما أخرجه الدار قطني كما في أواخر الفصل الخامس من الباب الأول من صواعق ابن حجر ص٢٦.
واخرج احمد نحو هذا القول عن عمر من حديث البراء بن عازب ص٢٨١ ج٤ من مسنده) .

وقد انشد حسان بن ثابت شعرا بمناسبة تنصيب أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفة على المسلمين :

ينـاديهم يـوم الغـدير نبـيهم ... فقـم واسمـع بـالنبي مناديـا
إلهـك مولانـا وأنـت ولينـا ... ولا تجـدن في الخلـق للأمـر عاصـيا
فقـال لـه قـم يـا علـي فـأنني ... رضـيت مـن بعـدي إمامـا وهاديـا
فمـن كنـت مـولاه فهـذا وليـه ... فكونـوا لـه أنـصار صـدق مواليـا
هنـاك دعـا اللـهم والـي وليـه ... وكـن للـذي عـادى عليـا معاديـا

ولقد تمت عملية التنصيب الجليلة من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ظهيرة ذلك الحر الهجير في غدير خم في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة بناء على الأمر الصادر من الله تعالى بصريح القرآن الكريم : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك

---

(١) روى هذا الحديث على ما أحصاه الشيخ الاميني في الجزء الأول من كتاب الغدير مائة وعشرة من الصحابة ، ومن التابعين أربعة وثمانون ، ومن العلماء ثلثمائة وسبعة وخمسون معظمهم إن لم يكن جميعهم من علماء السنة .

من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين»[1] ولقد فسرت على أنها أمر للرسول بان يبلغ المسلمين ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام كما جاء في كتب التفاسير الكثيرة .

وبعد انتهاء النبي صلى الله عليه وآله من تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام خليفة انزل الله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا»[2] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي ، ثم قال : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)[3] .

إذن ، ببيعة أمير المؤمنين ، كمل الدين ، وتمت النعمة ، ورضا الرب . ولكن وما أدراك ما لكن ، لقد حصل ما حصل في السقيفة ، والرسول صلى الله عليه وآله لا يزال لم يدفن بعد ، وعلي وأهل بيته مشغولون بهذا المصاب الجلل الذي يفجر القلب ويحرق الكبد ويؤلم النفس ، انه الكارثة .

يقول الإمام علي عليه السلام: (... ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وان رأسه لعلى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعواني ... فمن ذا أحق به مني حيا وميتا)[4] . وقال عليه السلام: (والله إني لآخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني) .

ثانيا : حديث الخلافة :

عن علي عليه السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي عند توجهه إلى تبوك في السنة التاسعة للهجرة : (انه لا ينبغي لي أن اذهب إلا وأنت خليفتي)[5].

---

(١) المائدة /٦٧.

(٢) المائدة /٣.

(٣) عن المناقب لابن الغازل يرفعه إلى أبي هريرة ، المناقب لابن مردويه ، وكتاب الشعر للمرزباني ، والحمويني في فرائد السمطين .

(٤) نهج البلاغة م٢ ص١٣٣.

(٥) الصواعق المحرقة ص١٤٩.

ثالثا : حديث المنزلة :

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)[1].

وقال ﷺ : (انه مني وأنا منه)[2].

رابعا : حديث الوصية والأخوة :

فقد ورد في خطاب لرسول الله ﷺ في المدينة قوله :

(لا ألفينكم بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فتلقوني في كتيبة كبحر السيل الجرار ، الأوان علي بن أبي طالب أخي ووصيي ، يقاتل بعدي على تأويل الكتاب كما قاتلت على تنزيله)[3].

خامسا : حديث الكنز :

عن زياد بن مطرف ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي ، وهي جنة الخلد فليتول عليا وذريته من بعده فإنهم لن يخرجوكم باب هدى ولن يدخلوكم باب ظلالة)[4] .

سادسا : لقد تكرر تأكيد ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام على كل مؤمن ومؤمنة في مناسبات عديدة ، حيث يقول الرسول الأعظم ﷺ أقوالا كثيرة منها :

. (أنت ولي في الدنيا والآخرة)

. (أنت ولي كل مؤمن بعدي)

. (من كنت وليه فان عليا وليه)

. (فانه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي)[5].

---

(١) البخاري في فضائل أصحاب النبي : ٩ ، الترمذي مناقب : ٢٠ ، ابن ماجه مقدمة : ١١ ، مسند احمد بن حنبل : ١/١٧٠ – ١٨٥ و ٣: ٣٢.

(٢) سنن الترمذي : مناقب ٢٠ ، سنن ابن ماجه مقدمة ١١ ، مسند احمد بن حنبل : ٤/١٦٤ – ١٦٥.

(٣) الصواعق المحرقة : ١٤٩ ، تاريخ بن كثير : ٥/٢٠٩ ومستدرك الحاكم : ٣/١٠٩.

(٤) حديث ٢٥٧٨ ، وأحاديث الكنز ج ٦ ص١٥٥ ، المنتخب ج٥ ص٣٢ مسند احمد .

(٥) الترمذي مناقب / ١٩ ومسند احمد بن حنبل : ١/٣٣١ و ٤/٤٣٨ و ٥/٢٥٦ و ٣٥٠ و ٣٥٨ و ٣٦١.

وغير ذلك من الآيات والروايات التي تنص على ولاية أمير المؤمنين وتؤكد خلافته أو فضله أو علمه ، أو تقواه أو شجاعته ومزاياه الأخرى التي انفرد بها دون غيره ، وقد نزلت في حقه عليه السلام أكثر من ثلثمائة أية ، ذكر القندوزي الحنفي حوالي ثلاثين أية في ينابيع المودة .

والحق إن لعلي عليه السلام منزلة كبرى عند الله سبحانه وعند أخيه وابن عمه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، يغبطه عليها كل مسلم بل حسدوه عليها ، ولا ينكرها إلا مكابر أو مبغض قال ، حتى إن أم المؤمنين عائشة على ما بينها وبين علي ما هو معروف قالت فيه : (ما رأيت رجلا أحب إلى رسول الله منه ولا رأيت امرأة كانت أحب إليه من امرأته) [1].

وقد كان صلى الله عليه وآله يمجد ويرحب بصهره عند كل مناسبة[2]. من يوم ولد صهره قبل البعثة بعشر سنين إلى يوم فاضت نفسه الزكية في حجره[3].

وهذا مما لا يشك فيه مسلم ، لأن فضائله لا تحصى .

فقد ورد عن احمد بن حنبل قوله : ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب [4].

وقال أبو الطفيل عن رجل من أصحاب النبي : لقد جاء في علي من المناقب ما لو إن منقبا منها قسم بين الناس لأوسعهم خيرا [5].

وعن ابن عباس : لو كان الشجر أقلاما والبحر مدادا والجن والإنس كتابا لما أحصوا فضائل علي [6].

---

(١) سنن الترمذي : ٥/ ٧٠٠/ ٣٨٧٤ . الخصائص للنسائي : ١٥٧ .

(٢) المستدرك لأحمد بن حنبل : ٣/ ١٠٧ ، مجمع الزوائد : ٩/ ١٢٠ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني : ٢٣/ ٣٧٥/ ٨٨٧ .

(٤) المستدرك : ٣/ ١٠٧ .

(٥) الكتاب المصنف لأبن أبي شيبة : ١٢/ ٨٢/ ١٢١٧٧ .

(٦) ينابيع المودة : ١/ ١٤٤ والمستدرك والتلخيص : ٣/ ١٠٧ ومجمع الزوائد : ٩/ ١٢٠ .

وقد ألف الشهيد التستري (ره) موسوعة فيما جاء في حق علي عليه السلام وأهل بيته في كتب العامة بلغت مع ملحقاتها - التي ألحقها السيد المرعشي (ره) - ٣٦ مجلدا وسماه إحقاق الحق [١].

وهكذا يتأكد بصورة شفافة إن لعلي عليه السلام منزلة عند الله عظيمة جدا وانه أحب الناس إليه تبارك وتعالى، وإلى رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله. لما روى : انه كان عند النبي صلى الله عليه وآله طير قد طبخ له فقال : (اللهم أتني بأحب الناس إليك يأكل معي) فجاء علي فأكل معه [٢].

قال الشيخ المظفر : (وهذه صفات لا تكون إلا لإمام معصوم وخليفة للنبي يختاره الله ورسوله للأمة ، وهل يمكن أن يكون شخص أولى بالمؤمنين من أنفسهم ووليهم بعد النبي وهو سوقة كسائر الناس تجب عليه طاعة غيره والسمع له ؟ هيهات !) [٣].

ونكتفي بهذا القدر الموجز من الروايات الشريفة التي صدع بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مبلغا أمر الله تعالى في علي عليه السلام ومؤكدا إمامته وخلافته وولايته وعصمته وطهارته وكفاءته وأهليته لتحمل أعباء المسؤولية الإلهية والقيام بها على أكمل وجه وأفضل صورة واصدق تجسيد على الواقع .

---

(١) السقيفة للمظفر .

(٢) سنن الترمذي : ٥/٦٣٦ /٣٧٢١ .وكنز العمال : ١٣/ ٥/١٦٦ والفصول المهمة لأبن الصباغ : ٣٦ ، الخصائص لأبن عساكر : ١/١٠٥ وغيرها .

(٣) السقيفة ص٩٣ .

مواقف علي من الرسول والرسالة

من الحقيقة بمكان ، إن مواقف أمير المؤمنين عليه السلام تجاه الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة تعجز عن وصفها العبارات والجمل ، حيث أن مواقفه عليه السلام تركع أمامها العظمة ، وتشهد لها الخطوب وساحات الوغى ، ويعترف بها العدو قبل الصديق . والفضل ما شهدت به الأعداء .

لان ضربة واحدة له يوم الخندق سددها لعمر بن عبد ود العامري فاقت أعمال امة محمد صلى الله عليه وآله فضلاً وأجراً إلى يوم القيامة[1]. وان برزوه له هو بروز الأيمان كله إلى الشرك كله : كما قال النبي محمد صلى الله عليه وآله : (برز الأيمان كله إلى الشرك كله) وذلك سنة (٥هجـ) في غزوة الخندق .

لذا فان كل ما يكتب عنه عليه السلام وعن مواقفه المشرفة والمعجزة لا يفي بمقامه الشريف ومكانته الجليلة ، وشجاعته النادرة ، وجهاده الأعظم الذي أدهش العقول ، وأذهل القلوب ، وابهر النفوس .

وقد سخر أبو الحسن عليه السلام هذا الجهاد المقدس وتلك الشجاعة الفائقة في الذود عن الرسول وإحقاق الحق وهزم الباطل ، ونشر العدل والفضيلة وتثبيت دعائم الدين الحنيف ، ولا غرو في ذلك لأنه عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله بدليل القرآن : «فقل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢٢٤/٤، وج١٣/ باب ٢٨٥/٢٣٨ وفي ينابيع المودة للقندوزي : ١٩٠/١ وجاء في ذيله : فلما قتله قال : (ابشر يا علي فلو وزن عملك اليوم بعمل أمتي أرجح عملك بعملهم) وعن وسيلة النجاة للمولوي الهندي : ٨٤ وعن حياة الحيوان : ٢٧٤ للدميري : وجاء في المستدرك والتخليص : ٣٢/٣ قول النبي : (لمبارزة علي لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة).

(٢) آل عمران / ٦١ .

إذ باهل به النبي وبفاطمة والحسنين عليهم أفضل التحية وأزكى السلام نصارى نجران في قصة مشهورة ، وجعل عليا بنص الآية نفسه (آية المباهلة) [1].

وقوله ﷺ: لتنتبهن بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسي يعني علي بن أبي طالب عليه السلام فهذه خصوصية لا يلحقهم فيها بشر [2].

وقوله ﷺ: (من أراد أن ينظر إلى ادم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب [3].

جاء في كتاب (المراد ص٣٤١) : روى محمد بن إبراهيم النعماني من طريق العامة بالأسانيد المفصلة إلى مينا مولى عبد الرحمن بن عوف بن عبد الله الأنصاري قال : وفد على رسول الله ﷺأهل اليمن فقال النبي ﷺ: جاءكم أهل اليمن يبسون بسا ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ، قوم رقيقة قلوبهم ، راسخ إيمانهم ، منهم المنصور يخرج في سبعين ألفا ينصر خلفي وخلف وصيي ، حمايل سيوفهم المسك ، فقالوا : يا رسول الله : ومن وصيك ؟

فقال : هو الذي أمركم الله بالاعتصام به ، فقال عز وجل : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» .

فقالوا : يا رسول الله بين لنا ما هذا الحبل ؟

فقال : هو قوله تعالى : «إلا بحبل من الله وحبل من الناس» .

فالحبل من الله : كتابه ، والحبل من الناس : وصيي .

فقالوا : يا رسول الله ومن وصيك ؟

---

(١) صحيح مسلم : ٤/ ١٨٧١ / ٣١ ، أسباب النزول للواحدي : ٩٩ - ١٠٠ ، تفسير البغوي : ١/ ٣١٠ ، تفسير ابن كثير : ٢/ ٥٢ ، تفسير الدر المنثور : ٢/ ٢٣١ ، تفسير الرازي : ٤/ ٨٩ - ٩٠ وغيرها .

(٢) ينابيع المودة ص٤٤ - ٥٣ .

(٣) فضائل الصحابة للبيهقي .

فقال : هو الذي انزل الله فيه : «أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله» .

فقالوا : يا رسول الله / وما جنب الله ؟

فقال : هو الذي يقول الله فيه : «يوم يعض الظالم على يديه ، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا»، وهو وصيي السبيل إلى من بعدي .

فقالوا : يا رسول الله بالذي بعثك بالحق نبيا أرناه فقد اشتقنا إليه !

فقال : هو الذي جعله الله آية للمتوسمين ، فان نظرتم إليه نظر (من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ، عرفتم انه وصيي كما عرفتم إني نبيكم ، فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه ، فمن أهوت إليه قلوبكم ، فانه هو ، إن الله عز وجل يقول في كتابه : «واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم» إليه وإلى ذريته . قال :

فقام ستة من الحاضرين فتخللوا الصفوف واخذوا بيد الأصلع البطين (الانزع البطين) . وقالوا : إلى هذا هوت أفئدتنا يا رسول الله .

فقال النبي ﷺ: انتم نخبة الله حين عرفتم وصي رسول الله ، قبل إن تعرفوه فيم عرفتم انه هو ؟

فرفعوا أصواتهم بيكون ، فقالوا : يا رسول الله نظرنا إلى القوم فلم نجس لهم، ولما رأيناه رخت قلوبنا ثم اطمأنت نفوسنا فإنجاست أكبادنا وهملت أعيننا وتبلجت صدورنا حتى كأنه لنا أب ونحن له بنون .

فقال النبيﷺ: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، انتم منه بالمنزلة التي بقيت لكم بها الحسنى وانتم عن النار مبعدون .

وقال فبقى هؤلاء الستة حتى شهدوا مع أمير المؤمنين الجمل وصفين فقتلوا بصفين، وكان النبي ﷺ يبشرهم بالجنة واخبرهم أنهم يستشهدون مع علي بن أبي طالب عليه السلام[1] .

---

(١) المراد ص٣٤١.

اجل إن عليا هو الأنزع البطين ، نازع للشرك بطين من العلم ولم يسجد لصنم قط . لذا عزت له الأنداد ، وقد أحسن الشاعر صفي الدين الحلي وأجاد عندما قال فيه :

جمعت في صفاتك الأضداد ... فلهذا عزت لك الأنداد
زاهد حاكم حليم شجاع ... ناسك فاتك فقير جواد
شيم ما اجتمعن في بشر قط ... ولا حاز مثلهن العباد

نعم هذا هو علي عليه السلام فهو بحق معجزة الإسلام وعدل القرآن لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ، وببغضه يعرف المنافق من الناس ، ولقد قال له النبي صلى الله عليه وآله: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)[1]. ففضائله عليه السلام كمواقفه فهي من الكثرة والوضوح كالشمس في رابعة النهار ، لا ينكرها إلا نكرة أو أعمى الحقد بصره وبصيرته ، فصار للشيطان والنفاق والرذيلة مرتعا .

يقول ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) :

(إن عليا عليه السلام أول من آمن بالله ، وجاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ونام على فراشه ليلة الغار ووقاه بنفسه وبسيفه ثبت أساس الدين وارتفعت دعائم الإسلام ، وكان معه لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في المواقف كلها ، وثبت معه في كل موقف ، ولم يهرب في موقف قط ، ولا بارز أحدا فسلم منه ، كانت ضرباته وترا إذا علا قد وإذا اعترض قط .

وقتل في بدر صناديد قريش ، فقتل وحده نصف المقتولين من المشركين وقيل أزيد من النصف بواحد ، وقتل باقي المسلمين وثلاثة ألاف من الملائكة المسومين النصف الأخر ، وشارك علي في قتل البعض من النصف الأخر ، وثبت مع رسول

---

(١) صحيح مسلم : ١٣١/٨٦، مسند احمد : ٦٤٢/١٨٣/١ ينابيع المودة : ٦٥/١ والفصول المهمة لابن الصباغ : ١١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٧٠.

الله ﷺ يوم احد بعد أن انهزم الناس عنه حتى نزل جبرائيل وقال : (يا رسول الله هذه هي المواساة) فقال ﷺ : (انه مني وأنا منه) ، فقال جبرائيل : (وأنا منكما) ، وقال جبرائيل في ذلك اليوم :

(لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) .

وقتل عمرو بن ود يوم الخندق بعدما جبن عنه الناس وهزم الله بقتله الأحزاب، وكفى الله المؤمنين إلى يوم القيامة وذلك لأنه لولا ضربة علي عليه السلام لغلب المسلمون وحصل أعظم ذل ووهن على الإسلام .

وقال رسول الله ﷺيوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يأخذها بحقها لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ، وكان علي عليه السلام أرمدا فمسح رسول الله ﷺ على عينيه بشيء من ريق فمه الشريف ، وزحف بالراية واستقبله مرحب فضربه على هامته ضربة وصلت إلى أضراسه ، وسمع أهل العسكر صوت ضربته ، وانهزمت اليهود وغلقت الحصن ، فاجتذب بابه فالقاه واجتمع عليه سبعون رجلا حتى أعادوه .

وثبت في يوم حنين بعدما انهزم الناس عن رسول الله ﷺوحامى عنه حتى رجع الناس بثباته وثبات تسعة معه ثمانية من بني هاشم والتاسع أيمن بن أم أيمن ، وثبتت التسعة ثم قتل علي عليه السلام ابا جرول وانهزم المشركون بقتله ، وهو الذي جعل نفس رسول الله ﷺفي قوله تعالى في آية المباهلة (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) فدعا ﷺعليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام)[1].

اجل ، هذا هو أمير المؤمنين ويعسوب الدين والصراط المستقيم ، المطهر من الرجس ، والمعصوم من الزلل والمنزه عن كل عيب وهو مع الحق والحق معه ولن

---

(١) الإصابة لابن حجر العسقلاني .

يفترقا . كما قال رسول الله ﷺ : (علي مع الحق والحق مع علي ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)[1].

وان مواقفه المشرفة والمذهلة ، تبهر الألباب وتأخذ بمجامع القلوب ، وان فضائله لا تحصى كثرة فمن ذكرها مقرا بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تـأخر.

قال الرسول الأكرم ﷺ : (إن الله جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة ، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالسَماع ، ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ، ثم قال ﷺ: النظر إلى علي عبادة ، وذكره عبادة ، ولا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه) [2].

ولقد صدق الشاعر وأجاد عندما قال :

ماذا أقول وقد جلت مناقبه عن الصفات وأضحى دونها الشرف هذا الذي
جاز عن حد القياس علا فتاهت الناس في معناه واختلفوا
غالى ونال وقال عنده وقفوا وكلهم وصفوا وصفا وما عرفوا

نعم ، صدق الشاعر الأجل بكل ما قال ، لان أمير المؤمنين عليه السلام لا يعرفه احد من الناس على حقيقته إلا الله والرسول ﷺكما قال ﷺ: (يا علي لا يعرف الله حقيقة المعرفة إلا أنا وأنت ولا يعرفني حقيقة المعرفة إلا الله وأنت ولا يعرفك حقيقة المعرفة إلا الله وأنا) .

وقد روى عن أبي عمر : ولما روجع النبي في فتح باب علي قال : (إنما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت إن اتبع إلا ما يوحى إلي)[3]. وقال عمر بن الخطاب

---

(١) المناقب للمغازلي : ١٧٧ والإمامة والسياسة : ٩٨/١ ، الجامع الصغير للطبري : ٧٢.
(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٤١ .
(٣) مسند أحمد : ٧/ ٧٩ / ١٩٣٠٧ وكفاية الطالب : ٢٠٤ .

: (لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاثا لئن تكن لي واحدة منها أحب إلي من حمر النعم : زوجته فاطمة بنت رسول الله وسكناه المسجد يحل له ما يحل فيه ، والراية يوم خيبر)[1].

هذا غيض من فيض مواقف علي عليه السلام المشهود ، وفضائله الكثيرة ، وسجاياه النادرة ، وسماته العجيبة وقد كرسها في الحفاظ على الرسول والرسالة ونشر ما فيها من أحكام وقيم وأخلاق ، ولولا سيفه لما استقام هذا الدين ولا ثبتت دعائمه ولا قويت أركانه ، ولولا علمه لما توضح من ديننا ما كان ملتبسا .

جاء في (تحف العقول) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام ، فقال يا أمير المؤمنين اخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟

قال عليه السلام : نعم يا شيخ ، ما علوتم تلعة ولا هبطتم واديا إلا بقضاء وقدر من الله ، فقال الشيخ : عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين .

فقال عليه السلام : مه يا شيخ فان الله قد عظم أجركم في مسيرتكم وانتم سائرون وفي مقامكم وانتم مقيمون ، وفي انصرافكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين ولا إليه مضطرين ، لعلك ظننت انه قضاء حتم وقدر لازم ، لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب ولسقط الوعد والوعيد ولما الزمت الأشياء أهلها على الحقائق ، ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشيطان ، إن الله جل وعز أمر تخييرا ونهى تحذيرا ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

فقام الشيخ فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وانشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النجاة من الرحمن غفرانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا ... جزاك عنا فيه رضوانا

فليس معذرة في فعل فاحشة ... قد كنت راكبها ظلما وعصيانا[2]

---

(١) مسند أحمد : ٢/٢٥٥ - ٤٧٩٧/٢٥٦و الكتاب المصنف لابن أبي شيبة : ١٢/٧٠ /٢١٤٨. وغيرها .

(٢) تحف العقول ص٣٤٦.

ولو استرسلنا في ذكر مواقف أمير المؤمنين عليه السلام تجاه ابن عمه ورسالته الغراء ، وفي تعداد فضائله في الإسلام والتي سجد لها التاريخ إجلالا وعظمة وتقديرا ، وحفرت في ذاكرته بحروف من ذهب لطال بنا المقام وما وسعت هذه الأوراق ، ولكن هناك مواقف مهمة وجليلة ينبغي التأكيد عليها وربما قد تكرر بعضها في رواية أو مقولة تقدمت ، نذكر منها :

أولا : فدى علي عليه السلام الرسول صلى الله عليه وآله بنفسه حينما نام في فراشه يوم هجرته المباركة والتاريخية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة (يثرب) والشجعان من قريش يحيطون بدار النبي صلى الله عليه وآله لقتله ، فانزل الله سبحانه على رسوله وهو متوجه إلى المدينة قرآنا في شأن علي عليه السلام وهو قوله تعالى: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله» [1].

ثانيا : بلاء أمير المؤمنين وشجاعته النادرة التي أذهلت العقول في معركة (بدر الكبرى) التي ثبتت جذور الإسلام وقوت أصوله في الجزيرة العربية ، وكان القتلى من قريش سبعين نصفهم بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثالثا : دفاع علي عليه السلام المستميت عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد ويوم حنين ، بعد أن انهزم المسلمون وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ففرج علي عليه السلام بذي الفقار الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قال جبرائيل صلى الله عليه وآله: إن هذه لهي المواساة يا محمد ، قال صلى الله عليه وآله : (انه مني وأنا منه) قال جبرائيل : وأنا منكما . واقبل علي عليه السلام إلى المدينة وفيه تسعون جراحة ، ولما أصبح النبي صلى الله عليه وآله جاء إلى دار علي عليه السلام يعوده فبكى علي وقال : يا رسول الله أرأيت كيف فاتتني الشهادة ؟
فقال الرسول صلى الله عليه وآله: إنها من ورائك ياعلي [2].

---

(١) البقرة : ٢٠٧. رواه الثعلبي في تفسيره والكنجي الشافعي في : كفاية الطالب ص١١٤ ، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ، والغزالي في إحياء العلوم ج٣ ص٢٣٨.
(٢) البحار : ج٩ .

رابعاً : استخلافه على المدينة ليحميها وأهلها ونساء الرسول ﷺ من المشركين والمنافقين وأعداء الإسلام لوحده عليه السلام لأنه – امة بنفسه وجيش بمفرده- أثناء غزوة تبوك ، فقال له ﷺ : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي) .

خامساً : اخذ علي عليه السلام سورة (براءة) من أبي بكر بأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ . لذلك قال النبي ﷺ : (انه لا ينبغي أن يؤديها إلا أنا أو رجل مني) .

سادساً : كفى الله المؤمنين شر القتال بعلي عليه السلام يوم الخندق عندما قتل عمرو بن عبد ود العامري وبقتله انهزم المشركون وانكسرت شوكتهم وتمزق جمعهم ، وكبر الرسول وكبر المسلمون وقد تهللت وجوههم فرحا وسرورا بهذا النصر الكبير ، وقال ﷺ: (ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين) ((أي : الجن والأنس)) . أو أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة ، كما جاء في رواية الحاكم في المستدرك.

سابعاً : علي وبني النضير :

ضرب الرسول ﷺ قبته في أقصى بني حطمة من البطحاء ، فلما جن الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة ، فأمر النبي ﷺ أن تحول قبته إلى السفح وأحاط بها المهاجرون والأنصار . فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام فقال الناس : يا رسول الله ما نرى عليا ؟ فقال ﷺ : (أراه في بعض ما يصلح شأنكم) . فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي ﷺ وكان يقال له عزورا وهو من أشجع بني النضير . ثم هجم علي ومعه معشرة من المسلمين فقتلوا تسعة آخرين وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير الذين كانوا يساعدون المشركين والمنافقين ويشددون أزرهم لمحاربة المسلمين .

فكفى الله المسلمين شرهم بالإمام علي عليه السلام .

ثامناً : قال الطبرسي (رض) : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ، ثم خرج منها غازيا إلى خيبر ، وهي منطقة تبعد عن المدينة

المنورة ساعات ، وهي عبارة عن حصون وقلاع محصنة تسكنها اليهود يومذاك ، فحاصرها النبي ﷺ خمسا وعشرين يوما ، ثم أعطى رايته أبا بكر فلم يفلح ورجع . فأعطاها في اليوم الثاني إلى عمر فكان كصاحبه ، فقال الرسول ﷺ : (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه) .

فبات الناس يتفكرون حول الرجل الموصوف بهذه الصفات ، وكان علي في بيته لأنه أرمد لا يبصر موضع قدمه مع صداع شديد وأصبح الصباح فقال النبي ﷺ : (أين علي بن أبي طالب؟) فجاؤوا به وعينه معصوبة بخرقة ، فاخذ سلمة بن الاكوع بيده واتى به إلى النبي ﷺ فقال النبي : اجلس وضع راسك على فخذي ففعل عليه السلام ، فدعا له النبي وتفل في يده فمسح بها على عينيه ورأسه فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع ، وقال النبي ﷺ : (اللهم قه الحر والبرد) وأعطاه الراية وكانت بيضاء فقال له : (خذ الراية وامض بها) .

فاقبل علي عليه السلام بالراية يهرول بها ولحقه الناس فركز رمحه قريبا من الحصن .... فخرج إليه مرحب بطلهم في عامة اليهود . فدعاهم علي عليه السلام إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختاروا الحرب .

فضربه الإمام بالسيف على رأسه ضربة قطعت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه فخر صريعا ، وحمل علي عليه السلام على الجيش اليهودي فانهزموا ودخلوا الحصن وسدوا بابه ، وكان الباب حجرا منقورا في صخر كأنه حجر رحى وفي وسطه ثقب لطيف . قلع علي عليه السلام باب الحصن وجعله ترسا له وحمل على اليهود بعدما حملوا عليه فانهزموا ، ورمى الحجر بيده اليسرى إلى خلفه ، فمر الحجر على رؤوس المسلمين إلى أن وقع في أخر المعسكر ، وإلى هذا أشار ابن أبي الحديد في قصيدته مخاطبا الإمام علي عليه السلام :

يا قالع الباب الذي عن هزه عجزت اكف أربعونَ وأربعُ

واجتمع المسلمون ليرفعوا ذلك الحجر فلم يستطيعوا وهم أربعون رجلاً وفتح علي تلك الحصون وكفى الله المسلمين شر اليهود بعلي عليه السلام ، فانشد حسان بن ثابت شعراً بالمناسبة العظيمة .

وكان علي أرمد العين يبتغي	دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة	فبورك مرقيا وبورك راقيا
يحب الهي والإله يحبه	به فتح الله الحصون الاوابيا

فعند ذلك قال رسول الله ﷺ لعلي : (لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولا لا تمر بملأ إلا اخذوا من تراب رجليك ومن فضل طهورك يستشفون به ، ولكن حسبك أن تكون أنت مني وأنا منك ترثني وارثك وانك أول من يدخل الجنة من أمتي وان شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي اشفع لهم ويكونون في الجنة جيراني ، وانه لا يرد علي الحوض مبغض لك ولن يغيب عنه محب لك غدا حتى يردوا الحوض معك . فخر علي عليه السلام ساجدا شكرا لله[1] .

تاسعاً : لما نزلت الآية الكريمة : «وانذر عشيرتك الأقربين»[2] جميع النبي ﷺ من أهل بيته أربعين رجلا في قصة معروفة – وكان ذلك في مبدأ البعثة – فعرض عليهم الإسلام وضمن لمن يؤازره وينصره منهم الأخوة له والوراثة الوزارة والوصية والخلافة من بعده فامسكوا كلهم إلا عليا ، فقد أجابه وحده ، فاخذ برقبته ، وقال : (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم – أو من بعدي على اختلاف الروايات – فاسمعوا له وأطيعوا) . فقام القوم يضحك بعضهم على

(١) علي من المهد إلى اللحد ص١٣٧.
(٢) سورة الشعراء / ٢١٤.

بعض استهزاء ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام ، يعنون أبنه[1]

انظر كيف امسك الجميع عن النصرة والمؤازرة للرسول والرسالة إلا عليا عليه السلام أجابه وحده موطنا نفسه على الجهاد والنصرة للنبي صلى الله عليه وآله وشريعته السهلة السمحاء فحاز على الأخوة له والوراثة والوصية والوزارة والخلافة من بعده صلى الله عليه وآله. حتى قال صلى الله عليه وآله ذات مرة : (لكل بني وصي ووارث وان وصيي ووارثي علي بن أبي طالب)[2]. وقال له علي مرة : (ما ارث منك؟) قال صلى الله عليه وآله :
(ما ورث الأنبياء من قبل كتاب ربهم وسنة نبيهم)[3].

هذا هو علي عليه السلام. وهذه مواقفه الجليلة على سبيل المثال لا الحصر ، وهذه مناقبه فهل يقاس بغيره ؟ وهل يدانيه احد ؟ لا والله العلي العظيم وانه لقسم عظيم وقد افترى من آخره ، وظلم نفسه ، وباع آخرته ودنياه بدنيا غيره ، واخلد إلى الأرض ، فمثله كبلعم بن باعورا .

ونكتفي بهذا القدر الموجز عن تلك المواقف المشرفة التي تعطر الدهر والتاريخ : بشذاها لتلك الشخصية العملاقة التي ضربت أروع الأمثلة في الفداء والجهاد ، والبطولة والفضيلة ، والورع والتقوى ، والنبل والمروءة ، والحلم والعلم والخلق الكريم ، والحكمة والعطاء ، وقد ختمت بالشهادة .

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

فالإمام علي عليه السلام نسخة مفردة لم يستطع أن يأتي بها الشرق أو الغرب في يوم من الأيام ، كما قال ميشيل شبلي احد علماء الغرب .

---

(١) مسند أحمد : ١/ ٢٣٦ / ٨٨٣ ، المستدرك والتلخيص : ٣/ ١٣٣ ، ينابيع المودة : ١٢٣/١ وغيرهم كثير .
(٢) المناقب للمغازلي : ٢٠١ ، الرياض النضرة : ١٣٨/١.
(٣) كنز العمال : ١٤ / ٥ .

الفصل الثاني

فهو معجزة في ولادته وفي حياته وسلوكه وصفاته ، وهو معجزة في مواقفه ومناقبه وبسالته ودفاعا عن الحق والمبدأ وصاحب الرسالة صلى الله عليه واله . وقد خاض غمار الحروب والغزوات الرسالية والتي تربو على الثمانين بشجاعة نادرة ، تبهر وتدهش الشجعان والنصر دائما حليفه ومعقود بلوائه ، حتى ورد في المأثور :ما قام الدين إلا بسيف علي ومال خديجة . فسلام الله على علي وخديجة.

علي عليه السلام وموقف الأمة

إن القاعدة الشرعية والعقلية والأخلاقية والعرفية تقرر وتؤكد : إن الذي يحسن إليك ولو بقدر أنملة ينبغي عليك أن تقابله بالشكر والامتنان ، وتجازيه بالتقدير والإحسان . قال الله تبارك وتعالى: «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وطبيعي إن الفضل للباري ، فكيف إذا كان الإحسان عظيما ؟ فلابد أن تكون المجازاة تتناسب طرديا معه ، بل الأفضل بدرجة أكثر منه .

وهل يوجد شخص أحسن إلى الأمة الإسلامية وذاد عن كرامتها وعزتها ، وأبلى بلاء حسنا عن دينها ورسولها وقيمها وبصرها كعلي بن أبي طالب عليه السلام ؟ وهل يوجد قائد شجاع ، ومثل أعلى ، وأسوة وقدوة وعالم ومرب كعلي بن أبي طالب عليه السلام ؟

ويجيب القرآن والسنة ، والحق الواقع والتاريخ : لا يوجد غير علي البتة . إذن ، هل من العدل والإنصاف والأخلاق والدين ورد الجميل ، أن تدير الأمة ظهرها لأمير المؤمنين وبكل نكران للجميل ، ومعاداة للحق ، ومجافاة للرسول محمد صلى الله عليه وآله وتتركه جليس داره مدة ربع فرن من الزمن ؟!! .

يالالأسف الشديد ويالالعجب العجاب ويالالسقيفه وما أدراك ماالسقيفة ![1] من تحت سقفها يعصى الرسول وتنسف بيعة الغدير وبذلك تستقبل الأمة الفتن كقطع الليل المظلم كما في الحديث :

حيث أن النبي ﷺ وقبل شكايته خرج مبكرا مع مولاه أبي مويهبة إلى البقيع فوقف وقال : السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أخرها أولها ، والآخرة شر من الأولى .

وفي حديث آخر منه ﷺ: وقد أرى مواقع الفتن خلال بيوت المدينة كموقع القطر . حيث جاء في كتاب فضائل المدينة باب اطام المدينة ، قال : اشرف النبي ﷺ على اطم من اطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ، إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كموقع المطر .

اجل ، إنها الفتن التي عصفت بالأمة فأفقدتها صوابها ، فتنكرت لوصية نبيها ﷺوحالت بينه وبين أن يكتب لهم كتابا يعصمهم عن الظلالة ابد الدهور ، حقا إنها لرزية عظمى (رزية الخميس) .

يقول الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره) :

(حقا أنها لرزية من أعظم الرزايا سببت كل ظلال وقع ويقع بعد النبي ، وحق لابن عباس حبر الأمة أن يبكي عند تذكرها حتى يخضب دمعه الحصباء ويقول : (إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺوبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب)..... ليعصم الخلق عن الضلالة ابد الدهور وسجيس الليالي).

ولقد كشفت تلك المناظرة التي وقعت يوم السقيفة بين المجتمعين من أوس وخزرج وبعض المهاجرين عن إقبال الفتن المظلمة وتخوفهم منها ، لذا صرح

---

(١) السقيفة : الصفة والظلة ، وهي شبه البهو الواسع الطويل السقف وكان لبني ساعدة بن كعب بن الخزرج – وهم حي من الأنصار ومنهم سعد بن عبادة نقيبهم ورئيس الخزرج – ظلة يجلسون تحتها هي دار ندوتهم لفصل القضايا اشتهرت بـ (سقيفة بني ساعدة) اجتمع فيها الأنصار أوسهم وخزرجهم ليبايعوا اسعد بن عبادة خليفة بعد وفاة النبي ﷺ.((السقيفة ص١٣١ للشيخ المظفر)).

(الحباب بن المنذر) – وهو من الأنصار – مخاطبا المهاجرين والأنصار وفيهم الشيخان ، فقال : (ولكنا نخاف أن يليها بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم) (وقد صدقت فراسته فتولى الأمر بنو أمية وكان ما كان منهم في وقعة الحرة المخزية التي يندى منها جبين الشرف والإنسانية ويبرأ منها الإسلام وأهله).

ولنتعرف على وقعة الحرة . (وقعة الحرة : في سنة ٦٣ للهجرة ولما رأى أهل المدينة ما حل بالإسلام والمسلمين جراء حكم يزيد بن معاوية وبني أمية ، وثبوا على عامله عليها وأخرجوه من المدينة ومن فيها من بين أمية ، فجهز يزيد جيشا كثيفا تحت لواء مسلم بن عقبة المري لحربهم وأمره أن يقتل من اشرف عليه من أهل المدينة ، وان ينهبهم ثلاثة أيام ، وإذا قتل من بني أمية فليجرد السيف وليقتل المقبل والمدبر وليجهز على الجريح .

قال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة : نهب مسلم بن عقبة – الذي سمي مسرف بعد وقعة الحرة – المدينة ثلاثا ، وإفتض فيها ألف عذراء ، وعن بعضهم : دخلوا المدينة ونهبوا وافسدوا واستحلوا الحرمة ، قال مالك بن انس : قتل يوم الحرة من حملة القرآن سبعمائة ، وكان مسرف يدعو الناس – بعدما فعل فيها – إلى البيعة ، على أنهم خول ليزيد يحكم في أهلهم ودمائهم وأموالهم ما شاء ، وعلى أنهم عبيد إن شاء اعتقهم وان شاء استرقهم)[1] .

وهكذا فعلت السقيفة فعلها ، فأبعدت الحق عن محله ، والخير عن موطنه فاستقبلت الفتن واستدبرت الهدى فأصبح صاحب بيعة الغدير أمير المؤمنين جليس داره خمسا وعشرين سنة وهو يدعو ويقول : (اللهم اني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قد قطعوا رحمي واكفئوا أناتي واجمعوا على منازعتي

---

(١) راجع تاريخ الإسلام حوادث ووفيات سنة ٦١ – ٨٠ / ٢٣ – ٣٢ ، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد قال الجوهري في كتاب السقيفة : لقد صدقت فراسة الحباب فان الذي خافه وقع يوم الحرة سنة ٦٣ ، واخذ من الانصار ثار المشركين يوم بدر ٣١٣/١.

حقا كنت أولى به من غيري ، وقالوا : إلا أن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه فاصبر مغموما أو مت متأسفا)[1]

وقد قال له قائل في يوم من الأيام : (انك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص) فقال علي عليه السلام :

(بل انتم والله الاحرص وإنما طلبت حقا لي ، وانتم تحولون بيني وبينه) (الخطبة ١٦٧ نهج البلاغة) .

إجماع المؤرخين والرواة

(ولقد اجمع المؤرخون والرواة للحديث ، بأنه لما أطبق النبي صلى الله عليه وآله فمه وأغمض عينيه وفاضت روحه الزكية إلى الدرجات العلى والغرف السامية ، بادر شطر من الناس للاجتماع في سقيفة ساعدة لينفذوا أمرا دبروه بالليل ولينتزعوا سلطان محمد من أهل بيته ، هذا والنبي مسجى بعد لم يغسل ، ولم يدرج في أكفانه)[2].

(وحصلت البيعة كما قال احدهم (فلتة) ومن غير روية وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه)[3]

وعندما سمع العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله بما آلت إليه السقيفة من نتيجة قال : (ما رئي مثل هذا قط)[4]

وقال : (فعلوها ورب الكعبة)[5].

---

(١) نهج البلاغة : ٤٨٠.

(٢) خلفاء الرسول إلاثنا عشر : ص٧٧.

(٣) اخرجه البخاري في صحيحه ج٤ ص١٢٢ ط م ١٣٥١ كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت ، وابن حجر في الصواعق : ٢١ ، والطبري في تاريخه ج٢ : ٤٤٦ ط م ١٣٥٧ والشهرستاني في الملل والنحل ص١٣ والسيوطي في تاريخ الخلفاء : ١٣٥ ، وابن تيمية في منهاجه ج٤ : ٢١٦. وابن الأثير في النهاية ج٣ في مادة (فلت) .

(٤) العقد الفريد ج٣ ص٦٢ ط١.

(٥) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٠٣.

وأما أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته كانوا في شغل شاغل عن السقيفة وما يدور فيها منصرفين بكل جوارحهم إلى الخطب الفادح ، والحدث الجلل الذي الم بهم بفقدهم للطلعة البهية والرحمة الإلهية محمد رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله .

جاء في المراجعات للسيد الجليل شرف الدين : (الناس كافة يعلمون أن الإمام وسائر أوليائه من بني هاشم وغيرهم لم يشهدوا البيعة ، ولا دخلوا السقيفة يومئذ وكانوا في معزل عنها وعن كل ما كان فيها منصرفين بكلهم إلى خطبهم الفادح بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيامهم بالواجب من تجهيزه صلى الله عليه وآله ولا يعنون بغير ذلك ، وما واروه في ضراحه الأقدس حتى أكمل أهل السقيفة أمرهم فابرموا البيعة ، واحكموا العقد – أخذا بالحزم – على منع كل قول أو فعل يوهن بيعتهم أو يخدش عقدهم ، أو يدخل التشويش والاضطراب على عامتهم ..)[1].

موقف علي (ع) وحواريه من السقيفة

وكما علمنا إن المؤرخين ورواة الحديث قد اجمعوا على ان عليا وأهل بيته من بني هاشم وحواريه والمخلصين له عليه السلام لم يشهدوا البيعة ولن يدخلوا سقيفة بني ساعدة ، ولما علم الإمام عليه السلام والمخلصون له بالنتيجة ، رفضها عليه السلام ورفضوها رفضا قاطعا ، نصا وروحا ، جملة وتفصيلا ، ولقد عبر عليه السلام عن رأيه ورفضه مرارا وتكرارا أمام الملأ وعلى مرأى ومسمع من الصديق والعدو .

ويوم الشورى اعذر وانذر (حكمة بالغة فما تغن النذر) ولم يبق من خصائصه ومناقبه شيئا إلا احتج به ، وكم احتج أيام خلافته متظلما ، وبث شكواه على منبر متالما حتى قال :

(أما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ، وينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها

---

(١) المراجعات ص ٢٨١ – ٢٨٢.

كشحا ، وطفقت ارتئي بين أن أصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا احجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهبا..) إلى أخر الخطبة الشقشقية[1].

وكثيرا ما كان يقول عليه السلام ويردد :

(اللهم إني استعينك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي ، واجمعوا على منازعتي أمرا هولي ، ثم قالوا : إلا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه)[2] .

وقال عليه السلام : (فو الله ما زلت مدفوعا عن حقي مستأثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا)[3] .

وقال عليه السلام : (لنا حق فان أعطيناه وإلا ركبنا إعجاز الإبل وان طال السرى)[4]

وكم قال عليه السلام: (فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي ، فضننت بهم عن الموت ، وأغضيت على القذى ، وشربت على الشجا ، وصبرت على اخذ الكظم ، وعلى أمر من طعم العلقم ...)[5] .

وقال عليه السلام: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ؟ كذبا علينا وبغيا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى ، ويستجلى العمى ، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم ....)[6]

وحسبك قوله في بعض خطبه : (حتى إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب ، وغالتهم السبل ، واتكلوا على الولائج (أي دخائل المكر

---

(١) الخطبة ٣ من نهج البلاغة ج٦ ص٢٥.
(٢) الخطبة ١٦٧ أو ج٢ ص١٠٣ من النهج .
(٣) الخطبة ٥ ج١ ص٣٧ من النهج .
(٤) هذه الكلمة ٢١ في باب المختار من حكمه ص١٥٥ من النهج.
(٥) الخطبة ٢٥ ج ١ ص٦٢ بنهج .
(٦) الخطبة ١٤٠ ج٢ ص٣٦ – ٣٧. من النهج.

والخديعة) ووصلوا غير الرحم ، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رص أساسه ، فبنوه في غير مواضعه ، معادن كل خطيئة ، وأبواب كل ضارب في غمرة ، قد ماروا في الحيرة ، وذهلوا في السكرة ، على سنة من آل فرعون ، من منقطع إلى الدنيا راكن ، أو مفارق للدين مباين..)[1] .

وقوله عليه السلام في خطبة خطبها بعد البيعة له وهي من جلائل خطبه : (لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا ، هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة ، ألان إذا رجع الحق إلى أهله ، ونقل إلى منتقله)[2].

وقوله عليه السلام من خطبة أخرى يعجب فيها من مخالفيه : (فيا عجبي ! ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها ، لا يقتصون اثر نبي ، ولا يقتدون بعمل وصي ....)[3] .

انظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام كيف يدعو الله القوي العزيز ويستعين به على قريش ومن أعانهم ، لأنهم نازعوه في حق هو له بنص من الله ورسوله صلى الله عليه وآله ومازال مدفوعا عنه ، وكيف ضن بأهل بيته عن الموت وتجرع العلقم وصبر على نهب تراثه واخذ حقه لفقدان الناصر ، كما بين عليه السلام: إن الأئمة من بني هاشم لأنهم لا يقاس بهم احد من الناس ، وبهم يستعطى الهدى ويستجلى العمى ، ولا تصلح الولاة من غيرهم ، وقد رفعهم الله ووضع من خالفهم وابغضهم ، إلا ان المخالفين لهم لجأوا إلى المكر والخديعة والبدع . ويتعجب عليه السلام اشد العجب من خبث نواياهم وسوء عواقبهم لأنهم لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ، وقد انقلبوا على الأعقاب ، وجعلوا الله ورسوله وقرآنه وراء طهورهم ، وركنوا إلى الدنيا وحطامها الزائل ، فهجروا ما أمروا بمودته والالتزام ببيعته ، وشيدوا بناء

---

(١) الخطبة ١٤٦ من النهج / ج٢ ص٤٨ - ٤٩.
(٢) الخطبة ٢ من النهج / ص٢٥.
(٣) الخطبة ٨٤ من النهج / ج١ ص١٤٥.

هزيلا في غير مواضعه ، وبهذا استبدلوا الفاضل بالمفضول ، واستحبوا العمى على الهدى ، وتركوا الذين هم أساس الدين وعماد اليقين ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة ! فيا للاسف الشديد ويا للخطب الفادح !!

موقف الزهراء (ع) من السقيفة

ولسيدة النساء ، الزهراء عليها السلام موقف مشهود وحجج بالغة ، وخطبتاها في ذلك مشهورتان . وقد تناولت أقطاب السقيفة الذين نقلوا البناء عن رص صفوفه وأساسه ، فبنوه في غير مواضعه فقالت عليها السلام: (ويحهم أنى زحزحوها – أي الخلافة – عن رواسي الرسالة ؟! وقواعد النبوة ومهبط الروح ألامين ، الطبن – أي الخبير – بأمور الدنيا والدين ، إلا ذلك الخسران المبين ، وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟ نقموا والله نكير سيفه ، وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله ، وتالله لو تكافأوا[1] على زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله [2]لاعتقله وسار بهم سيرا سجحا – أي سهلا – لا يكلم خشاشه ، ولا يتتعتع راكبه[3].

ولأوردهم منهلاً روياً فضفاضاً تطفح ضفتاه[4] ولا يترنم جانباه ولأصدرهم بطانة[5]، ونصح لهم سرا وإعلانا ، غير متحل منهم بطائل إلا بغمر الناهل[6] وردعة سورة الساغب[7] ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ،

---

(١) التكافؤ : التساوي .

(٢) والزمام الذي نبذه إليه رسول الله : أي القاه إليه انما هو زمام الأمة في امور دينها ودنياها ، ، والمعنى : لو تساووا جميعا في الانقياد بذلك الزمام والاستلام الى ذلك القائد العام لاعتقله : أي وضعه بين ركابه ، وساقه كما يعتقل الرمح وساربهم .

(٣) سيرا سجحا أي سهلا ، ولا يكلم خشاشه : أي لا يرجح انف البعير ، والخشاش عود يجعل في انف البعير يشد به الزمام ، ولا يتتعتع راكبه : أي لا يصيبه اذى .

(٤) فضفاضا : أي يفيض منه الماء .

(٥) بطانة : أي شبعانين .

(٦) أي ري الضمان.

(٧) أي كسر شدة لجوع.

وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون ، إلا هلم فاستمع وما عشت اراك الدهر عجبا ، وان تعجب فقد أعجبك الحادث ، إلى أي لجأ لجأوا ؟ وبأي عروة تمسكوا ؟ لبئس الموالي وبئس العشير وبئس للظالمين بدلا ، استبدلوا والله الذئاب بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغما لمعاطس قوم يحسبون إنهم يحسنون صنعا إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ويحهم «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع امن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ....» [1] إلى آخر خطبتها عليها السلام وهي نموذج لكلام العترة الطاهرة في هذا الموضوع .

نستنتج مما تقدم من كلام بليغ وشفاف وراق لأمير المؤمنين ولسيدة نساء العالمين عليهما أفضل التحية أزكى السلام :

إن الناس وفي غمرة الخطب الأدهى المتمثل باحتضار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ورأسه الشريف في حجر علي عليه السلام وأهل بيته والخلص من المؤمنين محيطون به وهم في غاية الذهول واللوعة ، يعصرهم الم الافتقاد ، وأي نعمة فقدوا ؟ فقدوا الرحمة والإنسانية فقدوا الأخلاق البهية ، فقدوا حياتهم وعزهم ومجدهم ، فقدوا طريق الحق اللاحب وصراط الله المستقيم ونوره المشرق بآياته الباهرة ...! فقدوا نبيهم العظيم وأخاهم وأباهم الكريم ...! فأعظم بيومه يوما ! وأعظم به فقيدا !

اجل في مثل هذا اليوم العصيب الذي أذنت به شمس الأرض بالمغيب من افقها إلى أفق الحق الدائم ولعظمة مصيبة صار مضربا للمثل : (انه كيوم مات فيه رسول الله) .

---

(١) أخرجها ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه : (السقيفة وفدك) ، ورواها الإمام ابو الفضل احمد بن أبي طاهر المتوفي سنة ٢٨٠ في صفحة ٢٣ كم كتابه : (بلاغات النساء) ، والطبرسي في كتابه : (الاحتجاج) والمجلسي في (بحار الانوار) ، ورواها اخرون من الثقات.

فحق أن تنكس الأبصار ، وتتطأطأ الرؤوس ، وتدمع العيون وتجزع القلوب ، وتتقطع النفوس ، وتذهل العقول على فقدك يا رسول الله يا نبي الله الأعظم ، صلى الله عليك وآله وسلم .

نعم في مثل هذا اليوم الذي ليس كمثله يوم ، إن الناس قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، فدبروا أمرا ، ونقلوا بناء عن رص أساسه فبنوه في غير مواضعه ، فزحزحوا الخلافة عن رواس الرسالة ، وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين عن أمير المؤمنين الخبير بأمور الدين والدنيا . وبذلك انقلبوا على أعقابهم ، إلا ذلك الخسران المبين ، فأصبحوا مصداقاً للآية الشريفة :

«وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ...» [1] وأي انقلاب ؟! انه انقلاب جذري على الأعقاب ! كان الضحية فيه أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، وعلى الأخص أمير المؤمنين علي عليه السلام على الرغم من سابقته وفضيلته وجهاده في الإسلام ، ونص القرآن، ووصيه الرسول الأكرم إليه بالولاية والخلافة والأخوة والوزارة والوراثة من بعده صلى الله عليه وآله .

ولكن عليا عليه السلام وهو الذي لا يقاس به احد من هذه الأمة فكر وتدبر ، واثر الصبر وان كان في العين قذى وفي الحلق شجا ويرى تراثه نهبا . من أن تشتعل الفتنة ، فيضيع الدين ، ويتمزق جمع المسلمين .

وفي ذلك فرصة لانقضاض المعتدين والمنافقين على بيضة الإسلام وكلمة التوحيد ، فكان من الطبيعي أن يقدم أمير المؤمنين حقه قربانا لحياة المسلمين ، وانتشارا لكلمة لا اله إلا الله محمد رسول الله في أرجاء الدنيا .

فهذه هي التضحية للإسلام والأمة ! فأعظم بها من تضحية !

---

(١) ال عمران / ١٤٤.

نصيحة من القلب

ورد عن رسول الرحمة والهدى ﷺانه قال : (إنما الدين النصيحة) فأحببت أن أسدي نصحا متواضعا ، تجسيدا لهذا القول المأثور الشريف ، لان النصح أغلى ما يباع ويوهب ، ولا يسمع النصح إلا من له إذن واعية وعقل متفتح ، ونفس منشرحة خالية من العقد وتراكم الجهل والعمى والتقليد المذموم .

وعلى كل حال أقول إن الإنسان بطبيعته ليس كاملا لان الكمال لله وحده ، وليس عالما بكل شيء لان العلم لله ويهبه لمن يشاء من عباده بقدر لحكمة ومصلحة ، لذا فان من يعرف شيئا غابت عنه أشياء ، وعلى هذا الأساس ينبغي التعلم واخذ العلم من أفواه العلماء المتقين والإصغاء إلى كل حكمة ونصيحة لاسيما إذا خرجت من القلب لعلها تروي الظمأ أو تفتح آفاقا ينتفع بها أو تهدي إلى حقائق مغفول عنها ، أو تنبه على حق ضرب أعداؤه أغطية عليه – لحاجة في نفس يعقوب – للحيلولة دون ظهوره والعمل به . إلا أن الله تبارك وتعالى يهدي من يشاء إلى الحق إذا كان محبا له ومستعدا لقبوله وإظهاره وتطبيقه .

وعليه – أيها العزيز المحب للحكمة والناشد للحق والسامع للنصيحة- إذا أردت في يوم ما أن تقف على الحقيقة وتتيقن منها ، فما عليك إلا أن تجهد نفسك وتتفحص ، باستخدام العقل والحكمة والعلم المبني على الحقائق الثابتة والمتسالم عليها ، بعيدا عن الأهواء والبغض والتعصب ، والوقوف على الرأي والرأي المضاد ، وقفة الباحث عن الحقيقة ، الناقد لا المنتقد ، ناظرا نظرا المتفاهم لا نظر الساخط المتخاصم ، وصولا إلى المعلومة الصحيحة من الرواية المسندة الصحيحة.

ويجب أن يكون قصد الحقيقة من طريقها المجمع على صحته حتى وكأنها تلمس لمسا ، لان في ذلك إرضاء للذهن ، وبعثا للطمأنينة في النفس ، ووصولا إلى حصحصة الحق وشروق الصبح لذي عينين .

فإذا استطعت وتمكنت من ذلك بنفسك فبها ونعمت وإلا فالرجوع إلى أهل العلم والدين لإثبات الثقات لأخذ الحقيقة من أفواههم ، والإيمان بها والعمل وفقا لمحتواها ، إبراء للذمة ولسلوك الطريق المستقيم المؤدي إلى النجاة في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ولا يهم المرء سلوك من سلك ولو كان من الآباء والأبناء والعشيرة أو السلف الذين سبقونا إلى الإسلام ، ولو أدى إلى تكفير من كفر لان الله يقول : «لا تزر وازرة وزر أخرى»[1] «وكل نفس بما كسبت رهينة» .

وكلنا نعتقد إن الإنسان لم يخلق أو يترك سدى في الحياة لقوله تعالى: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى»[2] .

وإنما يتحكم في الإنسان هدف وغاية ، وإلا فهو كالأنعام بل أضل سبيلا ، ولا ريب فان الهدف هو تحقيق حكم الله في الأرض ، وان الغاية هي الحصول على مرضاة الله سبحانه .

فتحقيق الهدف : كما قال الشاعر :

على المرء أن يسعى قدر جهده وليس عليه أن يكون موفقا

وعليه فان تحقيق الهدف فهو المطلوب والمنى ، وان لم يتحقق فالله أبصر واحكم وهو المحمود والمستعان ، وينبغي التفاؤل وعدم اليأس لقوله تعالى: «انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون»[3] .

وأما مرضاة الله فكيف يمكن تحقيقها ؟ وهل تتحقق بدون الطاعة لله وإبراء الذمة ؟ طبعا لا ، إذن يجب على العاقل أن يطيع الله سبحانه ، ويعمل بكل ما أوتي من وسع وطاقة للوصول إلى رضا الله عز وجل وإبراء ذمته ، حتى يكون

---

(١) النجم / ٣٨.
(٢) القيامة / ٣٦.
(٣) يوسف / ٨٧.

موقفه أمام الله تبارك وتعالى سليماً يوم القيامة فينجو من النار وأهوالها وعذابها ، ويفوز بالجنة ونعيمها ، وهذا هو الفوز الكبير ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

ولكن كيف تبرأ ذمة الإنسان ؟ وهل تبرأ بتقليد الآباء تقليدا أعمى وإتباع آثارهم من دون روية وتدبر ، وتفحص وتفكر وكما قال الله سبحانه «... إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مهتدون» ؟؟ [1]

وهل هذا هو طريق صحيح في الحياة ؟ ولماذا ذمه القرآن وعاب من اتبعه من الأمم الماضية في سالف الأزمان والدهور ؟!

اجل لقد ذمه القرآن المجيد لأنه طريق يؤدي إلى الجمود العقلي والحرمان من نعمة التفكر الموصلة إلى الهداية والتبصر ومعرفة الحقائق .

وهل تبرأ الذمة بإتباع من تربع على قمة الهرم ودست الحكم في الدولة الإسلامية في فترة من فترات تاريخها الطويل ، ويوجد في المجتمع من هو أفضل منه وأكفا حسب منطق العقل والحكمة والقواعد الشرعية، وأحيانا بالاعتراف الشخصي ؟؟

وهل تبرأ الذمة بالابتعاد عن الحق والحقيقة ، والتمسك بالعناد والمكابرة ، والتعصب للأهواء والآراء بدون تدبرو روية ، والخلود لحالات النفس الأمارة بالسوء ؟

والجواب : بالنفي عن كل هذه التساؤلات .

والحقيقة : إن براءة ذمة الإنسان لا تتحقق إلا بإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، والعمل بمقتضى أحكام الرسول الظاهري ﷺ ، ومقتضيات الرسول الباطني (أي العقل) وسلوك الطريق المؤدي إلى التبصر ، والابتعاد عن عمى الضلالة وحيرة الجهالة ، ولا يهمنا سلوك من سلك وان كان ممن يشار إليه بالبنان في القديم أو الحاضر لان الله تعالى يقول : «وان ليس للإنسان إلا ما سعى وان سعيه سوف

---

(١) الزخرف /٢٢.

يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى» [1] «وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» .

فكل إنسان مسؤول عن نفسه وإذا مات فهو رهين عمله في حفرته ، ويحاسب عما جنته يداه إن خيرا فخير أو شرا فشر ، فان كان من المتقين فهو في جنات النعيم «إن المتقين في جنات ونهر في معقد صدق عند مليك مقتدر» [2] وان كان من المجرمين فهو في نار جهنم ، وعذاب لظى نزاعة للشوى قال تعالى: «يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تئويه . ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه . كلا إنها لظى نزاعة للشوى . تدعو من أدبر وتولى» [3] .

إذن فان الشخص الذي نتصوره في نظرنا القاصر هو الأسوة والقدوة نتيجة لما يرويه الذين هم على شاكلته أو السائرون في ركابه ، وهو في الحقيقة ليس كذلك ، فهل يستطيع مثل هذا الشخص أن يكون شفيعا لنا عند الله يوم القيامة ؟ أو هل بمقدروه أن يدفع عن نفسه فضلا عنا مسائلة البرزخ وعذابه ، وأهوال يوم القيامة وحسابه ؟!

والجواب : كلا ثم كلا .

إذن ، يجب علينا – كعقال ومثقفين ، ننشد الخلاص والنجاة يوم الدين – أن لا نأله أشخاصا بمجرد سماع أو قراءة كتب المحدثين والرواة المرتزقة ووعاظ السلاطين ، أو ممن باع أخرته بدنيا غيره بدراهم معدودة ، أو من الذين رووا وأرخوا تحت وطأة سياط أئمة الجور والظلم والضلال .

لان المسالة خطيرة جدا ، حيث إنها تتعلق بمستقبل حياتنا الأخروية كما تضر باستقامة حياتنا الدنيوية ، لان المشهور والمأثور عن النبي الأكرم ﷺ القول : (إن

---

(١) النجم / ٣٩ – ٤١.
(٢) القمر / ٥٤ – ٥٥.
(٣) المعارج / ١١ – ١٧.

الدنيا مزرعة الآخرة) فعملنا في الدنيا يقودنا إما إلى الجنة وإما إلى النار ، ولا ثالث لهما .قال تعالى: «فمنهم شقي وسعيد . فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق» [1] وقال تعالى: «وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ» [2].

لذا يجب علينا أن نتدارك أمرنا ، ونصحح مسيرتنا ونتفحص بدقة متناهية – تفحص الواعي الخبير – لكل ما يحيط بنا أو موجود في داخلنا من أفكار ومفاهيم ومعتقدات موروثة خلف عن سلف ، وقدر رسخت في عقولنا وأنفسنا وأصبح التعصب ملازما لها ، والجهل والتقليد الأعمى محيطا بها ، حتى نكون على بصيرة من أمرنا «بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره» .

اجل ، يجب أن يكون الإنسان على بصيرة من أمره ، متبصرا في مسيرته الحياتية لينجو من المهالك والمزالق ومداخل الشيطان ، ولكي تكون أفكاره واعتقاداته واقعية وأخلاقية تتماشى وتنسجم مع جوهر ولب الإسلام وأصالة أخلاقه وقيمه الواقعية البعيدة عن كل تطرف وإرهاب ، وتعد على حقوق الآخرين.

من اجل أن يقدم الإنسان على ربه الكريم ، بوجه أبيض سليم ، بعد انتهاء مدة العمر القصيرة ، والتي عبر عنها القرآن الكريم في الجواب عن سؤال : (كم لبثت ؟ قال : يوما أو بعض يوم) .

---

(١) هود / ١٠٥ – ١٠٦.
(٢) هود / ١٠٨.

التبصر والوحدة الدينية والوطنية

إن من أوضح الواضحات ، كلما يكون الإنسان مخالفا للجمع والجماعة ، غارقا في الشك والجهالة ، فانه يعيش معزولا وغريبا في هذه الحياة ، وكلما كان مألفاً متبصرا ، سيعيش عنصراً ايجابيا فاعلاً في الحياة ، ومتفاعلاً مع الواقع والحقيقة ومساهما نشطا في رص الصفوف وتوحيد الكلمة ، وشاعرا بان المسلمين أخوة (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) و (إنما المؤمنون أخوة) ، فالبصيرة الثاقبة ، والعلم النافع ، والتمسك بالحق والحقيقة ، تكون خطى الأمة مسددة إلى التراص ووحدة الصف والصراط المستقيم ، تحت ظل القرآن، الكريم والسنة الشريفة ، على أساس راسخ من العقيدة ، ودعامة ثابتة من الإيمان ، في ارض صلبة ، لا تزيلها عواصف الأهواء والأعداء والمتصيدين في الماء العكر وذلك لتمهيد الطريق وتعبيده لإقامة مجتمع الحق والعدل والمساواة بين جميع أبناء الأمة ، وعلى اختلاف بيئاتهم وقومياتهم .

ومما يشجع في تحقيق ذلك وجعل الوحدة في المجتمع حقيقة ملموسة ، هو أن الدين الإسلامي هو دين واحد صدع به محمد بن عبد الله ﷺ من إله واحد ، وأحكامه واضحة لا لبس فيها فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة . فلا تشعب طرق ، ولا تعدد مذاهب ، لان صراط الله واحد وإذا وجد غيره فهو الخلاف لقوله تعالى: «وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون»[1] .

وبديهي إن عدم التمسك بالصراط المستقيم الوتر هو التفرق والتشتت والابتعاد عن الحق بعينه ، لان تعدد السبل يؤدي إلى تعدد الفرق ، وتعدد الفرق يؤدي إلى الضعف والانحلال والتمزق والسقوط إلى الهاوية . لذلك حرص

---

[1] الانعام / ١٥٤.

الإسلام وأوجب أن يكون الإتباع حصرا لطريق الله الحق الواحد الذي لا ثاني له . لان فيه النجاة والاستقامة ، وهو طريق الفرقة الناجية .

وقد أشار النبي الأكرم ﷺ إلى تلك الفرقة بقوله الشريف : (ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا فرقة واحدة ناجية)[1]. وقد أمرنا ﷺ بان يكون في تلك الفرقة الناجية لأنها الأساس المتين ، والطريق المعبد للوحدة والنجاة والفوز والنصر على الأعداء .

إذن ، لو كان الطريق إلى الوحدة والسعادة والنصر والنجاة متعددا لم يحصر النبي ﷺ النجاة بفرقة واحدة .

ولم يحصر الله عز وجل الوحدة والقوة بصراط مستقيم واحد بقوله : «إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ....» فقال وأمر بإتباع الصراط الفرد المستقيم ، ولم يقل بالجمع ، بل نهى سبحانه نهيا جازما وقاطعا عن إتباع السبل المتعددة بقوله تعالى: «ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم توعظون به لعلكم تتقون» .

اجل ، إن تعدد السبل تؤول إلى التفريق والابتعاد عن سبيل الله ، سبيل الحق والنجاة والوحدة والتقدم .

وعليه فلا تتحقق الوحدة والاستقامة في الحياة ، والنجاة في الدنيا والآخرة إلا بإتباع طريق واحد ، هو طريق الحق وفرقة واحدة ، هي الفرقة الناجية .

وأما إتباع السبل المتشعبة والمذاهب المتعددة فلا يهدي إلى الحق ، ولا يحقق النجاة والاستقامة في الدنيا والآخرة . وهذا لاشك فيه ولا ريب لأنه نص قرآني ونبوي ، والقاعدة الدينية والقانونية تقول : (لا اجتهاد مع النص) .

---

(١) رواه الترمذي في صحيحه ج ٥ ص٢٦، وابن ماجه في سننه : ١٣٢/٢ باب ١٧ دار الفكر ، والشهرستاني في الملل والنحل في مقدمة الكتاب ، والسيوطي في الدر المنثور : ١٣٦/٣ ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين : ج١ ص١٢٨.

وهل يوجد طريق أفضل وأوضح واسلم عاقبة من طريق أهل بيت النبي ﷺ ؟ اجل ، انه طريق الوحدة ولم الشمل ، طريق الحق والنصر والسعادة ، بدليل النصوص القرآنية الكريمة ، والنبوية الشريفة المؤكدة عليه ، والدالة إليه ، والتي لا غبار عليها البتة ولاشك فيها ، وقد أكدها ورواها الفريقان بصحاحهم وسننهم وتفاسيرهم ومقدماتهم وأحاديثهم وسيرهم وكتبهم عبر العصور والأزمان . وما أراد الاطلاع والوقوف على الحقيقة ، والوصول إلى الحق الذي فيه التبصر والنجاة في الدنيا والآخرة فليراجع ويتأكد بنفسه .

وهل توجد فرقة ناجية كالفرقة الاثني عشرية – فرقة علي عليه السلام وأبنائه المعصومين سلام الله عليهم أجمعين – والتي تبدأ بأمير المؤمنين عليه السلام وتنتهي بالإمام الثاني عشر المهدي المنتظر – عجل الله فرجه الشريف – الذي لو بقى من الدنيا يوم واحد ، لأمد الله ذلك اليوم ليظهر فيه (ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) ؟

وهذا مما أكده الرسول الأكرم ﷺ وأئمة الحق والهدى حتى أصبح من المسلمات البديهية والضرورية عند علماء الحق والبصيرة والدين من الخاصة والعامة[1] .

جاء عن عبد الله بن عمران انه قال : قال رسول الله ﷺ: (يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادي : هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه) روته الحفاظ كأبي نعيم والطبراني وغيرهما .

وقال في ص٣١١ : وجمع الحافظ أبو نعيم أربعين حديثا في المهدي خاصة وغيرهم كثير كثير ، والحاكم في المستدرك ج٤ ص٤٦٥ عن أبي سعيد الخدري قال:

قال نبي الله ﷺ: ينزل بأمتي في أخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم ، لم يسمع بلاء اشد منه تضيق عليهم الأرض الرحبة ، وحتى يملأ الأرض جورا وظلما ، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجأ إليه من الظلم ، فيبعث الله عز وجل رجلا من

(١) إقرء احمد بن حنبل في مسنده ج١ ص٣٧٦ ، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص٣١٦.

عترتي فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدخر الأرض من خيرها شيئا إلا أخرجته ، ولا السماء من قطرها شيئا إلا صبه الله عليهم مدرارا .

واخرج أبو البركات محمد بن احمد بن اياس الحنفي في كتابه : (بدائع الزهور في وقائع الدهور) ص٢١١ طبعة مصر ١٣٥٦ : عن أويس الثقفي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ينزل عيسى بن مريم .. فإذا نزل يدخل جامع دمشق ويقعد على المنبر فتتسامع الناس به ، فيدخل عليه المسلمون والنصارى واليهود فيزدحمون هناك ، حتى يطأ بعضهم رأس بعض ، فيأتي مؤذن المسلمين فيقيم الصلاة ، وهي صلاة الفجر فيصلي عيسى مأموما مقتديا بالمهدي) .

واخرج احمد بن حجر الهيتي في الصواعق الباب الحادي عشر الفصل الأول ص٩٦ ط م ١٣١٢ في الآية الثانية عشرة وهي : قوله تعالى: «وانه لعلم للساعة»[1] عن مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين : إن هذه الآية نزلت في المهدي ، ثم قال : وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي .. إلى أن قال : ومن ذلك ما أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وآخرون : (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) .

وكذلك أخرجه الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في الجامع الصغير مع شرحه : (فيض القدير) ج ٦ ص٢٢٧ ط م ١٣٥٧ / الحديث رقم : ٩٢٤١ ، قال : (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) . أخرجه عن أبي داوود وابن ماجه والحاكم عن أم سلمة بسند صحيح وغيرهم كثير جدا .

وقال بن حجر في الصواعق ص٩٩ : الأظهر أن خروج المهدي قبل نزول عيسى وقيل : بعده .

---

(١) الزخرف /٦١.

قال أبو الحسين الاجري : قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بخروجه ، وانه من أهل بيته ، وانه يملأ الأرض عدلا ، وانه يخرج مع عيسى (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) فيساعده على قتل الدجال بباب (لدّ) بأرض فلسطين ، وانه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه .

روى أبو داوود والترمذي في سننهما عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) وزاد أبو داود : ويملك سبع سنين وقال : حديث ثابت الصحة .

ورواه الطبراني في مجمعه وكذلك غيره من أئمة الحديث (الفصول المهمة ص٢٩٣) ... إلى أن قال : قال صاحب البيان الكنجي وما يدل على كون المهدي حيا باقيا منذ غيبته إلى الآن ، وانه لا امتناع في بقائه كبقاء عيسى بن مريم والخضر والياس من أولياء الله ، وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله هو الكتاب والسنة أما الكتاب:«ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[1] والسنة : هو المهدي من ولد فاطمة . إلى أخر ما قاله[2] .

نكتفي بهذا القدر من الروايات إضافة لما تقدم ذكره في موضوع (الإمام المهدي المنتظر ((عج))) لأنه يفي بالغرض ونستميح القارئ عذرا من كل هفوة أو تكرار .

وهكذا يتكشف لكل لب ودين قويم سوي : أن الطريق الواحد العاصم من التفرق والتمزق الذي يعتري الأمة ويصيب قلبها ووجدانها وفكرها ، والذي أمر الله به ورسوله ، هو طريق عترة النبي الطاهرة أئمة الحق والهدى .

وان الفرقة الناجية التي أشار إليها النبي الأكرم ﷺ في حديثه الشريف : (ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة ناجية) هي

---

(١) الصف / ٩.

(٢) ينابيع المودة : ٣٤٣/٣ . ب: ٨٥.

الفرقة الشيعية الإمامية الاثنا عشرية المؤمنة بما جاء به النبي ﷺ من ربه وبما قاله ﷺ : (لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثنى عشر خليفة ، وكلهم من قريش) وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه بعدة طرق وبعدة ألفاظ ، ورواه البخاري في صحيحه أيضا ، والترمذي وأبو داوود والطبراني في المعجم الكبير ، والمتقي الهندي في كنز العمال[1] .

حيث إن المصداق الوحيد الذي ينطبق عليه هذا الحديث وما شابهه هم العترة الطاهرة للنبي الأعظم محمد ﷺ المطهرين من الرجس بدليل اية التطهير ، وحيث أنهم يختصون بهذا العدد تاريخيا ، وتنطبق عليهم الأوصاف المستفادة من دلالات الحديث الشريف : (لن يزال هذا الدين قائما إلى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها)[2] .

اجل ، لن يقوم الإسلام إلا بالخلفاء الأوصياء الاثنى عشر بعد النبي ﷺ وإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها .

إذن ، فمن هم ؟ ولنستمع لما يقوله العلامة القندوزي :

اخرج العلامة القندوزي الحنفي في كتابه : (بنأبيع المودة) أواخر الباب السادس والسبعين صفحة ٤٤٢ اسلامبول ٣٠١ عن وائلة بن الاصقع بن فرجان عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول الله ﷺ وسأل عن أشياء فأجابه النبي ﷺ ثم قال : اخبرني عن أوصيائك من بعدك لاتمسك بهم .

قال ﷺ: أوصيائي الاثنا عشر . قال جندول : هكذا وجدناهم في التوراة. وقال : يا رسول الله سمهم لي .

---

(١) الحديث مذكور في بداية الكتاب.

(٢) رواه المتقي الهندي في كنز العمال عن انس بن مالك . كما رواه اخرون كالترمذي وأبي داود والطبراني رواه في المعجم الكبير وفي أوله : (يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيما لا يضرهم من خذلهم ...)

فقال ﷺ : أولهم سيد الأوصياء أبو الأئمة علي عليه السلام ثم ابناه الحسن والحسين ، فاستمسك بهم ولا يغرنك جهل الجاهلين فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ويكون أخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه .

فقال جندل : وجدنا في التوراة وفي كتب الأنبياء : ايليا وشبرا وشبيرا فهذه اسم علي والحسن والحسين . فمن بعد الحسين وما اساميهم ؟

قال ﷺ : إذا إنقضت مدة الحسين فالإمام ابنه علي ويلقب بزين العابدين ، فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر . فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق . فبعده ابنه موسى يدعى بالكاظم . فبعده ابنه علي يدعى بالرضا . فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي والزكي . فبعده ابنه علي يدعى بالنقي والهادي . فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري . فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة فيغيب ثم يخرج ، فإذا خرج يملأ الأرض قسطا وعدلا ....) .

واخرج ما يضارعه أيضا عن الحموييني في فرائد السمطين عن ابن عباس [1].

وعليه فان الإقرار بولايتهم والاعتراف بفضيلتهم والبراءة من أعدائهم والاعتصام بهم والتمسك بحبلهم والسير على طريقهم والمحبة لهم ، وجعلهم الأسوة والقدوة في الحياة . هو الطريق الوحيد الذي يهدي إلى الحق والنجاة ونور اليقين . والسبيل الفرد لرص الصفوف وتحقيق الوحدة الصادقة ، والمبرئ للذمة ، والمنجي من النار ، والمؤدي إلى الجنة والنعيم الدائم .

ولقد تظافرت الآيات القرآنية الكريمة والروايات النبوية الشريفة وسنة أهل البيت عليهم السلام المقدسة على إخراج هذا الأمر المهم ، بصورة جلية وناصعة لا لبس فيها ولا غبار عليها بل واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار .

ومن أراد الحق فليشرع بسفينته نحو العترة الطاهرة أئمة الحق والهدى إلاثنى عشر المعصومين عليهم السلام أوصياء وخلفاء رسول الله ﷺ .

---

(١) خلفاء الرسول اثنا عشر : ٢٤٧ – ٢٤٨.

الفصل الثالث

ومن أراد النجاة وانشد الحقيقة فليتجه صوبهم أيضا كما فعل الكثيرون من رواد الحق والحقيقة ، والعلم والفضيلة ، عبر التاريخ .

ولنقرأ ما قاله شيخ الأزهر سليم البشري في آخر مراجعة له مع السيد الأجل عبد الحسين شرف الدين .

وقفة مع الشيخ العالم سليم البشري شيخ الأزهر

١٢٤٨ - ١٣٣٥ هـ / ١٨٣٢ - ١٩١٦ م

ولد الشيخ سليم البشري المالكي في محلة بشر بمحافظة البحيرة عام ١٢٤٨هـ الموافق ١٨٣٢م ، ودرس بالأزهر ، ثم تولى مشيخته مرتين : الأولى من عام ١٣١٧ هـ (١٩٠٠م) إلى عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٤م) والمرة الثانية من عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م) إلى عام ١٣٣٥هـ (١٩١٦م) .

وفي عهده طبق نظام امتحان الراغبين في التدريس بالأزهر واجتاز هذا الامتحان كثيرون من العلماء ، وكان رحمه الله تعالى حازما في إدارته للأزهر ، ولم تمنعه مسؤوليات المشيخة من إلقاء دروسه على طلابه . وللشيخ جملة مؤلفات ، معظمها من الحواشي والتقارير على كتب السلف . ومن آثاره :

حاشية تحفة الطلاب لشرح رسالة الآداب . وحاشية على رسالة الشيخ في التوحيد . وشرح نهج البردة في الأدب . والاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الاحباس .. وهو بحث في النحو عول عليه كثيرا في التدريس بالأزهر .

وقد توفي الشيخ سليم البشري عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦م)[1] .

ولقد وصفه السيد شرف الدين : بأنه كان علم مصر وإمامها ويمتاز بعقل واسع ، وخلق وادع ، وفؤاد حي ، وعلم عليم ، ومنزل رفيع ، يتبوأه بزعامته الدينية بحق وأهلية .

---

(١) انظر بداية المراجعات : ص٥.

التقى به السيد الأجل والأستاذ البارز في الأوساط العلمية وصاحب المكانة السامية بين العلماء والمجتهدين في العالم الإسلامي وخريج مدرسة النجف الاشرف والمولود في الكاظمية المقدسة في العراق سنة ١٩٢٠ هـ ، والمعروف بمناظراته العلمية الكثيرة ومؤلفاته المتعددة وحلقات تدريسه القيمة ، وقيادته العلمية في التغيير الاجتماعي في بلده لبنان حيث منبت أسرته في جنوبه – جبل عامل – وتصديه لمجابهة الاستعمار والاحتلال الفرنسي ، الذي شرده وعائلته إلى الشام ففلسطين فمصر واحرق بيته ومقره بما في ذلك مكتبته الكبرى ، وأينما حل كان مشعلا للإسلام ونورا للمسلمين ، وقد توفي ٨/ ج٢ / ١٣٧٧ هـ .

نعم ، التقي هذا السيد الجليل بهذا الشيخ العليم أواخر سنة ١٣٢٩ هـ في مصر ، وشكا كل منهما للأخر وجده وضيقه ، وكانت ساعة موفقة لجمع كلمة المسلمين سنة وشيعة ولم شعث هذه الأمة ، لأنهم مسلمون ولا نزاع بينهم إلا ما يكون بين المجتهدين في بعض الأحكام ، لاختلافهم فيما يستنبطونه من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو العقل . وقد لاحظ الاثنان : (إن السبب الموجب لاختلاف الأمة هو ثورة الأمة لعقيدة ، ودفاع عن نظرية ، أو تحزب الرأي ، وان أعظم خلاف وقع بين الأمة ، اختلافهم في الإمامة ، فانه ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة ، فأمر الإمامة من اكبر الأسباب المباشرة لهذا الاختلاف ، وقد طبعت الأجيال المختلفة في الإمامة على حب هذه العصبية ، والفت هذه الحزبية بدون تدبر وبدون روية)[1].

ولقد بدأت المراجعة الأولى بتاريخ : ٦/ذي القعدة /١٣٢٩ هـ . واستمرت المراجعات بينهما حتى بلغ العدد : مائة واثنتي عشرة مراجعة ، حيث انتهت أخر مراجعة (١١٢) بتاريخ : ٢/جمادي الأولى/ ١٣٣٠هـ وكانت هذه المراجعات تدور حول مبحثين مهمين : احدهما : في إمامة المذهب أصولا وفروعا ، وثانيهما : في الإمامة العامة وهي الخلافة عن رسول اله ﷺ .

---

(١) المراجعات : ص٥.

وقد استغلهما الأعداء والحاقدون على المسلمين استغلالا فضيعا وبشعا ، لتمرير مخططاتهم الخبيثة في تمزيق الأمة الإسلامية وتفريقها أيادي سبأ .
ويالاسف الشديد إنهم قد نجحوا في ذلك نتيجة للجهل وعدم الوعي والتعصب الأعمى . ولكن والحمد لله بدأ الوعي يدب من جديد في الجسم الإسلامي ، وظهرت الصحوة وبدأ المسلمون يدركون أهمية الوحدة بين السنة والشيعة ، كما بدأوا يعرفون أنهم مستهدفون جميعا ، وان العدو لا يفرق بين السنة والشيعة على الإطلاق ، لذا وضعوا يدا بيد من اجل تقوية اللحمة بينهما والركون إلى الحق ، وقبر مخططات الأعداء الماكرين ، بفضل جهود العلماء الواعين المخلصين في هذه الأمة ، كشرف الدين والبشري عليهما الرحمة .

وقد اتفقا على الحوار الهادف البناء بينهما للوصول إلى الحق والإذعان للحقيقة ، بخصوص إمامة المذهب أصولا وفروعا ، والإمامة العامة وهي الخلافة بعد النبي ﷺ هل هي محصورة في علي عليه السلام وأبنائه المعصومين أم في غيرهم ، مع مناقشة كل الأمور العالقة بين السنة والشيعة ، وقد استمرت تلك المراجعات المتبادلة بينهما وقطعت شوطا بعيدا حيث كانت المراجعة ما قبل الأخيرة – وهي الحادية عشرة بعد المائة – لشيخ الأزهر سليم البشري ، وقد قال فيها :
(اشهد إنكم في الفروع والأصول على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول ، وقد وضحت هذا الأمر فجعلته جليا ، وأظهرت من مكنونه ما كان خافيا ، فالشك فيه خبال ، والتشكيك تضليل ، وقد استشففته[1] فراقني إلى غاية ، وتمخرت ريحه[2] الطيبة فأنعشني ، قدسي مهبها بشذاه الفياح وكنت – قبل ان اتصل بسببك – على لبس فيكم لما كنت اسمعه من إرجاف المرجفين وإجحاف المجحفين ، فلما يسر الله اجتماعنا أويت منك إلى علم هدى ومصباح دجى ، وانصرفت عنك مفلحا

(١) تقول : استشففت الثوب اذا نشرته في الضوء وفتشته تطلب عيبه ان كان فيه عيب .
(٢) تمخر الريح : ان تبحث عن مهبها ومجراها .

منجحا ، فما أعظم نعمة الله بك علي ، وما أحسن عائدتك لدي والحمد لله رب العالمين . (س المراجعة ١١١)[١]

وأجابه السيد شرف الدين في المراجعة الأخيرة رقم ١١٢ بقوله :

(اشهد انك مطلع لهذا الأمر ومقرون له[٢] حسرت له عن ساق ونصلت فيه أمضى من الشهاب[٣]، أغرقت في البحث عنه، واستقصيت في التحقيق والتدقيق، تنظر في إعطافه وأثنائه ، ومطاويه وأحنائه ، تقلبه منقبا عنه ظهرا لبطن ، تتعرف دخيلته وتطلب كنهه وحقيقته لا تستفزك العواطف القومية ولا تستخفك الأغراض الشخصية، فلا تصدع صفات حلمك ، ولا تستثار قطاة رأيك ، مغرقا في البحث بحلم اثبت من رضوى ، وصدر أوسع من الدنيا ، ممعنا في التحقيق لا تأخذك في ذاك إصره[٤] حتى ابرح الخفاء ، وصرح الحق عن محضه ، وبان الصبح لذي عينين ، والحمد لله على هدايته لدينه ، والتوفيق لما دعا إليه من سبيله ، وصلى الله على محمد واله وسلم) (ش المراجعة ١١٢) ٢/ج١/١٣٣٠ ص٣١٦ المراجعات .

وهكذا تنتهي المراجعات ، ويحمد الله الشيخ سليم البشري على انصرافه عن السيد الأجل العالم مفلحا منجحا وقد ازيل الشك واللبس من ذهنه عن مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية والذي أوجده المرجفون والمجحفون بحقهم بغضا وحقدا وحسدا . وأصبح على هدى وبصيرة وإقرار (بولاية الأئمة من آل الرسول) وقد اعتبر الشك فيه (خبال والتشكيك تضليل) فحصحص الحق والحمد لله رب العالمين.

---

(١) المراجعات : ص٣١٥.

(٢) أي مطبق قادر عليه .

(٣) الانصالات : أي الجد والسبق . والشهاب هو ما يرى في الليل من النجوم منقضا .

(٤) الاصره : ما عطفك على رجل من رحم أو قرابه أو صهرا أوالمعروف .

وقفه من نص فتوى شيخ الأزهر محمود شلتوت

قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام :(لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا) . فحن الشيعة يقيننا ثابت ، بان الإمامة والولاية والوراثة والوزارة والوصية والخلافة ، محصورة في علي عليه السلام وأبنائه المعصومين الأحد عشر من بعده ، الواحد بعد الأخر ، سلام الله عليهم أجمعين . وتبدأ ولايتهم وخلافتهم على الأمة بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مباشرة . عملا بمقتضى النصوص القرآنية الكريمة ، ووصية النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وتأكيده المتكرر منذ أن بعث صلى الله عليه وآله وحتى أخر لحظة من حياته الشريفة على تحقيق هذا الأمر المهم وتجسيده على ارض الواقع بعد تلبيته لأمر الله تعالى وانتقاله إلى جواره الكريم .

لان هذا الأمر الهام ، ليس أمراً مزاجياً ، أو اجتهادياً ، وإنما هو أمر منصوص عليه قرآنياً ونبوياً ، وعليه فلا مجال يذكر هنا للشورى ، واختيار أهل الحل والعقد أو الانتخاب ، لان الاجتهاد مع النص باطل النتيجة وغير جائز على الإطلاق بمنطوق الرسول صلى الله عليه وآله والشرع الحنيف ، والعلم الاشرف .

وعلى هذا الأساس ينبغي التبصر والتأمل وعدم التعصب واستخلاص النتيجة والوقوف على الحق والحقيقة ، ليكون العمل منجيا ومرضيا عند الله تبارك وتعالى. وكذلك لإزالة ما يعلق في الذهن من زيغ والتباس وتحامل على الآخرين ، من دون دليل وجدوى ، سوى إشباع لرغبات أناس أعمى الحقد والجهل وحب السيطرة ، أبصارهم وبصائرهم .

لذا أصبح من الضرورة بمكان وتحقيقا للفائدة الوقوف عند نص فتوى الشيخ العالم الجليل محمود شلتوت ، شيخ الأزهر وتثبيتها هنا ، ليتبصر إخواننا المسلمون ويفهموا الحقيقة . (وان يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة) كما يقول الشيخ شلتوت نفسه ، وان يزيلوا هذا الالتباس والبغض الذي زرعه

أعداء الاسم عامة ، وأعداء الشيعة خاصة وسقاه وتعهد به المرجفون والمجحفون والمبغضون لعلي وشيعته .

الم يقرأ هؤلاء الحاقدون الروايات النبوية الشريفة الكثيرة والناطقة بان محمدا وعليا خلقا من نور قدرة الله تعالى، قبل إيجاد الخلق بآلاف من السنين ، فكانا أنواراً بعرشه محدقين على اختلاف الروايات الواردة في عدد السنين ، فمنها من تقول : إن الله خلق نور محمد وعلي قبل أربعين ألف سنة قبل الخلق ومنها من تقول أربع عشرة ألف سنة ومنها من تقول ألفي سنة ؟

الم يقرأ هؤلاء المبغضون ما رواه شيخ الإسلام الحمويني الشافعي في (فرائد السمطين) وأبو القاسم عبد الكريم بن محمد الدافعي في كتابه ، ونقله عنهما العلامة الشيخ عبد الله الحنفي في كتابه : (أرجح المطالب) عن أبي هريرة عن النبي ﷺانه قال : (لما خلق الله تعالى ادم أبا البشر ونفخ فيه من روحه ، التفت ادم عن يمين العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجدا ركعا قال ادم :

هل خلقت أحدا من طين قبلي ؟

قال : لا يا ادم .

قال : فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي .

قال : هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك هؤلاء خمسة شققت لهم أسماء من أسمائي ، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ، ولا الملائكة ، ولا الإنس ولا الجن ، فانا المحمود وهذا محمد ، وأنا العالي وهذا علي ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة ، وأنا ولي الإحسان وهذا الحسن ، وأنا المحسن وهذا الحسين ، آليت بعزتي أن لا يأتي احد بمثقال ذرة من خردل من بغض احدهم إلا أدخلته ناري ولا أبالي يا ادم هؤلاء صفوتي ، بهم انجي وبهم أهلك .

قال : إذا كانت لك حاجة فبهؤلاء توسل ، فقال النبي ﷺ : (نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن حاد عنها هلك فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا

أهل البيت)[1] . وهذا الحديث هو من الأحاديث الشهيرة عند الفريقين : السنة والشيعة وقد نص علماؤنا عليه لصحته ورواه الثقاة له وقد علق عليه الشيخ المفيد في رسائله الموسومة (برسائل الشيخ المفيد) في صفحة ٤٤ .

ويسمى هذا الحديث المشهور (بحديث الأشباح) ؟

ويقول عثمان بن احمد السماك في كتاب الفضائل : إن النبي ﷺ قال : (في اللوح المحفوظ تحت العرش علي بن أبي طالب أمير المؤمنين) .

اجل إن عليا عليه السلام هو أمير للمؤمنين في اللوح المحفوظ في العالم العلوي كما هو أمير للمؤمنين في العالم الأرضي ، وليخسأ الشانئون .

نعم ان النبي والوصي هما من نور واحد ، نفس واحدة بصريح القرآن في آية المباهلة «. . . وأنفسنا وأنفسكم» .

وهما أحب الخلق إلى الله ، وأعزهم لديه ، وأكرمهم عنده ، وما خلق الدنيا وما فيها إلا لأجلهم ، فمن أحبهم فقد أحب الله ، ومن والاهم فقد وإلى الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله ، ومن عرفهم فقد عرف الله ، ومن جهلهم فقد جهل الله ، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله ، ومن تخلى عنهم فقد تخلى عن الله .

فهم الدعاة إلى الله ، والادلاء على مرضاة الله ، وحملة كتاب الله ،والمخلصين في توحيد الله ، والمظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين ، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، فطوبى لمن سار على نهجهم وحذا حذوهم (محمد ﷺ وعترته الطاهرة) .

فمن تدبر أمرهم ، وتأمل مناقبهم ، وتعرف على بعض صفاتهم أسفر الصبح لعينه ، ونطق الحق على لسانه ، وهذا ما تجسد فعلا في فتوى الشيخ الأجل محمود شلتوت شيخ الأزهر واليك النص :

---

(١) فرائد السمطين : ج١ ص٢٥ ، وارجع المطالب ص٤٦١.

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الأزهر في شان جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية ، فأجاب فضيلته :

إن بعض الناس يرى انه يجب على المسلم لكي تقع عبادته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد احد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه ، فتمنعون تقليد مذهب الشيعة و الإمامية الاثنا عشرية مثلا ؟

فأجاب فضيلته :

إن الاسم لا يوجب على احد من أتباعه مذهب معين ، بل نقول إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا ، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ، ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ، - أي مذهب كان – ولا حرج عليه في شيء من ذلك .

إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة .

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وان يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات .

السيد صاحب السماحة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقي القمي : السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية :

سلام عليكم ورحمته . أما بعد .

فسرني أن ابعث إلى سماحتكم بصورة موقع عليها بإمضاء من الفتوى التي أصدرتها في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية راجيا أن تحفظوها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها ووفقنا الله لتحقيق رسالتها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود شلتوت

شيخ جامع الأزهر

هكذا حصحص الحق مرة أخرى ، على يد أستاذ اكبر وشيخ جليل من شيوخ الأزهر ، واتضحت الحقيقة ناصعة ، ولقم الحجر كل من تطفل على العلم واندحر.

وقفة مع الشيخ محمد الإنطاكي مفتي حلب

الشيخ محمد الإنطاكي ، هو احد إخواننا السنة الأجلاء الأعزاء كان مفتيا دينيا لمدينة حلب في سوريا ، واتفق أن قرأ في من الأيام حديثا شريفا للرسول الأكرم محمد ﷺ، يبين به منزلة وأفضلية أمير المؤمنين والعترة الطاهرة عليهم السلام .وهو حديث مشهور عند السنة والشيعة والموسوم بحديث المنزلة ، وهو ذا :

قال رسول الله ﷺ :(مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[1] .

ومن البديهي المعلوم إن الذين ركبوا في سفينة نوح هم المؤمنون وقد أنجاهم الله من الغرق ، والذين تخلفوا هم الكافرون وقد هلكوا غرقا بالطوفان الذي أحدثه الله سبحانه ، استجابة لدعوة نبيه نوح عليه السلام ، «وقال نوح رب لا تذر على

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي .

الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فجاراً كفارا».

وكان ممن غرق ابن نوح لأنه تخلف عن الركوب واثر الكفر على الإيمان ، معتقدا إن الصعود إلى قمة الجبل ينجيه من الغرق ، ولكن المنجي الوحيد من عذاب الله هو الإيمان الحقيقي والعمل الصالح ، قال تعالى: «وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولاتكن مع الكافرين . قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين» . وقال تعالى: «ونادى نوح به فقال رب إن ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت احكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين» .

ولقد قال ابن حجر : (ووجه تشبيههم بالسفينة : إن من أحبهم وعظمهم شكرا لنعمة مشرفهم ، واخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان) .

إذن ، لماذا لا يأخذ الناس بهدي أهل بيت النبي ﷺ، لينجوا من ظلمة المخالفات والغرق في بحر كفر النعم ، ومن الهلاك في مفاوز الطغيان ؟ ولكنه التوفيق والهداية والتبصر .

وبالفعل توفق الشيخ الأجل محمد الإنطاكي ، لحسن طويته واستعداده للهداية ، والإيمان بالولاية العامة لائمة أهل البيت عليهم السلام ابتداءً بعلي وانتهاء بالحجة المنتظر عليهم السلام . إلا انه اشترط على نفسه أن يتفحص حديث الرسول ﷺ من حيث صحة متنه وسنده .

وعند التحقيق والتدقيق في المصادر المعتمدة ، وجده حديثا صحيحا متواترا يرويه الفريقان سنة وشيعة ، وقد أخرجه الحاكم في مستدركه ج٣ ص١٥١ ،

والخطيب في تاريخ بغداد ج١٢ ص٩١ . وفي ج١٣ ص٣٠٧. وابن قتيبة في عيون الأخبار ج١ ص٢١١ . والقندوزي في ينابيع المودة باب ٤ ص٢٧-٢٨ . وبطرق متعدة عن ابن عباس وابن الزبير وأبي ذر الغفاري وأبي سعيد الخدري ، انه ﷺقال : (مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) .

وأخرجه أيضا السيوطي في الجامع الصغير بشرح المناوي ج٥ ص٥١٧ رقم (٨١٦٢) . وبعد تيقنه من ذلك عدل عن مذهبه وأعلن تشيعه على رؤوس الملأ والأشهاد وتبعه آلاف من أهالي حلب . وبعد فترة من تشيعه تعرض لمحاولة اغتيال آثمة من بعض الذين أعمتهم الضلالة والجهالة والتعصب المقيت كما أعلن ذلك في كتاب عدوله وإظهار تشيعه . والحمد لله على هدايته لدينه والإقرار بولاية عترة رسوله ﷺبعد شروق الحق لديه كما هو مذكور في كتابه : (لماذا اخترت مذهب الشيعة) .

وقفة مع الشيخ معتصم سيد احمد

الشيخ معتصم كاتب سوداني فذ ، وله مؤلفات عدة منها كتاب (الحقيقة الضائعة . رحلتي نحو مذهب آل البيت) وكان سنيا ويتعاطف مع الفكر الوهابي الذي غزا السودان بعنف ، ولكنه سرعان ما ظهرت له حقيقة مذهبهم المتطرف الجامد المختلف عن ركب الحضارة ، والفاشل في مواجهة الحياة وحل المشكلات التي تواجه الإنسان في شتى الأصعدة ، وحتى في كيفية العلاقة مع الله تعالى حيث نراه يصرح بوضوح في كتابه (الحقيقة الضائعة ص١٥) ما يلي :

(إن هذا المذهب – الوهابية – الذي يتبنونه أشبه بقوانين الرياضيات ، فهو عبارة عن قواعد وقوانين جامدة ، تطبق من غير أن تكون لها انعكاسات حضارية واضحة في حياة الإنسان وفي فن تعامله مع هذه الدنيا في شتى الأصعدة الفردية منها أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية ... وحتى في كيفية العلاقة مع الله

تعالى، بل العكس تماما فكثيرا ما تجعل الإنسان متوحشا في عزلة عن المجتمع بما يحمله من صكوك التفكير لكل قطاعاته فلا يستطيع الواحد منهم أن يتعايش مع المجتمع ... لأنهم ينظرون أن كل ما يفعله المجتمع بدعة وضلال ... وان الواحد منهم بزمن قليل من تدينه وبقليل من العلم بصبح مجتهدا يحق له أن يفتي في أي مسالة .

لذا ابتعد هو ومجاميع كبيرة من الشباب عن هذا المذهب الضال المتحجر ، وراح الشيخ يقضي الساعات الطوال في البحث والتنقيب ، ودراسة التاريخ ، وتتبع المذاهب الإسلامية لمعرفة الحق من بينها – كما يقول – وقد جاء في كتابه المذكور آنفاً ص١٨ :

(ركام من الجهل والتجهيل عشناه طوال حياتنا ، نركض خلف مجتمعاتنا من غير أن نسال ، هل ما عندنا من دين هو مراد الله تعالى، وهو الإسلام ؟ وبعد البحث اتضح إن الحق كان مع ابعد الطرق تصورا في نظري ، وهم الشيعة .

اجل ، إن الشيعة هم أصحاب الحق ، بعد كل بحث وتدقيق ، ونظر وتحقيق ، وبديهي ماذا بعد الحق إلا الباطل !! .

ولكن الذين ترعرعوا في أحضان الباطل والجهل والبدع والضلال والتعصب المقيت لا يحلوا لهم الحق ، فوقفوا صفا واحدا يساندهم الشيطان والسلطان المتغطرس ضد الشيعة في كل زمان ومكان لا لشيء سوى أن الشيعة هم أصحاب الحق وعلى دين الحق ، دين محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين .

يقول الشيخ معتصم : (وبعد قراءتي لكتاب المراجعات ومعالم المدرستين اتضح لي الحق وانكشف الباطل لما في هذين السفرين من أدلة واضحة وبراهين ساطعة بأحقية مذهب أهل البيت . وازدادت قوتي في النقاش والبحث ، حتى كشف الله نور الحق في قلبي وأعلنت تشيعي...)[1] .

---

(١) الحقيقة الضائعة : ص٢٣.

اجل ، هذا عالم جليل ، حقق ودقق وناقش وبحث بعمق في المذاهب الإسلامية حتى تبين له الحق واضحا جليا بعد أن كشفه الله له وألقى نوره في قلبه فأعلن تشيعه وراح ينشره في كتبه وأحاديثه ومحاضراته على الملأ . وأما الجهلة والذين لا يعلمون شيئا وقد عميت بصائرهم وأبصارهم عن رؤية الحق ونور الحقيقة راحوا يحاربون الشيعة ورموزها بكل خبث وحقارة ويكيلون لها التهم والإساءات الإعلامية ليل نهار ظلما وعدوانا وبغضا لرسول الله ﷺ وعترته الطاهرة – أئمة الحق والهدى – عليهم السلام

وانكشف الزيف

وأخيرا انكشف الزيف لان الليل مهما طال . والحق مهما تغطى بأغطية كثيفة لابد أن تشرق شمسه ساطعة لكل ذي عينين ونهى ، ولابد أن يلوح ويبدو فجر الحقيقة لكل ذي علم وعقل وضمير حي ، « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض»[1] .

يقول الشيخ معتصم : (وانكشف الزيف ... إن الحديثين : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) ، (إني تارك ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي) .

فهما في الواقع الأساس الأول الذي يبتني عليه الفكر السني ، وبالأخص الفكر الوهابي الذي يتبنى الحديثين بصلابة .. والشك فيهما يعني الشك في انتمائي.

---

(١) الرعد / ١٧.

وهذه الفكرة التي انخدعت بها لم تكن – بعد التحقيق – وليدة العصر أو وليدة الفكر السني ، وإنما هي وليدة خطة مدروسة دبر لها من قديم الزمان لتمويه الحقائق ولمواجهة خط أهل البيت ، الذي يمثل الإسلام بأروع صوره ، وللأسف الشديد فان كثيرا من المدارس الفكرية ، قامت على أنقاض ذلك المخطط الخبيث فتبنت أفكاره وكأنها نازلة من عند الله سبحانه وتعالى، وروجوا لها ودافعوا عنها بكل الوسائل ، وما لوهابية الأمثال واضح لضحايا ذلك المخطط الذي أودى بالأمة الإسلامية إلى واد سحيق من الانقسام والفرقة والشتات ...

وما يهمنا من ذلك المخطط في هذا المجال هما للحديثان اللذان كانا الخطة الأولى لتحريف الدين وتغيير مسار الرسالة ولإبعاد المسلمين عن حديث رسول الله صلى اله عليه واله وسلم : (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تصلوا بعدي أبدا كتاب اله وعترتي أهل بيتي) ذلك الحديث المتواتر الذي روته كتب الحديث وتعددت مصادره عند السنة والشيعة ، ولكن يد الغدر والخيانة حاولت أن تخفيه عن الأنظار وروجت بدلا عنه حديثي : (كتاب الله وسنتي) و (عليكم بسنتي...)[1] .

اللذين سينكشف ما ينطويان عليه من ضعف وهزالة ...

وصحة حديث العترة الذي هو الرصاصة الأولى التي تصيب قلب الفكر السني)[2] .

ومن الجدير بالذكر إن الشيخ معتصم قد حدث له أثناء إقامته في الشام لقاء مهم مع الشيخ عبد القادر الارنؤوطي وهو من علماء الشام ومحدث وحافظ وله إجازة في علم الحديث – سني المذهب – ولقد دار بينهما حوار شاق وحساس ، حول إثبات أحقية مذهب أهل البيت عليهم السلام – مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية – وقد تمكن من ذلك بكل جدارة وتفوق .

---

(١) يوجد الحديث في سنن أبي داوود وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه ، وان رواه الحديث لا يخلو جميعهم من ضعف وطعن عند علماء الجرح والتعديل ، كما في كتاب الحقيقة الضائعة ص٣٩.

(٢) الحقيقة الضائعة ص٣٥ – ٣٦.

وعندما رأى مريدو الشيخ الارنؤوطي الانكسار في شيخهم أصبحوا يهرجون ويمرجون وقال الشيخ معتصم : (كفى دجلا ونفاقا ، ومراوغة عن الحق ، إلى متى هذا التنكر ؟؟! . والحق واضحة آياته ، ظاهرة بيناته ، وقد أقمت عليكم الحجة ، بأن لا دين من غير الكتاب والعترة الطاهرة من آل محمد صلى الله عليه واله وسلم .

وظل الشيخ ساكتا ولم يرد علي – أي على الشيخ معتصم – كلمة واحدة ... وهكذا مصير كل من يراوغ ويخفي الحقائق ، فلا بد أن ينكشف أمام الملأ [1].

ولم يكتف الشيخ معتصم بإثبات أحقية الشيعة وقوة حجتهم وصحة مذهبهم ، وإنما راح يبين دور الكتاب والمحدثين والمؤرخين ومن جاء بعدهم في تحريف الحقائق وتزييفها وتشويه مذهب أهل البيت ، وتصوير التشيع بأبشع وأقبح ما يكن من الصور من جراء ما نسجوه من خرافات وأوهام .

فنراه يقول في كتابه : (رحلتي نحو مذهب آل البيت ص١٩٩) مايلي: (وقد نجح هؤلاء الكتاب نجاحا كبيرا في تعميق الجهل في نفوس أهل مذهبهم وتوسيع الفجوة بينهم وبين معرفة الحقيقة مصورا التشيع بأبشع وأقبح ما يكون من الصور من جراء ما نسجوه من خرافات وأوهام ، ولا أقول هذا مجرد افتراض ، وإنما عايشت هذا الجهل مدة من الزمن ، وأحسست به أكثر عندما تفتحت بصيرتي وأنار الله قلبي بنور أهل البيت ، فوجدت مجتمعي يركد في ركام من الجهل والافتراءات على الشيعة ، فكلما اسأل عن الشيعة سواء كان المسؤول عالما أو مثقفا كان يجيبني بسلسلة من الأكاذيب على الشيعة مثلا : إن الشيعة تدعي أن الإمام عليا عليه السلام هو الرسول ولكن جبرائيل اخطأ وانزل الرسالة على محمد ، أو أنهم يعبدون الإمام عليا ...وغيرها من الأكاذيب التي لا تمت إلى الواقع بصلة .

واشد محنة من ذلك عندا يبادرك سؤال حائر :

هل الشيعة مسلمون ؟ . وما هو الفرق بين الشيعة والشيوعية ؟

---

(١) انظر الحقيقة الضائعة ، ص٥٦.

إن هذا الجهل بالتشيع الذي تعيشه مجموعة كبيرة من الأمة الإسلامية كان نتاجا طبيعيا لمجهود هؤلاء الكتاب ، لفرض الجهل المطبق على أبناء هذه الأمة لكي لا يتعرفوا على مذهب التشيع ، وهذا هو المخطط الذي بدأ قديما ليتم مسيرته إلى اليوم ، فتجد مئات من الكتب المسمومة في متناول يد الجميع ، هذا اذا لم تكن توزع مجانا من قبل الوهابية ...

والأدهى والأمر من كل ذلك إذا وفرت لأحدهم كتابا فانه لا يقرأه هذا اذا لم يحرقه بحجة انه لا يجوز قراءة كتب الضلال..[1]

اجل إن الشيعة والسنة هم مسلمون وعلى دين واحد هو الإسلام ، ولهم كتاب واحد هو القرآن ، ولهم نبي واحد هو محمد ﷺ ويعبدون ربا واحدا هو الله سبحانه . والمسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وتتكافأ دمائهم ، ومن أذى مسلما ولو بشطر كلمة فليس بمسلم كما يقول الرسول ﷺ:

إذن فلماذا هذا التزوير للحقيقة والتضييع للحق والاعتداء على الشيعة ؟! ولماذا التمسك بذلك المخطط الرهيب الذي بدأ قديما ليتم مسيرته إلى اليوم والذي يهدف إلى نشر الجهل في الأمة لكي لا يتعرفوا على مذهب التشيع ؟!

أليس الحق أحق أن يتبع ، والحقيقة يجب أن تعرف ؟!

نعم يجب أن نتبع الحق كما يجب أن نعرف الحقيقة . لكي نقوى ونتقدم في الحياة ، ونقدم على رب كريم بذمم مبرأة فيها النجاة والفوز .

علماء السنة ومثقفوها يتشيعون

لقد كسرت الأغلال ، وانقشعت سحب التعتيم الداكن التي أوجدها أعداء الشيعة والمبغضون لخط أهل البيت ، وانجلت شمس الحقيقة ، وحصحص الحق بازغا مشرقا مترنما لكل ذي علم وثقافة من إخواننا السنة وغيرهم فراحوا

---

(١) رحلتي نحو منار البيت / ١٩٩ - ١٠٠.

يعلنون ولاءهم لنهج أهل البيت عليهم السلام ويصرحون بصوت الحق والدليل والبرهان بأحقية الشيعة الاثنى عشرية وصدقهم وصوابهم ، وإنهم بحق الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله والرسالة الحقة .

وقد أكد الشيخ معتصم سيد احمد على ذلك بقوله :

(قد تمكنت مجموعة من نخبة السنة وعلمائها من كسر الأغلال وتعدي حواجز الكبت الإعلامي ، لتنفتح على العلوم والمعارف وكان من بينها التشيع كمذهب له تاريخه ومعارفه وثقافاته مما أدى إلى
انجلاء سحاب التعتيم الداكن على سماء الحقيقة فلم يسعه إعلاء صرخة الحق وإعلان ولائهم لنهج أهل البيت عليهم السلام .

وقد ضم هذا الموكب آلافا من أصحاب الفكر والأقلام الحرة قديما وحديثا ، لا يسعنا المجال لذكرهم ، وإنما نكتفي بذكر نماذج منها :

١- المحدث الجليل أبو النفر محمد بن مسعود بن عياش المعروف بالعياشي ، كان من كبار علماء السنة قبل تشيعه ، وهو يعد من كبار علماء الشيعة الإمامية ، له تفسيره المأثور (تفسير العياشي) .

٢- الشيخ محمد مرعبي الأمين الإنطاكي ، تخرج من الأزهر وتقلد منصب قاضي القضاة في حلب ، وله مركزه العلمي والاجتماعي ، وقد هداه الله تعالى للالتزام بمنهج أهل البيت عليهم السلام وله كتاب مطبوع ومنتشر (لماذا اخترت مذهب الشيعة) وقد تشيع معه آلاف من أهالي حلب . (مذكور في هذا الكتاب) .

٣- الشيخ سليم البشري وهو من علماء أهل السنة والجماعة (مذكور في هذا الكتاب) .

٤- الشيخ محمود أبو ريه ، عالم وكاتب مصري له كثير من الكتب والإبداعات من بينها : (أضواء على السنة المحمدية) وكتاب (أبو هريرة شيخ المضيرة) .

٥- المحامي احمد حسين يعقوب ، وهو كاتب أردني متشيع له كتاب (نظرية عدالة الصحابة) وكتاب (الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية) .

٦- الكاتب الصحفي السيد إدريس الحسيني من المغرب العربي له كتاب (لقد شيعني الحسين) و (الخلافة المغتصبة) و (هكذا عرفت الشيعة) مخطوط .

٧- صائب عبد الحميد ، له كتاب (منهج في الانتماء المذهبي) .

٨- سعيد أيوب ، له كتاب (عقيدة المسيح الدجال) يقول في بداية كتابه : (لقد وجدتني داخل البحث أحاول إزالة الركام عن الحقائق حتى تكون الحقيقة واضحة أمام العيون والعقول ، ذلك الركام الذي وضعه أساتذة التعتيم على امتداد التاريخ البشري ! وعندما أمسكت بالمعول الذي أزيل به شباك الالتواء كانت عندي الأسباب الكافية لانجاز هذا العمل)[1] . وله كتاب (معالم الفتن) يتكون من جزئين.

٩- الكاتب المصري ، محمد عبد الحفيظ ، له كتاب (لماذا أنا جعفري) .

١٠- الكاتب السوداني ، الأستاذ السيد عبد المنعم محمد الحسن ، وله كتاب (بنور فاطمة اهتديت) .

١١- الشيخ عبد الله ناصر من كينيا ، تشيع بعد أن كان من كبار مشايخ الوهابية وله كتب عديدة في هذا المجال منها : (الشيعة والقرآن) و (الشيعة والحديث) و (الشيعة والصحابة) و (الشيعة والتقية) و (الشيعة والإمامة) .

١٢- سماحة العالم والخطيب والمناظر السيد علي البدري ، له خدمة واسعة في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام بعد أن تشيع ، فطاف العالم وهو يعقد المناظرات المتعددة وقد ضمنها كتاب ضخم في طريقه إلى المطبعة تحت عنوان (أحسن المواهب في حقائق المذاهب) .

١٣- الكاتب السوري السيد ياسين المعيوف البدراني ، له كتاب تحت عنوان (ياليت قومي يعلمون) .

---

(١) عقيدة المسيح الدجال ص٩.

١٤- الدكتور التيجاني السماوي ، وهو تونسي متشيع وله مجموعة من الكتب منها : (ثم اهتديت) و (لأكون مع الصادقين) و (فاسألوا أهل الذكر) و (الشيعة هم أهل السنة) و (كل الحلول عند آل الرسول) .

يقول الدكتور التيجاني في كتابه (ثم اهتديت) ما يلي :

(... وتواصل البحث – بكل دقة – ثلاث سنوات ... قرأت كتاب المراجعات للإمام شرف الدين .. وقد فتح أمامي آفاقا سببت هدايتي وشرحت صدري لحب أهل البيت ومودتهم .

... وقرأت كتاب (الغدير) للشيخ الاميني واعدته ثلاث مرات لما فيه حقائق دامغة واضحة جلية ، وقرأت كتاب (فدك في التاريخ) للسيد محمد باقر الصدر ، وكتاب السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر وفهمت منهما أسرارا غامضة اتضحت ، كما قرأت كتاب (النص والاجتهاد) فازددت يقينا ثم قرأت كتاب أبي هريرة لشرف الدين وشيخ المضيرة للشيخ محمود أبو ريه المصري وعرفت بان الصحابة الذين غيروا بعد رسول الله سبحانه ، قسم غير الأحكام بما له من السلطة والقوة الحاكمة ، وقسم غير الأحكام بوضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ .

ثم قرأت كتاب (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) لأسد حيدر وعرفت الفرق بين العلم الموهوب والعلم المكسوب ، عرفت الفرق بين حكمة الله التي يؤتيها من يشاء وبين التطفل على العلم والاجتهاد بالرأي الذي ابعد الأمة عن روح الإسلام .

وقرأت كتبا أخرى عديدة للسيد جعفر مرتضى العاملي والسيد مرتضى العسكري والسيد الخوئي والسيد الطباطبائي والشيخ محمد أمين زين الدين وللفيروز آبادي ولابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة والفتنة الكبرى لطه حسين ، ومن كتب التاريخ قرأت : تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وتاريخ المسعودي وتاريخ اليعقوبي وقرأت الكثير حتى اقتنعت بان الشيعة الإمامية على حق فتشيعت وركبت على بركة الله سفينة أهل البيت وتمسكت بحبل ولائهم لأني

وجدت بحمد الله البديل عن بعض الصحابة الذين ثبت عندي أنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري ولم ينج منهم إلا القليل وابدلتهم بأئمة أهل البيت النبوي الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وافترض مودتهم على الناس أجمعين.

فالشيعة ليس كما يدعي بعض علمائنا ، بأنهم الفرس والمجوس الذين حطم عمر كبرياءهم ومجدهم وعظمتهم في حرب القادسية ولذلك يبغضونه ويكرهونه ! وأجبت هؤلاء الجاهلين بان التشيع لأهل البيت النبوي لا يختص بالفرس بل الشيعة في العراق وفي الحجاز وفي سوريا ولبنان وكل هؤلاء عرب كما يوجد الشيعة في الباكستان والهند وفي أفريقيا وأمريكا وكل هؤلاء ليسوا من العرب ولا من الفرس .

والحق إن الشيعة سواء كانوا من الفرس أم من العرب أم من غير هؤلاء قد خضع للنصوص القرآنية والنصوص النبوية واتبعوا إمام الهدى ومصابيح الدجى ولم يرضوا بغيرهم رغم سياسة الترغيب والترهيب التي قادها الأمويون ومن بعدهم العباسيون طيلة سبعة قرون تتبعوا خلالها الشيعة تحت كل حجر وقتلوهم وشردوهم وأثاروا حولهم الإشاعات .

ولكن الشيعة ثبتوا وصمدوا وصبروا وتمسكوا بالحق لا تأخذهم في الله لومة لائم وهم يدفعون حتى اليوم ثمن هذا الصمود ...

نعم وجدت هذا البديل ، والحمد لله الذي هداني ، والشكر له على أن دلني على الفرقة الناجية التي كنت ابحث عنها بلهف ... وأبدلت الإمام مالك بأستاذ الأئمة ومعلم الأمة الإمام جعفر الصادق . وصرت اقتدي بعد رسول الله بأمير المؤمنين وسيد الوصيين وتمسكت بسيدي شباب أهل الجنة وريحانتي النبي من هذه الأمة أبي محمد الحسن الزكي وأبي عبد الله الحسين وببضعة المصطفى سلالة النبوة وأم الأئمة معدن الرسالة ومن يغضب لغضبها رب العزة والجلالة سيدة النساء فاطمة الزهراء .

وتمسكت بالأئمة التسعة المعصومين من ذرية الحسن أئمة المسلمين وأولياء الله الصالحين .

وأبدلت الصحابة المنقلبين على أعقابهم أمثال معاوية وعمر بن العاص والمغيرة وأبي هريرة وعكرمة وكعب الأحبار وغيرهم بالصحابة الشاكرين الذين لم ينقضوا عهد النبي أمثال عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وخزيمة بن ثابت ذي الشاهدتين وأبي ابن كعب وغيرهم والحمد لله على هذا الاستبصار .

وأبدلت علماء قومي الذين جمدوا عقولنا واتبع كثير منهم السلاطين والحكام في كل زمان ، بعلماء الشيعة الأبرار الذين ما أغلقوا يوما باب الاجتهاد ولا وهنوا ولا استكانوا للأمراء والسلاطين الظالمين.

نعم أبدلت أفكارا متحجرة متعصبة تؤمن بالتناقضات بأفكار نيرة متحررة ومتفتحة تؤمن بالدليل والحجة والبرهان .

وكما يقال في عصرنا الحاضر (غسلت دماغي من أوساخ رانت عليها – طوال ثلاثين عاما – أضاليل بني أمية وطهرته بعقيدة المعصومين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، لما تبقى من حياتي[1] .

اجل هذا هو نور الحق وصوت الحقيقة الدامغة يهبها الله جلت قدرته لمن ينشد الحق ويطلب الحقيقة من اجل أن يعمل بها ، ويطلق كل شيء يتعارض معهما أو يقف حائلا دونهما .

ولا تأخذه في ذلك لومة لائم لان الحق أحق أن يتبع .

١٥ - الكاتب المصري صالح الورداني ، له كتاب (الخدعة . رحلتي من السنة إلى الشيعة وحركة أهل البيت عليهم السلام والشيعة في مصر وعقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد) .

---

(١) انظر ثم اهتديت ص١٣٠ – ١٣٤ . بتصرف.

وله كتاب : (أهل السنة شعب الله المختار) وقد جاء فيه ص١٦: اما الكتاب والسنة فهو ملك الجميع ، فالشيعة تلتزم بالكتاب والسنة . ولقد جاء في التقديم ص٧ : (قلمه سيال ولا يعرف المحال ، يخط ما يجول في أفكاره الدافقة دون مواربة أو منافقة ، يضع النقاط فوق الحروف في جميع الأحوال والظروف ، يدافع مستميتا عن الحق وبكل أمانة وصدق ... لا تأخذه في ذلك لومة لائم ... يسعى لتبيان حقيقة العقيدة وصقلها من غبار عبث العابثين بأصول العقيدة والدين ، جاهدا في التحليل والتوضيح يفرز الخطأ عن الصحيح من اجل جمع كلمة المسلمين الذين فرقتهم فلسفات فقهاء منحرفين جندوا أنفسهم لخدمة الحكام والسلاطين ، فصاروا ومن تبعهم غرباء عن حقيقة العقيدة والدين) .

وكما هو معلوم إن الأستاذ الورداني قد رحل من المذهب السني إلى المذهب الشيعي الإمامي الذي يقول بأحقية خط أهل البيت عليهم السلام وكما هو مؤكد في كتابه (رحلتي من السنة إلى الشيعة) .

ولقد جاء في مقدمة كتابه (أهل السنة) ص١١ مايلي :

(وان المواجهة بيننا وبين عقيدة أهل السنة إنما هي مواجهة مع الخط الحنبلي خط ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب – مؤسس الوهابية – على وجه الخصوص ذلك الخط الذي تلحق بالسلفِ وتستر به وما نتج عن هذا الخط من نتائج سيئة ومؤلمة لا تزال تكتوي الأمة بنارها حتى اليوم .

واخطر نتائج هذا الخط هو ظهور تلك التيارات والجماعات المعوجة التي تسود الواقع الإسلامي اليوم وترفع راية الصِدام والتكفير والاستحلال..)[1].

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن أهل العلم والمعرفة ورواد الحق والحقيقة والذين توفقوا بسلوك طريق الحق والصراط المستقيم صراط أهل البيت عليهم السلام أئمة الحق والهدى عترة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أهل السنة شهب الله المختار / ص١١.

وان من الحقيقة بمكان يجب أن نكون جميعا على مستوى رفيع من الانفتاح على الحق والعمل به ، وقبول الحقيقة والالتزام بها – إن كنا حريصين فعلا على العقيدة الحقة والدين الصحيح الواقعي – ويجب أن نكون كما يقول الشيخ الجليل سليم البشري شيخ الأزهر : (وإنما إنا نشاد ضالة ، وبحاث عن حقيقة ، فان تبين الحق فان الحق أحق أن يتبع) وإلا فانا كما قال القائل :

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ دك راض والرأي مختلف

وعليه فان من ينشد ضالة أو يبحث عن حقيقة أو يرغب في الحق وينضوي تحت لوائه بنية خالصة لله سبحانه لابد وان يوفق لذلك ويهتدي ويتبصر كما تبصر أولئك العلماء الباحثون الأفاضل ، الذين ظفروا بالحق ومعرفة الحقيقة فنهجوا نهج أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين الأحد عشر سلام الله وتحياته عليهم أجمعين ، بعد أن رانت على قلوبهم دعايات المجحفين والمرجفين والمشككين والحاقدين والظالمين وأضاليل بني أمية كما يقول البشري والتيجاني وغيرهما كثير كثير ، ردحا من الزمن وبحمد الله نالوا بغيتهم وظفروا بضالتهم وتمسكوا بعقيدة المعصومين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . يقول الشيخ التيجاني في كتابه ثم اهتديت ص١٣٤ :

(وكما يقال في عصرنا الحاضر غسلت دماغي من أوساخ رانت عليها طوال – ثلاثين عاما – أضاليل بني أمية وطهرته بعقيدة المعصومين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا لما تبقى من حياتي .

اللهم أحيينا على ملتهم وامتنا على سنتهم واحشرنا معهم فقد قال نبيك ﷺ :(يحشر المرء مع من أحب) .

نتيجة البحث في النصيحة والتبصر والوحدة

والذي يهمنا من هذا البحث في : النصيحة والتبصر والوحدة بشقيها الديني والوطني ، هو الاهتداء إلى الحق والوقوف على الحقيقة . لكي نتعامل على ضوء هذا الواقع الجديد المبني على الحق والمعرفة اليقينية ، التي تتكسر على صخرتها كل الادعاءات الباطلة ، والتشويهات وعمليات التحريف وتزوير الحقائق ، والمكر ، وطمس الحق ، والتصيد في الماء العكر ولتقبر وإلى الأبد كل المخططات الخبيثة التي حاكها ويحيكها أعداء الأمة الإسلامية ، والحاقدون على الإسلام الأصيل الطاهر النقي ، والمبغضون لخط الرسالة خط العترة الطاهرة الحاكية لوجه وقلب الإسلام الناصع الواقعي البعيد عن التطرف والتكفير ، والقتل والإرهاب .

ولكي تحقق الأخوة الإسلامية الحقيقية الصادقة والأخوة الإنسانية الحقة الفاعلة البناءة بين كل الناس وبمختلف مذاهبهم وقومياتهم وألوانهم وجنسياتهم تحت شعار :

(إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) .

وبهذا التوجه الجديد ، والرؤية الإسلامية الشفافة والنظرة الإنسانية يتحقق الخير وتنزل البركات ، وتنعدم الفوارق ، وتزول الخلافات ، ويعم الأرض السلام ، ويحصل التعاون المثمر البناء الذي يؤدي إلى التقدم والتطور ، والارتقاء والازدهار .

هذا في الدنيا وأما في الآخرة ، الفوز والنجاة والنعيم الدائم لان معرفة الحق والاهتداء بنوره ، المتمثل بالإقرار (بولاية الأئمة المعصومين الاثنى عشر من آل الرسول ﷺ والسير على نهجهم عليهم السلام) فيه النجاة . لأنهم هم الفرقة الناجية ، (والشك في ذلك خبال والتشكيك تضليل) كما قال شيخ الأزهر سليم البشري (رحمه الله) .

الفصل الرابع

وكما مر علينا في حديث الأشباح الذي يرويه الشيخ الإسلام الحموينى الشافعي في (فرائد السمطين) والشيخ عبد الله الحنفي في كتابه (أرجح المطالب) :

(... آليت بعزتي أن لا يأتي احد بمثقال ذرة من خردل من بغض احدهم إلا أدخلته ناري ولا أبالي ، يا ادم هؤلاء صفوتي ، بهم انجي وبهم أهلك ...) .

وقال الرسول الأكرم ﷺ : (نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن حاد عنها هلك فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت)[1].

اجل ، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت . وما أكثر حوائجنا إلى الله ، فهو الغني ونحن الفقراء فهم عليهم السلام الوسيلة إليه ، وهم الشفعاء . قال تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة»[2] . وفي آية أخرى قال : «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة»[3] .

الإمامة والبشارة

من الثابت والمتيقن عند الشيعة الإمامية ، إن الإمامة سلطة إلهية ، ومسؤولية ربانية لا تتحقق في الأرض إلا (بالنص) إذا كان المعصوم موجودا ، لأنه الأولى والأفضل من غيره ، وهذا أمر الله جل وعلا وليس للبشر الخيرة في ذلك .

ومن الثابت أيضا إن الإمامة هي الزعامة ببعديها : التشريعي والسياسي ، وليس السياسي فقط ، لذلك اشترط فيها العصمة والنص عليه حال وجوده عليه السلام ، وان كان هذا الأمر سابقا في علم الله تعالى، وقد اخبر النبي ﷺ وكذلك الأنبياء بذلك .

---

(١) فرائد السمطين ج١ ص٢٥ . وارجح المطالب ص٤٦١.
(٢) المائدة / ٣٥.
(٣) الاسراء / ٥٧.

وقد روى عن عثمان بن احمد السماك في كتاب الفضائل ان اسم علي عليه السلام كان مكتوبا في اللوح المحفوظ تحت العرش ، وان النبي صلى الله عليه وآله قال : (في اللوح المحفوظ تحت العرش علي بن أبي طالب أمير المؤمنين) .

ولقد روى الحموينى الشافعي في فرائد السمطين ، ج١ ص٢٥ . والشيخ عبد الله الحنفي في كتابه أرجح المطالب ص٤٦١ بسنديهما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : (حديث الأشباح المروي في هذا الكتاب في موضوع : وقفة مع نص فتوى الأستاذ محمد شلتوت) فأقرأ الحديث .

فأهل البيت الذين ذكرهم الرسول الأكرم في أحاديثه المتكررة والخلفاء أو الأوصياء من بعده صلى الله عليه وآله هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام أئمة الحق والهدى ودعاة الخلق إلى الحق ، وعدلاء القرآن وقرناؤه الناطقون به والداعون إليه . وهم الذين بشر الله تبارك وتعالى أنبياءه بهم ، وهم بدورهم بشروا أممهم .

جاء عن أبي جعفر عليه السلام انه قال : (إن الله تبارك وتعالى اخذ ميثاق النبيين على ولاية علي ، واخذ عهد النبيين بولاية علي)[1] .

وعن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (يا علي ما بعث الله نبيا إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعا أو كارها)[2] .

وقد بشر بالأئمة المعصومين الاثنى عشر عليهم السلام كل من إبراهيم الخليل عليه السلام وموسى الكليم عليه السلام وعيسى المسيح عليه السلام والحبيب محمد صلى الله عليه وآله ، وهناك روايات عديدة تؤكد إن جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام على علم بهم عليه السلام وبجليل قدرهم، وعظم مكانتهم ، وارتفاع شأنهم وقداستهم . وقد ذكرتهم جميع الكتب السماوية وبشرت بهم ، إلا أن يد التحريف والحقد ، والخبث والخيانة ، عبثت وعملت ما عملت من سوء ومكر فحذفت البشارة بمبعث الرسول صلى الله عليه وآله وخلافة أهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام .

---

(١) بصائر الدرجات / ص٢١ - ٢٢.

(٢) نفس المصدر .

ولكن شمس الحقيقة تبقى ساطعة ، ونور الحق يبقى مشرقا يمزق كل تعتيم ، ويبدد كل ظلام ، لان الحق يعلو ولا يعلى عليه ، فقد جاء في سفر التكوين ، الإصحاح السابع عشر . العدد ٢٠ و ٢١ :

(وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد ، واجعله امة كبيرة ولكن عهدي قيمة مع إسحاق الذي تلد لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية) .

وهذه هي بشارة الله سبحانه لنبيه إبراهيم عليه السلام وبدوره بشر أمته عليهم السلام ولهذه البشارة ولغيرها وجدها علماء أهل الكتاب فيما لديهم من الكتب السماوية الأثر الكبير في اعتناق كثير منهم الديانة الإسلامية ، وإتباع مذهب الحق ، مذهب أهل البيت الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام .

وقد اعترف بذلك عدد من علماء إخواننا أهل السنة . قال الحافظ بن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية) ج٦ مجلد ٣ ص٢٥٠ طبع مصر سنة ١٣٢١ : (وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه : ان الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل وانه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثنى عشر عظيما) .

وقد اخرج العلامة القندوزي الحنفي في كتابه (ينابيع المودة) أواخر الباب السادس والسبعين ص٤٤٢ ط اسلامبول ١٣٠١ عن وائلة بن الاصقع بن قرخاب عن جابر بن عبد الله الأنصاري انه قال : (دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسأله عن أشياء فأجابه النبي صلى الله عليه وآله ثم قال : اخبرني عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم ؟ قال : أوصيائي الاثنا عشر ؟ قال جندل : هكذا وجدناهم في التوراة ... إلى أخر الحديث وهو موجود في هذا الكتاب في موضوع التبصر والوحدة الدينية والوطنية) .

وهكذا يجيب النبي صلى الله عليه وآله ويعدد أوصياءه الاثنى عشر من بعده الواحد تلو الأخر بأسمائهم وألقابهم ابتداء من أمير المؤمنين علي عليه السلام انتهاء بالإمام الثاني

عشر الحجة القائم المهدي المنتظر ، الذي يغيب ثم يخرج . فإذا خرج يملأ الأرض قسطا وعدلا .

واخرج أيضا ما يضارعه عن الحمويني في فرائد السمطين عن ابن عباس فراجع .

واخرج احمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ في سنده ج١ ص٣٩٨ طباعة مصر سنة ١٣١٣ عن مسروق قال : (كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل : يا ابا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺكم تملك هذه الأمة من خليفة ؟ !

فقال عبد الله بن مسعود : ما سألني عنها احد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم لقد سألنا رسول الله ﷺ فقال : اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل .

واخرج أيضا في مسنده ج٥ ص١٠٦ عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة) .

ولو استرسلنا في هذا الموضوع ودونا الروايات الخاصة به لخرجنا عن الاختصار وقصد الدليل . فالمهم أن يكون هناك شاهد ودليل على ما تقول ، ومن أراد المزيد فليراجع .

الإمامة بين البيعة والانتخاب

وكما مر بنا سابقا ، إن الإمامة هي الامتداد الطبيعي للنبوة ، وان هناك تلازما بين النبوة والحكومة ، وبين القيادة والسياسة وطبيعي إن الحكومة والزعامة من شؤون النبوة ، ليتسنى للنبوة من خلالهما تحقيق المصالح الفردية والاجتماعية ، وإيجاد العدل الاجتماعي الذي يوصي به الله سبحانه وتعالى، ويأمر بتحقيقه على ارض الواقع .

ولا ريب إن العدل الاجتماعي لا يتحقق إلا بوجود الحكومة لأنها هي التي تقدم المصالح الاجتماعية على المصالح الفردية في حالة حصول التزاحم بينهما ،

سعيا منها لتطبيق حكم الله في الأرض ، وتحقيق مجتمع الحق والعدل ، مع مراعاة الحكمة والمصلحة العامة .

ومما لاشك في حقيقته إن الإمامة والحكومة شأنان من شؤون النبوة ، قال تعالى: « إني جاعلك للناس إماما»[1] . أي : (مقتدى يقتدي بك الناس ويتبعونك في أقوالك وأفعالك ، فالإمام هو الذي يقتدي ويأتم به الناس)[2].

فالإمامة هي القمة في هرم الدولة ، وعلى الناس الإتباع والاقتداء بالأقوال والأفعال والسلوك . فالإمامة هي الزعامة كما يقول عدد من المفسرين ، وعلى كل حال فان الإمامة ملازمة للنبوة ومن شؤونها وبجعل من الله تبارك وتعالى.

وبما أن الإمامة من شؤون النبوة وملازمة لها وامتداد طبيعي لرسالة السماء ، فهي لا تتوقف على البيعة والانتخاب ، مثلها مثل النبوة ، فكما يجب على الناس أن يسمعوا ويطيعوا للنبي امتثالا لأمر الله تعالى لقوله عز وجل : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» فكذلك الإمامة لا تحتاج إلى انتخاب الناس أو بيعتهم أو اختيارهم ، لأنها غير مرتبطة بالمحكوم وهي مجعولة من الله تعالى.

ومن المعلوم إن إقامة الحدود ليست من شؤون الناس وإنما من شؤون الدين والنبوة والإمامة ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى إن الموارد الطبيعية والأنهار والجبال والمعادن وغيرها مملوكة ملكا حقيقيا لله عز وجل ، وليست مملوكة للناس وغير داخلة في تصرفاتهم ، فهي تختلف عن الملكية الشخصية للكتاب مثلا الذي يملكه الشخص ، فانه يحق له ان يبيعه أو يوكل غيره للتصرف فيه أو في بيعه .

وعليه يحق للناس اختيار الحاكم ومبايعته إذا كانوا مالكين لموارد الطبيعة ، وأما إذا كانوا غير مالكين فلا يحق لهم الانتخاب والاختيار والمبايعة .

---

(١) البقرة / ١٢٤.

(٢) الميزان ج١ ص٢٧٠.

وعلى هذا الأساس إن الزعيم في النظرية الإسلامية ليس وكيلا على الناس وممثلا لهم ، وإنما هو ولي من قبل الله تعالى ويطبق شريعته ، وينفذ أحكامه على الناس سواء رضوا إن لم يرضوا ، كولاية الأب على ابنه ، فهي ولاية من قبل الله تعالى وليس للناس دخل فيها :

أما في النظم غير الإسلامية ، فان الزعيم أو الحاكم هو ممثل عن الناس ، انتخبوه لتحقيق رغباتهم وطموحاتهم فان اخل بذلك أو فشل فلهم الحق أن يعزلوه متى شاؤوا ، لأنه مسؤول أمامهم ولا يحق له التصرف خلاف ما عاهدهم عليه أو طلبوه منه أو شرطوه .

وأما الإمام فانه يتصرف حسب ما تمليه عليه أحكام الشريعة المقدسة وتنفيذ مناهجها في الحياة ، لتحقيق المصلحة والحكمة والعدل الاجتماعي . لذلك لو رجعنا إلى التوقيع الرفيع الصادر من الحجة المهدي المنتظر عليه السلام :(وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله)[1] .

لرأينا الإمام عليه السلام يأمر أمراً واجباً بالرجوع إلى العلماء رواة حديث أهل البيت عليهم السلام عندما تقع حوادث معينة لأنهم الحجة على الناس من قبل الإمام عليه السلام والإمام هو الحجة من قبل الله تعالى.

إذن فولاية الإمام المعصوم تكون بأمر من الله والأمر مولوي يجب على النبي صلى الله عليه وآله أن ينفذه ، وعلى الناس أن يطيعوا وليس لهم الخيرة في ذلك ، لقوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة)[2] .

كما رأينا في بيعة الغدير حينما أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وآله أن يبلغ الناس أمر الله تعالى بولاية أمير المؤمنين عليه السلام كما صرح القرآن الكريم « يا أيها الرسول بلغ ما

---

(١) وسائل الشيعة / كتاب القضاء / وجوب الرجوع في القضاء والفتوى إلى رواة الحديث .
(٢) الاحزاب / ٢٦.

انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...» [1].

فولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام من قبل الله تعالى وليست من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وهي تختلف عن ولاية معاذ بن جبل عندما ولاه الرسول الأكرم على اليمن فان طاعته واجبة لان الرسول صلى الله عليه وآله أوجب ذلك أي هي بأمر الرسول صلى الله عليه وآله.

وكما مر بنا إن أهداف الرسالة الإسلامية إقامة العدل الاجتماعي وتحقيق المساواة في المجتمع الإسلامي وهذا لا يتحقق إلا بوجود الحاكم الإسلامي القوي في ذات الله والعادل في حكمه كعلي بن أبي طالب والأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، والسائرين على نهجه .

فينبغي على الناس أن يعلموا ذلك ويعملوا ، لان مقتضى الحكمة الإلهية لا ليعلم الناس فقط وإنما الغرض النهائي ليعلموا ثم ليعملوا ، وكما هو معلوم تاريخيا (ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية كما سل على الولاية ، وما نودي على شيء كما نودي عليها) .

لأنها – ويالاسف الشديد – أصبحت نتيجة للجهل وعدم تمكن الإسلام والإيمان من نفوس الناس سببا في اختلافهم وتفرقهم وتحزبهم ، ففقدوا بذلك النعمة العظيمة التي منحها الله لهم والمترتبة على إتباعهم لأوامره ، ومن أهم أوامره وصميم طاعته التمسك بالولاية والعمل وفق مقتضياتها وتنفيذ أوامرها وإتباع مناهجها في الحياة ، حسبما قررته الوصية التي بلغها الرسول صلى الله عليه وآله لهم بأمر من الله تعالى والخاصة بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن بعده الأئمة الأطهار الأحد عشر سلام الله عليهم أجمعين .

ولو اتبع الناس ما بلغه الرسول صلى الله عليه وآله والتزموا بخلافة وولاية أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين من بعده لعاشوا في خير وبركة وامن وسعادة ، ولأغدقت

---

(٣) المائدة / ٦٧.

عليهم السماء ببركاتها والأرض بخيراتها . ولكنهم اخلدوا إلى ارض واتبعوا الهوى ، وعشقوا الدنيا والسلطنة والحطام الزائل ، فجر عليهم الأتعاب والأحقاد والتفرق والتحزب .

وهذا ما نراه طافحا على السطح وبارزا في الحياة الاجتماعية آنذاك ، لذلك حارب الإمام علي عليه السلام ثلاثة أحزاب سياسية تنكرت للحق ، وتجحفلت على الباطل وتمثلت بالمارقين ، والقاسطين ، والناكثين ، ولولا هؤلاء الذين استولى عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله العظيم ، وقد سولت لهم أنفسهم المريضة والأمارة بالسوء ، والمجافية للإسلام والمحاربة للحق ولأمير المؤمنين وإشغاله لتمكن عليه السلام من نشر الإسلام الواقعي النقي الأصيل ، في جميع أنحاء المعمورة ، وقضى على الكافرين فكريا وعمليا بعمق ثابت .

واليك ما قاله بعض قساوسة الكفار لبعض علماء المسلمين دليلا على ذلك ، ومضمونه :

(إن لمعاوية ابن أبي سفيان حقا كبيرا على الكفار في التاريخ لذا يجب عليهم أن ينصبوا له تمثالا من الذهب في ساحات البلاد الأوربية ، وذلك لأنه اشغل علي بن أبي طالب بالحروب الداخلية ولم يترك مجالا لعلي عليه السلام حتى يتفرغ لتعميم[1] الإسلام على العالم ، وإلا لما بقي اليوم كافر واحد على وجه الأرض .

وعوداً على بدء ، القول : إن من الأمور الهامة أن يطبّق الناس أحكام الله تعالى ، وليس العلم فقط ، إلا أن العلم هو مقدمة من مقدمات التطبيق والتنفيذ ، وعليه فان الحكومة هي شان من شؤون الدين .

ومن شؤون الدين أقامة الحكومة على البشر ، لذلك أخذت الحكومة دورها الفاعل في توجيه الناس ، وإرشادهم إلى ما فيه باسهم ومنفعتهم وخيرهم ، كاستغلال الحديد – ذلك العنصر المهم – لان فيه باسا وقوة للحكومة والمجتمع قال

(١) شيخ المغيرة ابو هريرة الدوسي / لمحمود ابو رية / نقلا عن كتاب الوحي المحمدي / ص٢٣٢ .

تعالى : « ... وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس ... »[1] وكذلك استغلال الموارد الطبيعية الأخرى التي تمد الأمة بأسباب العيش والرفاه والمنعة .

ولا غرو في ذلك ، إن الأئمة عليهم السلام هم الزعماء والقادة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ، والرسول الأكرم هو القدوة والأسوة وزعامته شان من شؤون النبوة . قال تعالى : (رسلاً مبشرين ومنذرين) ، فالنبوة فيها شؤون ولوازم إقامة الحكم والأسوة والقدوة ، قال تعالى : (ولكم في رسول الله أسوة حسنة) . ولقد أمر الله تعالى بإتباع ملة إبراهيم عليه السلام حيث انه أسوة وقدوة وكذلك بقية الأنبياء في كل زمان ومكان ، وهذا شان من شؤون النبوة العامة .

وكذلك فان شان القيادة والزعامة والسياسة شان للإمامة ، لأنه ملازم لها كما هو ملازم للنبوة . وان الدليل الذي دل على أن الحكومة شان من شؤون النبوة ، هو نفس الدليل الذي دل على أن الحكومة شان من شؤون الإمامة .

وعليه فان الحكومة والقيادة من لوازم الإمامة وشؤونها ، ومن هنا تفترق المدرسة السنية عن المدرسة الشيعية كما يقول بعض المفكرين والعلماء الإسلاميين.

وعندما نأتي إلى أدلة الإمامة من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام المهدي المنتظر – عجل الله فرجه الشريف – بالمعنى الخاص عندنا ، فإننا نرجع إلى الأدلة الموجودة في القرآن الكريم ، وإلى الروايات عن الرسول صلى الله عليه وآله وعند الملاحظة والاستقراء والاستنتاج من خلال الآيات والروايات فسوف يتوضح لنا أن بعض الأدلة تثبت الإمامة بمعنى المرجعية الدينية والبعض الأخر من تلك الأدلة ، تثبت الإمامة بالزعامة والقيادة للأمة ، كقوله تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» . وقوله تعالى : «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فليس المقصود هنا الحكم الشرعي وإنما الزعامة والقيادة ،

---

(١) الحديد /٢٥.

وكذلك الحال في حديث الغدير : (من كنت مولاه فعلي مولاه ....) المقصود به أيضا الزعامة والقيادة .

وأما حديث الثقلين : (إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ....) وهذا بمعنى المرجعية الدينية للكتاب الكريم وأهل البيت عليهم السلام.

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى لم يباشر البشرية بنفسه وإنما من خلال السفراء والأنبياء والمرسلين عليهم السلام الذين يحق لهم أن يقولوا للناس ، أن الله يريد كذا وهذا حلال فاعملوه وهذا حرام فاتركوه .....الخ .

والأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، هم الامتداد الطبيعي للنبوة ، فما ينطبق على النبي صلى الله عليه وآله ينطبق على الإمام عليه السلام إلا تلقي الوحي فانه خاص بالرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بدورهم يأخذون عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله واحدا عن واحد.

أي أن الرسول صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام ما يحتاج إليه كإمام أو قائد امة أو زعيم سياسي ، وهو بدوره عليه السلام علم السبطين الحسن والحسين عليهما السلام والحسين علم ابنه عليا زين العابدين عليه السلام وهكذا حتى الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف وسهل مخرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه .

وقد تظافرت الأدلة العقلية والنقلية على إثبات أن الإمامة هي قانون عام وسنة مطردة ، والسنن الإلهية لا تتخلف ولا تتعطل ، بل هي جارية أبداً ، والذي يتسنم منصب الإمامة لم يعبد صنماً قط في حياته ، ولم يكن ظالما في يوم من الأيام لنفسه أو لغيره في جميع عمره وادوار حياته .

وعليه لما كانت الإمامة سنة إلهية وقانونا عاما وابتلاء وصبرا على الابتلاء من اجل كشف الملكوت والوصول إلى درجة اليقين والعمل وفقا لذلك ، إضافة إلى أنها بجعل من الله تبارك وتعالى فهي – أي الإمامة – غير خاضعة للانتخاب أو الاختيار أو البيعة أو الشورى البتة .

وأما بشان اللوازم لموقع الإمامة أو المستلزمات لها فهي : (سبعة مسائل هي أمهات مسائل الإمامة) كما سماها السيد الطباطبائي في الميزان ج١ ص٢٧٥. وقد ذكرها السيد كمال الحيدري في بحثه حول الإمامة / حوار مع السيد كمال الحيدري ص ١٢٥ – ١٢٦ . وهي :

أمهات مسائل الإمامة

أولاً : إن الإمامة لابد أن تكون منصوصة من قبل الله سبحانه أما مباشرة أو بالواسطة .

ثانياً : لابد أن يكون الإمام معصوما بعصمة إلهية .

ثالثاً : حيث ترتبط هذه الهداية بالإنسان ، فما دام الإنسان موجودا على وجه الأرض ، فلا يمكن أن تخلوا عن إمام حق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

رابعاً : لابد أن يكون هذا الإمام لكي تحصل عنده هذه العصمة ويقوم بهذا الدور القيادي الكبير في إمامة البشرية إلى الله ، لابد وان يكون مؤيدا من عند الله مسددا بتسديد الهي .

خامساً : إن الإمام الذي يريد أن ينهض بهذه المهمة الأساسية لابد أن تكون أعمال العباد غير محجوبة عنه وإلا لو كانت محجوبة عن علمه لما أمكنه أن يهديها سواء السبيل والطريق القويم .

سادساً : يجب أن يكون عالما بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم لكي يتسق ذلك مع دوره الوجودي الشامل .

سابعاً : لابد أن يكون الإمام أفضل من على وجه الأرض في زمانه كي يتأتى له الاضطلاع بأداء مسؤوليته وانه يستحيل أن يوجد من يفوقه في هذه الفضائل وهذه مسائل أساسية وذات أهمية فائقة ينبغي توفرها في الإمام المعصوم الذي

يخلف النبي ﷺ في مسؤولية الولاية على الأمة للوصول إلى القرب من الله تعالى ، وتحقيق العدل الاجتماعي .

الحاكمية في زمن الغيبة

لقد تظافرت الأدلة العقلية والنقلية ، والواقعية والوجدانية، السيرة التاريخية ، على أن الإسلام هو الدين الأمثل لبني الإنسان ، لأنه دين الحياة والفطرة والخلق الرفيع ، دين الواقع والتطور ، والذي يتماشى مع السير التكاملي والتقدمي في الحياة الإنسانية ، ويواكب التطور الاجتماعي في جميع العصور ، لأنه الدين الوحيد الذي يجمع بين سلطتي التشريع والتنفيذ ، ولان لقوانينه وتشريعاته وأحكامه العامة من المرونة ما يجعلها متماسكة مع الحياة الفردية والاجتماعية في مسيرتها الحياتية نحو الأفضل والأكمل .

ولاغرو في ذلك ، لأنه دين صادر من الله الحكيم العليم ، العارف بما يلائم البشر ويحقق لهم الصلاح والإصلاح ، والسعادة في الدارين ، ويكفل الأمن والأمان والسلام ، ويضمن العدالة والمحبة والوئام .

فهو بحق دين الحياة والعدل الاجتماعي ، دين التطور والاستقامة والعفاف ، دين التوازن والتكامل والرفاه .

فالمشرع هو الله سبحانه وتعالى ، له وحده حق الوضع والتشريع ، وأما التنفيذ فهو مقصور على الرسول الأكرم ﷺ ثم على خلفائه المعصومين ، اثني عشر ﷺ من بعده ، فلهم وحدهم حق الإجراء والتنفيذ ، وليس لأحد سواهم مزاحمتهم في ذلك . ولا يجوز لأي إنسان ومهما كانت مكانته أو بلغت قيمته أن يضطلع بهذا الأمر دونهم كما قال أمير المؤمنين ﷺ: (بنا يستعطى الهدى ،

ويستجلي العمى ، إن الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم)[1] .

وعلى الرغم من تنكر معظم الأمة للحق ، نتيجة الإقبال على الدنيا وإتباع الهوى والابتعاد عن الإسلام ، إلا أن الأئمة الأطهار – ورغم المحاربة والتضييق- قاموا بواجبهم الشرعي ، وتنفيذ أحكام الله تعالى وتشريعاته ، كل حسب الظروف المحيطة ، والطريقة التي يراها مناسبة ونافعة ، ولم يألوا جهدا الواحد تلو الأخر ، إلى إن وصلت المرحلة إلى مولانا صاحب العصر والزمان الخليفة الثاني عشر المهدي المنتظر – عجل الله فرجه الشريف – الذي تنتهي إليه مهمة أمر تنفيذ الشريعة الإسلامية في هذا الزمان ، وتقتصر عليه ، وهو الذي يجب عليه القيام بهذا العبء الثقيل . ولكن ، ولمقتضيات الحكمة ، والأسباب الموجبة الأخرى حصلت الغيبة والاستتار عن الناس ، إلى أن يأمر الله تعالى بظهوره ﷺليملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا . (وقد جاء في الحديث عن عبد الله بن الفضل الهاشمي انه قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد ﷺيقول : إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل ، فقلت : ولم ؟ جعلت فداك . قال : لأمر لم يأذن لنا في كشفه لكم.

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟ فقال : وجه الحكمة في غيبته ، وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره ، أن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره ، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر ﷺمن خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار لموسى ﷺإلا وقت افتراقهما ، يا ابن الفضل ، أن هذا الأمر من أمر الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا انه عزل وجل حكيم ، صدقنا بان أفعاله كلها حكمة ، وان وجهها غير منكشف لنا)[2].

---

(١) نهج البلاغة ج٢ ص٣٦ – ٣٧ من الكلام ١٤٠.

(٢) علل الشرائع للصدوق / باب علة الغيبة / ص٢٤٣.

ولما كان أمر الغيبة والاستتار أمراً من أمر الله ، وسرا من سر الله ، غيبا من غيب الله ، وحكمة بالغة حالت دون مباشرة حجة الله المهدي المنتظر ﷺبنفسه النقية ، وذاته المقدسة ، لتنفيذ حكم الله تبارك وتعالى في الأرض ، وتحقيق أهداف الإسلام الكبرى ، في اجتثاث الظلم والفساد من الأرض ، وإقامة مجتمع العدل والحق والسلام والازدهار على الواقع ، وجب أن يكون هناك من يقوم مقامة ، وينوب عنه في أداء هذا الأمر الجلل ، الذي يؤدي تركه أو الإخلال به إلى ظهور الفساد في البر والبحر ، واستشراء الرذيلة بين الأمة ، وقتل الفضيلة ، وبالتالي هلالك العباد وخراب البلاد .

لأنه سلام الله عليه وعجل فرجه الشريف ليس من خلقه العظيم – وهو الأسوة والقدوة – أن يترك امة جده ﷺحيارى ضالين بلا راع ووسيط بينه وبينهم.

وهل من المعقول أن صاحب القلب الكبير ،حفيد الرسولﷺ المبعوث رحمة للعالمين ، وهو الأصل من تلك الشجرة المباركة الطيبة ، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها بإذن ربها ، أن يترك شيعته المخلصين وسائر أفراد الأمة من غير مرجع يرجعون إليه في أمور الحياة المتشعبة ، أو من دون سند يستندون عليه عند الشدائد أو ملجأ يلجأون إليه في الملمات ، وهو إمامهم الوحيد ، ومرشدهم المعصوم لأبواب الخير ومفاتيح الرحمة ؟؟ كلا ثم كلا .

وعليه فان الإمام المهدي المنتظر أرواحنا له الفداء لم يدع امة جده ﷺوخاصة المؤمنين المخلصين منهم هملا وحيارى بلا مسؤول ومرجع في مدة غيبته عن الأنظار ، بل نصب لهم أعلاماً يستدلون بهم ، ونوابا أربعة يرجعون إليهم في معرفة أحكام الإسلام في جميع مجالات الحياة ، والموقف الحق الذي يجب أن يتخذ إزاء كل واقعة تقع ، وإشكال يشكل ، وشبه تظهر ، وبدعة تستحدث . وقد سجلت سيرة حياة إمامنا المهدي المنتظر ﷺغيبتين صغرى وكبرى ، وقد بدأت الغيبة الصغرى منذ قيامه ﷺبأعباء الخلافة سنة (٢٦١) للهجرة ، وكان يظهر فيها للسفراء ، وتخرج في خلالها التواقيع الشريفة إليهم ، وهم نواب مخلصون ،

وأبواب مرضيون ، وسفراء ممدحون ، ومؤمنون متقون ، قاموا بمسؤولية النيابة عنه ﷺ أحسن قيام ، فاهتموا بأمور الشيعة والشريعة والأمة ، وأرشدوهم إلى حقائق الإسلام ، وحل المعضلات رضوان الله عليهم أجمعين ، وهم كما يلي :

١- عثمان بن سعيد العمري (رض) – أبو عمرو - .
٢- محمد بن عثمان بن سعيد ، توفي في أخر جمادي الأولى سنة (٣٠٥ هـ) وكان يتولى الأمر بعد أبيه نحوا من خمسين سنة ، ويلقب (أبو جعفر)[١].
٣- الحسين بن روح النوبختي (أبو القاسم) توفي في شعبان سنة (٣٢٦ هـ)[٢].
٤- علي بن محمد السمري (ابو الحسن) توفي في النصف من شعبان سنة (٣٢٩ هـ)[٣].

وكان كل واحد من هؤلاء السفراء الأربعة ، لا يقوم بهذا الواجب الشرعي الذي أوكل إليه ، إلا بنص من الإمام موقع بتوقيعه الشريف ، بصورة جلية ، مباشرة أو غير مباشرة أي بواسطة الإمام ﷺأو بواسطة السفير الذي سبقه بأمر من صاحب الأمر – عجل الله فرجه الشريف - .

وكانت الشيعة لا تصدق أقوالهم ، ولم تقبل دعواهم إلا بعد ظهور الآيات البينات ، والدلائل المعجزات ، التي تجري على أيديهم من قبل الإمام ﷺوتدل بوضوح على صدق مقالتهم ، وتشهد على صحة نيابتهم عن الإمام ﷺ.

ولما اقتربت السافرة من نهايتها ، وحان الرحيل لأخر سفير ، وهو الرابع ، وأوشك على الموت قال له أصحابه : إلى من توصي ؟ فاخرج إليهم توقيعا عن الإمام المهدي المنتظر ﷺ، هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، يا علي بن محمد السمري أعظم الله اجر إخوانك فيك فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توصي إلى احد فيقوم

---

(١) غيبة للطوسي .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأبد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جورا .....[1].

وبذلك انتهت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى بعد وفاة السمري (رحمه الله ورضى عنه) في النصف من شعبان سنة (٣٢٩ هـ) وتمتد حتى ظهوره - عجل الله فرجه الشريف - .

يقول آية الله السيد أمير محمد الكاظمي القزويني :

(وان الغيبة الكبرى فكانت عام ٣٢٩ هـ وفيها انقطعت السفارة وخروج التواقيع وأعلن عليه السلام فيها بالرجوع بعد هذه الغيبة إلى القرآن الكريم وإلى ما يرويه الثقات العدول الأمناء من أحاديثهم ، وينتفع الناس بوجوده الشريف في غيبته كما تنتفع الأرض وأهلها بالشمس إذا حجبها الغمام ، وكيف لا ينتفعون بوجوده وقد قال رسول الله ﷺ فيما تقدم من حديثه : (وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض) فوجوده روحي فداه أمان لأهلها ورافع لعذابها ومانع من ذهابها)[2].

والشيعة تعتقد اعتقادا جازما لا لبس فيه إن وكلاء الإمام الحجة المنتظر عليه السلام ونوابه في هذه الغيبة الكبرى هم العلماء الأعلام الثقات الرواة لأحاديث النبي الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام ، الفقهاء الحائزون على درجة استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها ، المجتهدون الجامعون للشرائط ، المتصفون بالورع والتقوى والفضيلة وحسن الخلق . وقد اثر عن النبي ﷺ : (العلماء ورثة الأنبياء) .لذا يجب على المقلدين العمل بفتوى العلماء المجتهدين المذكورين ، لأنه حكم الله في حقهم وحق مقلديهم بعد أن كان من المتعذر عليهم أن يخاطبوا الإمام المعصوم عليه السلام ويصلوا إليه ، ويتلقوا الأحكام منه بالمشافهة في عصر غيبته عليه السلام لذا كان

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الشيعة في عقائدهم واحكامهم / ص ٦٤.

للمصيب منهم أجران وللمخطئ اجر واحد كما جاء التنصيص عليه في الحديث الشريف[1].وعلى هذا الأساس أمر الإمام المنتظر ﷺ شيعته بالرجوع إلى المجتهدين العدول بقوله الشريف : (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله) انظر كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ٤/٤٨٣ وكتاب الغيبة لأبي جعفر الطوسي ٢٩٠ / ٢٤٧ وكتاب الاحتجاج للطبرسي ٢ : ٥٤٢ / ٣٤٤ .

وقوله ﷺ : (وأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه ، حافظا لدينه ، مخالفا لهواه ، مطيعا لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه)[2] . وليس أمرهم هذا لشيعتهم في عصر غيبته ﷺ كان من عند أنفسهم كما ربما يتوهمه بعض الجاهلين بهذا الموضوع ، وإنما كان أمر رسول الله ﷺلهم بذلك ، لذا ترى وتسمع شاعرهم يقول :

فشايع أناسا قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرائيل عن الباري

(انظر الشيعة في عقائدهم وأحكامهم / ص٦ / للقزويني) .

وما أخرجه أيضاً عن عمر بن حنظلة قال : سالت أبا عبد الله يعني (الصادق ﷺ) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة ..... إلى أن قال : فقال ﷺ: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا ، فليرضوا به حكما فإني قد جعلته حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه ، فإنما استخف بحكم الله وعلينا رده والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله) . (الوسائل كتاب القضاء) .

وكان للحجة ﷺفي هاتين الغيبتين كرامات ومعجزات حفظ بها شيعته من الملاحم والفتن ، والمهالك والبدع ، وأنجاهم من المشاكل والمأزق ، لأنه النور الذي يستضيئون به ، والدليل الذي يهتدون بولايته الساطعة في خضم الأحداث وحالك الأمور . يظهر لنا مما تقدم ، إن الحاكم في الدولة الإسلامية هو النبي الأكرم ﷺمن

---

(١) الاحتجاج،ج٢ :٣٣٧/٥١١، احتاج ابي محمد العسكري(ع) في انواع شتى من علوم الدين / وتفسير الإمام العسكري : ٣٠٠/ وتفسير الصافي ج١/١٣١.

(٢) الشعراء / ٢١٤.

تاريخ بعثته الشريفة وحتى وفاته ، ويأتي بعده أمير المؤمنين عليه السلام بأمر من الله تعالى ، وقد بلغ ﷺ هذا الأمر الهام إلى الأمة الإسلامية منذ الأيام الأولى للدعوة المباركة تحديدا بعد نزول الآية الشريفة : «وانذر عشيرتك الأقربين» .

حيث جمع النبي أهل بيته وعشيرته من بني عبد المطلب ثم ابلغهم بحديث الإنذار ، وبعد ذلك اخذ برقبة علي عليه السلام وقال : (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا)[1] ، (حديث صحيح متواتر) . أخرجه ابن الأثير في الكامل ج٢ ص٢٤ و ٤١ وأبو الفداء الدمشقي في تاريخه ج١ ص ١١٦ و ١٢٩.

ومرورا بحديث الغدير والمنزلة والسفينة ، والأحاديث الكثيرة والوصايا العديدة في مناسبات شتى المؤكدة على ولايته عليه السلام وولاية أبنائه المعصومين عليهم السلام من بعده ، في حال وجودهم عليهم السلام.

وأما في زمن الغيبة الصغرى فالمسؤلون المباشرون هم السفراء الأربعة نيابة عن الإمام عليه السلام، وأما في الغيبة الكبرى فالحاكم للأمة هم العلماء الأعلام المجتهدون المتقون الجامعون للشرائط ، القادرون على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها .

وعليه فلا مجال إذن للبيعة والاختيار والانتخاب والوراثة – البدعة الأموية- وهذا ما دلت عليه النصوص القرآنية الكريمة وروايات السنة الشريفة ، وأكدته الأدلة العقلية والوجدانية والسيرة التاريخية وسيرة المتشرعة

---

(١) تفسير الطبري ج١٩ ص٧٤ ، ابن ابي الحديد ج٣ ص٢٦٣.

بناءاً على ما تظافرت عليه الآيات والروايات وأكدته تأكيدا قاطعا، هو وجود مستويين من الولاية ، هما :

المستوى الأول : ويتمثل بالولاية الكبرى ، والتي تعني الإشراف المطلق من قبل الله تعالى على البشرية من خلال إنسان معين ، ويتمثل هذا اللون من الولاية في ولاية الأنبياء والأوصياء المعصومين ، ولهذه الولاية خصائص معينة ، حيث إنها ولاية مطلقة ، ونيابة ، وخلافة خاصة مباشرة من قبل الله تبارك وتعالى على البشر ، وان الولي يكون معصوما لأنه الحجة من قبل الله سبحانه في كل شيء ، في العقيدة والتشريع والتنفيذ ، ومن هنا جاءت فكرة العصمة وعقيدة عصمة الأنبياء والأولياء في الفكر الشيعي الإمامي .

يقول السيد الفقيه محمد الهاشمي في كتاب الاجتهاد والحياة ص١٧٣ : (إن الولي بهذا المعنى الخاص يتحمل مسؤولية ضخمة في تاريخ الإنسان ، مسؤولية صنع الإنسان ، لا الإنسان الفرد الذي يعيش في زمان هذا الولي ، بل صنع الإنسان في التاريخ أيضا ، وربطه بالعالم الغيب من الناحية الفكرية والروحية والاجتماعية ، والواقعية) .

- (إن الولي بهذا المعنى ربما يبقى وليا حتى بعد وفاته ، لان ولايته تمتد إلى الأجيال من بعده – كما في ولاية النبيﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام فولايتهم ولاية ممتدة مع عمر البشرية .... لان الله سبحانه وتعالى عندما خلق الخلق لم يتركهم سدى ..... ولولا الحجة لساخت الأرض بأهلها .....)[1].

المستوى الثاني : وهو الذي يقول به الفكر الشيعي الإمامي ، المتمثل بولاية الفقيه الجامع لشروط الولاية في عصر الغيبة الكبرى ، وهو عبارة عن القيادة الاجتماعية لحياة المسلمين ، وإدارتها اجتماعيا وسياسيا مع إقامة الشريعة والعدل والقسط .

---

(١) الاجتهاد والحياة / ص١٧٣.

وتعتبر هذه الولاية جزءا وجانبا من ولاية المعصوم في كل زمان ، وإنها نيابة عامة لا نيابة خاصة ضمن شروط ومواصفات ، وعلى رأس هذه الشروط الفقاهة واستيعاب الإسلام ، والتقوى ، والكفاءة ، لان المعصوم لم يعين وليا في الغيبة الكبرى وكيلا عنه ، لذا أصبح هذا الولي غير مشرع وإنما هو منفذ لشريعة السماء ومجسد لقيمها وأهدافها في الحياة الاجتماعية والإنسانية على كل الأصعدة والمستويات .

كما إن الحاكم الإسلامي لابد وان يكون من أفضل الناس وأكثرهم تجسيدا للإسلام ، وقيمة الرسالية الأصلية ، وتمثيلا لخلافة الله في الأرض ، وشاهدا على سيرة الاستخلاف ، ولابد أن يكون عمله وممارسته القيادية في المجتمع الإسلامي وفي الأمة الصالحة قيادة يشارك فيها الأمة الصالحة من خلال المشورة والاستشارة المتواصلة ، لان القيادة هنا هي قيادة خدمة المؤمنين ، وخدمة العقيدة ، وإقامة العدل والقسط في حياة الناس لا الإمرة والتأمر .

لذا ينبغي على الحاكم الإسلامي أن يوفر القناعة التفصيلية للنخبة الصالحة من أبناء الأمة بممارسته القيادية والاجتماعية ، لكي يكون التحرك القيادي وتحرك الحكومة الإسلامية من خلال حركة الأمة الصالحة .

وعلى الأمة الصالحة دور الرقابة والإشراف على الحكومة وتقديم النصح والمشورة للحاكم وعليه أن يلتزم إن كان هناك خطأ في مقام التطبيق ، ويستفيد من مشورة الأمة الصالحة ، والقرآن الكريم صريح في هذا الأمر حيث نراه يؤكد على مبدأ الشورى والمشورة ،«وأمرهم شورى بينهم»[1]،«وشاورهم في الأمر»[2].

إذن فالحاكم الإسلامي لابد وان يكون مرتبطا بالمعصوم ، إما ارتباطا خاصا من خلال النصب والتعيين كما كان في وكلاء الحجة المهدي المنتظر في عصر الغيبة الصغرى ، وإما من خلال النصب العام ومن خلال التعيين كما كان

---

(١) الشورى / ٣٨.
(٢) آل عمران / ١٥٩.

في عصر الغيبة الكبرى ، أي التعيين من قبل الأمة بعد التشخيص والتمييز الكاشف للولي لا المعين .

لان رأي الأمة أو الأغلبية في هذه النظرية يكون كاشفا عن الحاكم ولا يكون معينا ولا يكون الحاكم مفوضا من قبلهم في حكومتهم بل هو مسؤول ومكلف من الله بذلك .

وهذا هو معنى ما اشترطه الفقه الإمامي من لزوم النص في الحاكمية والولاية ، وأدلة هذا النصيب في عصر الغيبة للفقيه الكفوء العادل – ولاية الفقيه- أدلة متنوعة تفصلها البحوث الفقيه .

يقول السيد محمد الهامشي في كتاب (الاجتهاد والحياة) : (إن القائد الإسلامي هي ذلك الشخص الذي ساهم فعلا في صنع الأمة الرسالية ، وكان جزءا من خط الأنبياء ووارثا لهم ، لا في العلم والفتوى والكفاءة فحسب بل وفي أداء دور الشهادة الحقيقية على الأمة ورسالتها من خلال تصديه الميداني لذلك).

ومن هنا يكون ولي الأمر في النظرية الإسلامية قائدا يعززه الواقع الميداني للأمة الرسالية لأنه صانع لتلك الأمة أو مساهم في صنعها ، وليست القيادة منحة تعطى لشخص هو أجنبي عن واقع الأمة أو رسالتها بمجرد التصويت أو الانتخاب

ومن هنا كانت النظرية الشيعية في الحكم تقف دوما بوجه كل أولئك الظالمين الذين كانوا يدعون لأنفسهم الخلافة على المسلمين تحكما وادعاءا وظلما وطغيانا وهم لم يكونوا يتمتعون بأدنى شرائطها .

وهذه النظرية المتميزة الفريدة في شكل الحكم السياسي اعني نظرية الولاية هي التي كلفت الشيعة ما كلفتهم عبر التاريخ الطويل ، من تحمل الظلم والاضطهاد والمحاربة والتصفية من قبل الظالمين .

اجل إن القائد الإسلامي (الحاكم) هو جزء من خط الأنبياء ووارث لهم ، ويتحرك في إدارته ضمن حدين : حد ثابت لا يمكن تجاوزه وهو المستخلص من

روح الإسلام وتعاليمه المنصوص عليها في كيفية إدارة الناس وأهدافها وقيمها وصيغتها الثابتة ، وحد متغير يستمد شكله من المصلحة الزمنية وما تقتضيه في كل مرحلة أو منطقة ، وتقتضيه أيضا الخبرة الميدانية والتجربة الإسلامية الصالحة .
مستعينا في ذلك بخبرة الفقهاء والعلماء الصالحين ومشيراً لأهل الحل والعقد من أبناء الأمة الرساليين ، وهذا ما أكده العلماء المخلصون وتحدثوا عنه من اجل تحقيق الأهداف الإسلامية والقيم الأصيلة.

تشخيص ولي الأمر

هناك عدة نظريات في كيفية تشخيص ولي الأمر ، وللأمة في كل هذه النظريات على اختلافها حق المشاركة الحقيقة ، إن لم يكن على المستوى الانتخاب والتعيين فعلى الأقل على مستوى التشخيص لهذا الولي ، وانه يتميز بكل تلك المواصفات التي لابد أن تكون في الولي العام في عصر الغيبة الكبرى .

والتشخيص يكون انطلاقا من التكليف الشرعي وطبقا للشروط والمواصفات الموضوعية المقررة في النظرية الإسلامية لان مسالة الحكومة والحاكم ليست متروكة إلى أهواء الناس أو أذواقهم ، كما في النظرية الديمقراطية وما يترتب عليها من آثار خطيرة ومفارقات فضيعة في جمع الأصوات وشراء الآراء والذمم.

وإضافة لما تقدم توجد هناك نظريتان فقهيتان ينبغي الإشارة إليهما ، حيث إنهما تؤكدان على أن الولاية تكون لكل فقيه ، غاية الأمر إن الأمة تشخص من له الولاية بتشخيص شروطه المقررة شرعا ، وهما :

الأولى : نظرية تبناها بعض الفقهاء الأعلام أخيرا ، من أن الثابت بأدلة ولاية الفقيه مجرد الشأنية للولاية لدى الفقيه العادل الكفوء ، وأما فعلية تلك الولاية فبحاجة إلى انتخاب الأمة والشورى بحيث يكون للانتخاب دور الإنشاء وتفويض زمام الأمر وولايته إليه .

الثانية : يمكن أن يدعي من أن تشخيص الولي من بين الفقهاء أنفسهم أيضا ، فعليهم أن يختاروا واحدا من بينهم إن رأوا ذلك، أو يجعلونها في دائرة الفقهاء[1].

وعلى كل حال فان من المؤكد إن عملية انتخاب المرجع والولي - بمعنى تشخيصه - لابد وان تكون متصفة بالأمانة والصيانة الذاتية ، لان المنتخب ينطلق في ذلك من تشخيص تكليفه الشرعي وإطاعة خالقه وعبادته ، لذا فهو ملزم بناءا على إيمانه بالله تعالى وخوفه منه بالتحري الدقيق ، والالتزام بالشروط والتعاليم الواردة من قبل الله تعالى بهذا الموضوع . لذا تأتي النتائج متقاربة وربما متطابقة غالبا . وعلى ضوء هذه الحقيقة تبرز لا محالة مرتبة مهمة من الانشداد والتفاعل والارتباط المعمق والممتد والمستوعب بين الولي والمنتخب ، بما يندر وجود مثله في الأنظمة الانتخابية الحديثة، هذا له عميق الأثر في خدمة الصالح العام . وتحقيق الأهداف المنشودة .

الحاكم والحكومة في منظور الإمام علي عليه السلام

إن أمير المؤمنين عليا عليه السلام فلتة من فلتات الدهر ، وكنز ثمين من كنوز الحكمة ، وسيل جارف من العلم والمعرفة فهو بحق معجزة الإسلام الخالدة ، الذي تتعطر بشذى فصاحته وبلاغته وحكمته وعلومه وشجاعته وسجاياه الحميدة ، الأجيال على كر العصور ومر الدهور .

فهو عدل القرآن ، والقرآن الناطق ، بل هو الإسلام من لحم ودم يمشي على الأرض ، فهو تلميذ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد تربى في حجره ، وتغذى من لعابه ، وتخرج من مدرسته ، وتمسك برسالته الغراء ، السهلة السمحاء ، المتممة لمكارم الأخلاق ، فسار على خطاه ، وحذا حذوه ، وطبق تعاليمه ، وسلك مسلكه لأنه نفسه .

---

(١) انظر الاجتهاد والحياة / ١٨٠.

وقد آمن ﷺ بالإسلام إيمانا صادقا ، ولو كشف له الغطاء ما ازداد يقينا ، ففهم أحكامه وقوانينه ، ووعى غاياته ومقصوده ، فجسدها على الواقع وطبقها خير تطبيق ، وتمثل الإسلام فكان الإسلام مجسدا في شخصه ﷺ، ولا يعرض له الزلل ولا الخطأ ، لأنه المطهر من الرجس ، والبعيد عن الآثم .

ولولا أعداؤه من القاسطين والمارقين والناكثين والحاقدين والحاسدين والشانئين ، لعنة الله والملائكة والناس عليهم أجمعين ، لعمت مبادئه ﷺ الكرة الأرضية بأسرها ، ولسجد دعاة الأنظمة والحكم ، وأئمة القانون والتشريع ، في الشرق والغرب ، لفكره وعبقريته ، وحكمه وحكومته ، وما اختبر غيرها بدلا البتة ، على مر الأيام والدهور وتعاقب الأجيال والعصور .

وقد بين أمير المؤمنين علي ﷺ- وبكل شفافية - مميزات الحكومة الرشيدة ، والصفات الحميدة التي ينبغي أن تتوفر في الحاكم أو الوالي ، لكي يتحقق الصلاح والإصلاح والسعادة في الدارين ، بين ذلك في (عهده) الذي كتبه للاشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها ، وهو أطول عهد واجمع كتبه للمحاسن ، نقتبس فقرات منه لنتعرف على مزايا حكومة أمير المؤمنين ﷺ وصفات الولاة والعمال فيها ، والتطبيقات السائدة في تلك الحكومة ، والقوانين الإسلامية المجسدة على أرضيتها ، والمترجمة لسلوكيات دعاتها والمسؤولين فيها لتكون مثالا يحتذى به . واليك - عزيزي القارئ - ما اقتبس من ذلك العهد الغريد :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث الاشتر ، في عهده إليه حين ولاه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها .

أولاً : أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، وإتباع ما أمر به في كتابه : من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد إلا بإتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها وان

ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من اعزه .

ثانياً : وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات ، فان النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله[1].

ثالثاً : فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح .

فأملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت[2].

رابعاً: واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم . ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك [3].

خامساً : ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع فان ذلك أدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير[3].

سادسا : إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال[4].

سابعاً : أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون

---

(١) ويزعها : أي يفكها عن مطامعها اذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح والشرع الصريح .

(٢) شح : ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل ، فليس الحرص على النفس ايفاءها كل ما تحب ، بل من الحرص ان تحمل على ما تكره ان كان ذلك في الحق ، فرب محبوب يعقب هلاكا ومكروه يحمد عاقبة .

(٣) يفرط : يسبق : والزلل : الخطأ . يؤتى مبنى للمجهول نائب فاعله على ايديهم واصله تاتي السيئات على ايديهم فارحمهم واعف عنهم واصفح عن سيئاتهم الخ .... وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم أي : طلب منك كفاية أمرهم بتدبير مصالحهم فانهم اختيارلك ولسلطانك .

(٤) بجح به كفرح لفظا ومعنى والبدرة : ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل . والمندوحة : المتسع أي المخلص . مؤمر : كمعظم أي مسلط ، والادغال : إدخال الفساد . ومنهكه : مضعفة . نهكه : اضعفه ، والغير – بكسر وفتح – حادثات الدهر بتبدل الدول .

عباده ، ومن خاصمه الله ادحض حجته ....وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد[1].

ثامنا : وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجملها لرضا الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة .... وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأئمة فليكن صفوك لهم وميلك معهم[2] .

تاسعاً : وليكن ابعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك اطلبهم لمعائب الناس ، فان في الناس عيوبا ، الوالي أحق من سترها .... فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ... وأطلق عن الناس عقدة كل حقد ، واقطع عنك سبب كل وتر ، وتغاب عن كل ما لا يضح لك ، ولا تعجلن إلى تصديق ساع ، فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين[3] .

عاشراً : ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جبانا يضعفك عن الأمور ، ولا حريصا يزين لك الشرة بالجور ، فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله . إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان ألائمة وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلف ..والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة[4].

---

(١) المساماة : المباراة ، في السمو أي العلو .

(٢) من لك فيه هوى ، أي لك إليه ميل خاص ، ادحض : ابطل .

(٣) اشنؤهم : ابغضهم ، والاطلب للمعائب : الأشد طلبا لها .ستر : فعل ماض اصله من ، أي احق الساتر : لها بالستر . واحلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم واقطع عنك أسباب الأوتار أي العداوات بترك الإساءة إلى الرعية ، والوتر : العداوة . وتغاب أي تغافل ، والساعي هو النمام بمعائب الناس .

(٤) الفضل هنا الإحسان بالبذل ، ويعدك : يخوفك من الفقر لو بذلت ، والشدة – بالتحريك – : اشد الحرص ، غرائز : طبائع متفرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله ، بطانة الرجل : بالكسر : خاصته وهو من بطانة الثوب خلاف

الحادي عشر : ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فان في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة ، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه . واعلم انه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم ، فليكن في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا ، وان أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده[1].

الثاني عشر : ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية .

ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك . واعلم إن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا يغنى ببعضها عن بعض .

فمنها جنود الله . ومنها كتاب العامة والخاصة . ومنها قضاة العدل . ومنها عمال الإنصاف والرفق . ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس . ومنها التجار أهل الصناعات . ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة

ظاهرته . والأثمة : جمع اثم فاعل الاثم أي الذنب والظلمة : جمع ظالم منهم متعلق بالمخلف أو متعلق بواجد ، ومن مستعملة في المعنى الاسمي بمعنى بدل . ورضهم : أي عودهم على ان لا يطروك أي يزيدوا في مدحك ، ولا يبجحوك أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته . والزهو – بالفتح – العجب ، وتدني : أي تقرب من العزة أي : الكبر .

(١) فان المسيء الزم نفسه استحقاق العقاب ، والمحسن الزمها استحقاق الكرامة ، واذا احسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له فان الاحسان قياد الإنسان فيحسن ظنه بهم بخلاف ما لو اساء إليهم فان الاساءة تحدث العدأوة في نفوسهم فينتهزون الفرصة لعصيانه فيسوء ظنه بهم . قبلهم : أي عندهم ، النصب : التعب . والبلاء هنا الصنع مطلقا حسنا أو سيئا وتفسير العبارة واضح مما قد منا .

وكلا قد سمى الله سهمه ، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه ﷺ عهدا منه عندنا محفوظا[1].

الثالث عشر : واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور .... فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ... ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ..... ولا تشرف نفسه على طمع ... وأوقفهم في الشبهات .. وأخذهم بالحجج .... وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ..... وأفسح له في البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك[2] .

الرابع عشر : ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا ، ولا تولهم محاباة وأثره فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام ، المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقا ، واصح إعراضا ، واقل في المطامع إشرافا ، وابلغ في عواقب الأمور نظرا ، ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تنازل ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ، ثم تفقدا أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم[3].

---

(١) المناقشة : المحادثة ، كتاب : جمع كتاب والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحاسبين والمحررين في المعتاد من شؤون العامة ، كالخراج والمظالم ، ومنهم مختصون بالحاكم يقضي إليهم باسراره ويوليهم فيما يكتب لأوليائه واعدائه وما يقرر في شؤون حربه وسلمه مثلا . سهمه : أي نصيبه من الحق.

(٢) محكم الكتاب : نصه الصريح ، وامحكه : جعله محكما أي عر الخلق أو اغضبه أي لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رايه ، الزلة : السقطة في الخطأ . الاشراف على الشيء : الاطلاع عليه من فوق ، فالطمع من سافلات الامور وهو في اعلى منزلة النزاهة لحفته وصمه النقيصة فما ظنك بمن هبط إليه وتناوله . والشبهات : ما لا يتضح الحكم فيها بالنص فينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى اصل صحيح . واصرهم : اقطعهم للخصومة . البذل : العطاء أي أو سع له حتى يكون ما ياخذه كافيا لمعيشته وحفظ منزلته . واذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه فلا يجرؤ احد على الشاية به عندك خوفا واجلالا لمن اجللته .

(٣) ولهم اعمال بالامتحان لا محاباة أي اختصاصا وميلا منك لمعاونتهم والثرة أي استبداد بلا مشورة فانهما أي المحاباة والاثرة يجمعان الجور والخيانة ، توخ : أي اطلب وتحر اهل التجربة ... الخ ، والقدم واحدة والاقدام : أي الخطوة

الخامس عشر : وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض وابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا فان شكوا ثقلا .. خفف عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم . فانه ذخر يعودون به إليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك[1].

السادس عشر : ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة .. ولا تقصر به الغفلة[2].

السابع عشر : ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا .. فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق ، وجلابها من المباعد والمطارح .. فامنع من الاحتكار ... وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ... ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا .. واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فان للأقصى مثل الذي للأدنى ... وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا نصيب للمسالة نفسه[3].

السابقة واهلها هم الأولون . اسبغ عليم الرزق : كمله وأوسع له فيه . ثلمو امانتك : نقصوا في ادائها أو خانوها . العيون : الرقباء .

(١) اذا شكوا ثقل المضرب ن مال الخراج نزول علة سماوية بزرعهم اضرت بثمراته ، أو انقطاع الماء أو المطر أو حصول التعفن نتيجة الغرق ونقصت لذلك غلاتهم ، فعليك ان تخفف عنهم عند الشكوى .

(٢) الكتاب : جمع كاتب . لان ما يكون من رسائلك حاويا لشيء من المكائد للاعداء . وما يشبه ذلك من اسرارك فاخصصه بمن فاق غيره في جميع الأخلاق الصالحة . ولا تبطره : أي لا تطغيه الكرامة فيجرأ على مخالفتك . ولا تكون غفلته لتقصيره في اطلاعك على ما يريد من اعمالك .

(٣) المرافق : المنافع : وذوي الرقة في السن : المتقدمين فيه . جلابها : يجلبونها من امكنة بعيدة . الاحتار: حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به الا باثمان فاحشة . المتباع : المشتري . البؤس : شدة الفقر. الزمنى : جمع زمن وهو المصاب بالزمانة أي العاهة المانعة عن الاكتساب . القانع : السائل بذل وخضوع . المعتر : المتعرض للعطاء بلا سؤال . صوافي : جمع صافية : ارض الغنيمة . غلاتها : ثمراتها. الايتم : الايتام .

الثامن عشر : واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك ... فاني سمعت رسول الله ﷺيقول في غير موطن : (لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيه حقه من القوي غير متتعتع) ثم احتمل الخرق منهم والعي ، ونح عنك الضيق والأنف .. وأعط ما أعطيت هنيئا ، وامنع في إجمال وأعذار ... وإصدار حاجات الناس يوم ردوها عليك مما تحرج صدور أعوانك .. وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور... ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول ، وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك يقطع أسباب تلك الأهوال ، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة .... وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وان ظنت الرعية بك حيفا فأحصر لهم بعذرك فان في ذلك رياضة لنفسك ورفقا برعيتك وأعذارا تبلغ
به حاجتك من تقويمهم على الحق[1].

التاسع عشر : ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى ، فان في الصلح دعة لجنودك ، وراحة من همومك وأمنا لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ... وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة .. فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك

---

(١) لذوي الحاجات : أي المتظلمين تتفرغ لهم للنظر في مظالمهم . التعتعة في الكلام : التردد فيه من عجز أو غي والمراد غير خائف تعبيرا بللازم . غير موطن : مواطن كثيرة التقديس : التطير أي لا يطهر الله امة . الخ . الخرق : العنف . والعي : العجز عن النطق أي لا تضجر من هذا ولا تغضب لذلك . الضيق : ضيق الصدر بسوء الخلق . والانف : الاستكاف والاستكبار . خرج يحرج من باب تعب ، ضاق والاعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويجبون المماطلة في قضائها استجلابا للمنفعة واظهارا للجبروت . فاحسم : أي اقطع حادة شرورهم عن الناس بقطع اسباب تعديهم وانما يكون بالاخذ على ايديهم ، ومنعهم من التصرف في شؤون العامة . الاقطاع : المنحة من الأرض ، والقطيعة : الممنوح منها ، والحامة كالطامة : الخاصة والقرابة ، المغبة كالنحبة : العاقبة . والزام الحق وان ثقل على الوالي وعليهم فهو محمود العاقبة يحفظ الدولة في الدنيا ونيل السعادة في الأخرة . وان فعلت فعلا ظنت الرعية فيه حيفا : أي ظلما . فاصحر : أي ابرز لهم وبين عذرك فيه . رياضة : تعويدا لنفسك على العدل . والاعذار : تقديم العذر .

ولا تختلن عدوك ... فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل[1].

العشرون : إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها ... وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين . وإياك والمن على رعيتك فان المن يبطل الإحسان .. وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ... وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة .. املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك . واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك[2].

هذا غيض من فيض عدل ورعاية وإنصاف وأخلاق وأعمال ووصايا وسلوك وتطبيق أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام صوت الحق الهادر والعدالة الإنسانية ، وقد ترجم ذلك وجسده على ارض الواقع بكل شفافية وجلاء ساطع عندما كان خليفة للمسلمين ، وأميرا للمؤمنين ، وقائدا لدولة الإسلام الكبرى. فأصبح مثالا يحتذى به ، وقدوة لحكام العدل وأئمة القانون والتشريع ، والولاة ، الذين ينشدون الحق والفضيلة ، والمساواة والحرية المستوحاة من العبودية الخالصة

---

(١) الدعة : الراحة ، اصل معنى الذمة وجدان مودع في جبلة الإنسان ينبه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه ويدفعه لاداء ما يجب عليه منها ثم اطلقت على معنى العهد وجعل العهد لباسا لمشابهته عليه في الوقاية من الضرر . وحاطه : حفظه . بخاس بعهده : خان ونقضه . والختل : الخداع . والادغال : الافساد . والمداولة: الخيانة . العلل : جمع علة وهي في العقد والكلام بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله إلى غير المراد كالتورية والعريض .

(٢) الاطراء : المبالغة في الثناء والفرصة حادث يمكنك لو سعيت من الوصول لمقصدك والعجب في الإنسان من اشد الفرص لتمكين الشيطان مكن قصده وهو محق الاحسان بما يتبعه من الغرور والتعالي بالفعل على من وصل إليه اثره . اسوة : احذر ان تخص نفسك بشيء تزيد به عن الناس وهو ما تجب فيه المساواة من الحقوق العامة . يقال فلان حمي الانف : اذا كان ابيا يانف الضيم أي املك نفسك عن الغضب . والسورة : الحدة . الحد : الباس والغرب : الحد تشبيها له بحد السيف ونحوه . البادرة : ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه واطلاق اللسان يزيد الغضب اتقادا والسكوت يطفئ من لهبه .

لله جلت قدرته وعظمت ، والكفران بكل عبودية الطواغيت والأصنام البشرية لان في ذلك الفخر والعزة لقوله ﷻ: (كفاني فخرا أن تكون لي ربا وكفاني عزا أن أكون لك عبدا) .

وهكذا يكون أمير المؤمنين قدوة لكل مقتد يروم الكمال والحرية وتجسيد العدالة والازدهار في دنيا الوجود ، ويكون أسوة لكل من كان يرجوا الله واليوم الأخر في حياة إنسانية فضلى .

ولاغرو في ذلك لان عظمة أمير المؤمنين وكمال شخصيته منبثقة من عظمة الإسلام الحنيف وكماله ، وواقعيته وأخلاقه . فالإسلام يخلق العظمة . ويوجد الكمال ، ويصنع الشخصيات النادرة ، ويصنع الحضارة والرقي في كل شيء وميدان حسن ومنشود في دنيا الحياة .

لذا جاءت رؤيته كاملة متكاملة في كل صعيد من أصعدة الحياة الإنسانية وفي كل مرفق من مرافقها . ومنها شكل الحكم وصفات الحاكم والمسار العملي للحكومة . لان المشرع هو الله الحكيم العادل ، وما عداه هو القاصر الناقص .

وحسبك هذا التفاوت بيننا فكل إناء بالذي فيه ينضح

نكتفي بهذا القدر المتواضع والمختصر من الحديث عن هذا الموضوع الذي بين يديك عزيزي القارئ ، أرجو أن أكون قد توفقت لتقديم خدمة متواضعة للإسلام والمسلمين ، وساهمت في تنمية الوعي الإسلامي وإبراز بعض أفكار الإسلام الحقة والحقائق التي جاء بها من اجل الصلاح والإصلاح والفضيلة ، ودرء الفساد والإفساد والرذيلة ، والتي تنكر لها الشائنون وأعداء الحق والعدل والجاهلون بجوهر الإسلام وروحه ومبادئه الأصيلة .

وللعلم إن هذا الموضوع – الحكم وتفصيلاته في الإسلام – موضوع ضخم وواسع ولا تسعه هذه العجالة . ومن أراد التوسعة وزيادة المعرفة للوقوف على

الحق والحقيقة فما عليه إلا الرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص المتقين والمنصفين والكتابات والمصادر الواقعية والصحيحة لقطف الثمرة والوقوف على الحقيقة لإبراء الذمة ونيل النجاة والفوز في الدنيا والآخرة .

وفي الختام أستميح القارئ الكريم عذرا عن كل هفوة أو زلة لان الكمال لله وحد ه، عليه توكلت وإليه أنيب ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين .

وقد انتهينا من كتابة هذا البحث في (٢٠/صفر/١٤٢٧هجرية)،ذكرى استشهاد أبي الأحرار وحامل لواء الحق والجهاد والعزة والاستقامة والحرية والكرامة .

الإمام الحسين بن علي عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه وأنصاره الأوفياء أزكى التحية وأحر السلام.

المصادر

١- القرآن الكريم .

٢- نهج البلاغة — ابن ابي الحديد .

٣- تفسير الميزان — للسيد محمد حسين الطباطبائي .

٤- تفسير الأمثل — للشيخ ابو المكارم شيرازي .

٥- تفسير من هدى القرآن — للسيد المدرسي .

٦- تفسير الإمام العسكري — للامام العسكري عليه السلام.

٧- التفسير الكبير — للرازي .

٨- تفسير القرطبي — للقرطبي .

٩- تفسير الدر المنثور — للسيوطي .

١٠- تفسير الكشاف — للزمخشري .

١١- تفسير الرازي — للرازي .

١٢- تفسير البغوي — للبغوي .

١٣- تفسير الثعلبي — للثعلبي .

١٤- توضيح القرآن الكريم — للشيخ عبد الرسول آل عنوز .

١٥- مجلة الوطن العربي العدد ٩٤ / ١٩٧٨ فرنسا .

١٦- السياسة من واقع الإسلام — السيد صادق الشيرازي .

١٧- مجالات في علم النفس — مصطفى فهمي .

١٨- نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم — مهدي الاصفي .

١٩- آراء وأحاديث — ساطع الحصري .

٢٠- جريدة الشعب المصرية — مجموعة إعلامية .

٢١- تاريخ التعليم — ميجر باسو .

٢٢- التربية الأساسية — المهاتما غاندي .

٢٣- سرا انحلال الأمة العربية	محمد سعيد البرقي .
٢٤ – تجربة التربية الإسلامية	محمد سعيد البرقي .
٢٥ – جريدة المؤيد المصرية	مجموعة إعلامية .
٢٦- الغارة على العالم الإسلامي	آ . ل شانليه .
٢٧- التربية لعالم حائر	لسير رتشود لنحستون .
٢٨- التعليم ومعنى الحياة	محمد احمد بغوته .
٢٩- أساليب في التربية الحديثة	جورج – أ – فريلند .
٣٠- التربية والصراع الاجتماعي	ميريل كيرثي .
٣١- التكامل في الإسلام	الأستاذ احمد أمين .
٣٢- التربية الإسلامية	محمد عطية الإبراشي .
٣٣- التبشير والاستعمار في البلاد العربية	مصطفى خالدي وعر فروخ.
٣٤- إلى أين يسير الإسلام ؟	
٣٥- بحار الأنوار	للعلامة المجلسي .
٣٦- أعلام الورى	الطبرسي .
٣٧-منهاج ابن تيمية	ابن تيمية
٣٨- الأوسط للطبري	الطبري .
٣٩- الأربعون حديثا	النبهائي .
٤٠- نحو التربية الإسلامية	ابو الحسن الندري
٤١- التفكير الفلسفي الإسلامي	روبرت هيلكان
٤٢- صحيفة الأهرام القاهرية	مجموعة اعلامية
٤٣- الاحتجاج	الطبرسي .
٤٤- أمالي المرتضى	المرتضى .
٤٥- ميزان الاعتدال	للذهبي .
٤٦- لسان الميزان	للعسقلاني .

٤٧- التوحيد	للشيخ الصدوق .
٤٩- أصول الكافي	للكليني .
٥٠- أصول الفلسفة الماركسية	بول ليتزر .
٥١- كراسات فلسفية	لينين .
٥١- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية	ستالين / ترجمة بكداش.
٥٢- مقدمة كتاب لودفيج فيورباخ	انجلز / ترجمة ستورت .
٥٣- الله يتجلى في عصر العلم	مجموعة من العلماء الطبيعيين .
٥٤- شرح النهج لابن ابي الحديد	لابن أبي الحديد .
٥٥- النظام التربوي في الإسلام	الشيخ باقر القرشي .
٥٦- دراسات مقارنة للمناهج	وهيب سمعان .
٥٧- الحزب الشيوعي في الميزان	
٥٨- الدستور السوفيتي	فؤاد محمد شبل
٥٩- نظام الحكم والإدارة في الإسلام	باقر شريف القرشي
٦٠- لمحات من تاريخ العالم	جلال نهرو .
٦١- هذا مذهبي	غاندي .
٦٢- خصائص الأئمة	الشريف الرضي .
٦٣- الفصول المختارة	الشيخ المفيد
٦٤- اقتصادنا	آية الله الشهيد محمد باقر الصدر.
٦٥- الكافي	للكليني .
٦٦- وسائل الشيعة	الحر العاملي .
٦٧- مستدرك الوسائل	المحقق النوري .
٦٨- أمالي الطوسي	الطوسي .
٦٩- معاني الأخبار	الشيخ الصدوق .
٧٠- الاختصاص	الشيخ المفيد .

٧١- العوالم والإمام الحسين عليه السلام	
٧٢- مفاتيح الأصول	السيد محمد المجاهد .
٧٣- الصواعق المحرقة	لابن حجر .
٧٤- سنن الترمذي	الترمذي .
٧٥- تاريخ الغيبة الصغرى	السيد محمد محمد صادق الصدر
٧٦- مسند احمد بن حنبل	ابن حنبل .
٧٧- سنن ابن ماجة	ابن ماجة .
٧٨- ثواب الأعمال	الشيخ الصدوق .
٧٩- كنز العمال	المتقي الهندي .
٨٠- مصباح المجتهد	الشيخ الطوسي .
٨١- النجم الثاقب	الميرزا النوري .
٨٢- دفاع عن الكافي	السيد ثامر العميدي .
٨٣- إكمال الدين	الشيخ الصدوق .
٨٤- كفاية الاثر	الشيخ الصدوق .
٨٥- غيبة الطوسي	الشيخ الطوسي .
٨٦- فرائد السمطين	الحموييني الشافعي .
٨٧- ينابيع المودة	الحافظ الحنفي .
٨٨- مرآة الأسرار	عبد الرحمن الجشتي الدهلوي
٨٩- معادن الحكمة .	
٩٠- كنز الفوائد	العلامة الكراجكي .
٩١- رعاية الإمام المهدي عليه السلام للمراجع والعلماء الأعلام	الشيخ كريم الجهري.
٩٢- إثابة الهداة	للشيخ الصدوق .
٩٣- تاريخ الغيبة الكبرى	السيد محمد صادق الصدر

٩٤- المحاسن	للبرقي .
٩٥- الخصال	للشيخ الصدوق .
٩٦- غيبة النعماني	النعماني .
٩٧- مكيال المكارم	الميرزا محمد تقي الاصفهاني
٩٨- النهضة والثورة المهدوية	مطهري
٩٩- أمالي الشجري	الشجري .
١٠٠ ـ عقد الدرر	المقدسي الشافعي .
١٠١- تهذيب الأحكام	الشيخ الطوسي .
١٠٢- فتن ابن حماد	ابن حماد
١٠٣- القول المختصر	لابن حجر .
١٠٤- برهان المتقي	المتقي الهندي
١٠٥- الفتوحات المكية	لابن عربي .
١٠٦- سنن الدارمي	للدرامي .
١٠٧- الطبراني الأوسط	للطبري .
١٠٨- مسند ابن أبي شيبة	لابن شيبة .
١٠٩- حاوي السيوطي	للسيوطي .
١١٠- الزيارة الجامعة	للإمام الهادي
١١١- المهدي والمهدوية	للشيخ زين الدين .
١١٢- المهدي الموعود ورفع الشبهات عنه	الدكتور علاء القزويني
١١٣- برناردشو	للعقاد .
١١٤- بحث حول المهدي	السيد محمد باقر الصدر .
١١٥- إحقاق الحق	السيد المرعشي .
١١٦-الأصول من الكافي	الكليني .
١١٧- الإمام علي ومشكلة نظام الحكم	د. محمد طي .

١١٨- مختار الصحاح	الرازي .
١١٩- شرح المقاصد	للتفتازاني .
١٢٠- الأربعين في أصول الدين	الرازي .
١٢١- روضة الكافي	الكليني .
١٢٢- بحث حول الإمامة	جواد كسار .
١٢٣- الإمامة	مطهري/ترجمة كسار
١٢٤- الأصول العامة للفقه المقارن	السيد محمد تقي الحكيم .
١٢٥- نور الثقلين	الشيخ عبد علي الحويزي
١٢٦- مؤسسة الاعلمي للمطبوعات	لجنة
١٢٧- نهج السعادة	الشيخ المحمودي .
١٢٨- المناقب	للترمذي .
١٢٩- مقدمة ابن ماجة	ابن ماجة .
١٣٠- السقيفة	لابن بكر احمد عبد العزيز الجوهري .
١٣١- المناقب	لابن الغازل .
١٣٢- تاريخ ابن كثير	ابن كثير .
١٣٣- فضائل أصحاب النبي	للبخاري .
١٣٤- الخصائص	للنسائي .
١٣٥- المستدرك	لأحمد بن حنبل .
١٣٦- مجمع الزوائد	الحافظ الهيثمي .
١٣٧- المعجم الكبير	للطبري .
١٣٨- الكتاب المصنف	لابن ابي شيبة .
١٣٩- المستدرك والتلخيص	الحاكم الذهبي
١٤٠- السقيفة	الشيخ محمد رضا المظفر .
١٤١- الفصول المهمة	لابن الصباغ .

١٤٢- الخصائص	لابن عساكر .
١٤٣- حياة الحيوان	للدميري .
١٤٤- وسيلة النجاة	المولوي الهندي .
١٤٥- صحيح مسلم	مسلم .
١٤٦- أسباب النزول	الواحدي .
١٤٧- تفسير ابن كثير	ابن كثير .
١٤٨- فضائل الصحابة	للبيهقي .
١٤٩- المراد	محمد بن ابراهيم النعماني .
١٥٠- تاريخ الخلفاء	للسيوطي .
١٥١- الإصابة	لابن حجر العسقلاني .
١٥٢- المناقب	للمغازلي .
١٥٣- الإمامة والسياسة	لابن قتيبة .
١٥٤- الجامع الصغير للطبري	الطبري .
١٥٥- مستدرك الحاكم	للحاكم .
١٥٦- كفاية الطالب	الكنجي الشافعي .
١٥٧- تحف العقول	للحراني .
١٥٨- إحياء العلوم	للغزالي .
١٥٩- علي من المهد إلى اللحد	القزويني .
١٦٠- الرياض النضرة	المحب الطبري .
١٦١- سيرة ابن هشام	ابن هشام .
١٦٢- تاريخ الخميس	حسن بن محمد الدياربكري .
١٦٣- صحيح البخاري	البخاري .
١٦٤- تاريخ الطبري	الطبري .
١٦٥- البداية والنهاية	لابن الاثير .

١٦٦- الكامل في التاريخ	لابن الأثير .
١٦٧- طبقات ابن سعد	ابن سعد .
١٦٨- تاريخ الإسلام / السيرة النبوية	الذهبي / ابن هشام
١٦٩- العقد الفريد	ابن عبد ربه الاندلسي .
١٧٠- الملل والنحل	للشهرستاني .
١٧١- تاريخ الخلفاء	السيوطي .
١٧٢- تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي .
١٧٣- المراجعات	السيد شرف الدين .
١٧٤- خلفاء الرسول الاثنا عشر	العلامة البحراني .
١٧٥- أرجح المطالب	الشيخ عبد الله الحنفي .
١٧٦- الحقيقة الضائعة	شيخ متعصم سيد احمد .
١٧٧- رحلتي نحو مذهب أهل البيت	الورداني .
١٧٨- عقيدة المسيح الدجال	سعيد ايوب .
١٧٩- ثم اهتديت	الشيخ التيجاني .
١٨٠- أهل السنة شهب الله المختار	الورداني .
١٨١- بصائر الدرجات	محمد بن الحسن القمي الصفار
١٨٢- شيخ المغيرة أبو هريرة الدوسي	محمود ابو ريه .
١٨٣- علل الشرائع	الشيخ الصدوق .
١٨٤- الشيعة في عقائدهم وأحكامهم	أمير القزويني .
١٨٥- فتح الباري	لابن حجر العسقلاني
١٨٦- الاجتهاد والحياة	مركز الغدير للدراسات الإسلامية
١٨٧- علي بين أمه وأبيه	الشيخ مجيد الصائغ
١٨٨- أعلام الهداية	لجنة التأليف .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
١-الإهداء	٣
٢-المقدمة	٤
القسم الأول	
الفصل الأول	١٥
٣- تمهيد ومقارنة وإستنتاج	١٧
٤- هكذا تعمل المبادئ الوضعية	٢٠
٥ - المبادئ الوضعية والأهداف المرسومة	٢٧
٦- إلقاء الحجب الكثيفة على نور الإسلام وهديه	٣٠
٧-الثالوث الخطر	٣٣
٨- موقف الكنيسة من رجال الفكر والتطور	٣٦
٩- من وحي الإسلام ورؤاه	٣٨
١٠- فانتم الطلقاء	٤٤
١١- ولكن وما أدراك ما لكن	٤٩
١٢- التطور العلمي والحقائق المعنوية	٥١
الفصل الثاني	٥٥
١- نظرة سريعة في الزندقة والإلحاد والشيوعية	٥٧
٢- صلب الموضوع	٦٢
٣- المبدأ الشيوعي	٦٤
٤- التفسير الأحول والمنطق الخاطئ	٧٢
٥- ماركس والتاريخ	٧٦
٦ - استنتاج	٧٩

٧- ما جنته البشرية من سياسات المبادئ الوضعية..... ٨٢
الفصل الثالث ٨٧
٨- الحتم في النتيجة..... ٨٩
١- الحاجة إلى الإسلام الدين القيم..... ٩٧
٢- عاقبة المفسدين..... ١٠٥
٣- أحكام الأعمال..... ١٠٩
٤- إشكال وحل..... ١٢٢
٥- السعادة والغلبة حليفتان للحق والإيمان..... ١٢٤
٦- اصدق المصاديق في الزمن الغابر والحاضر..... ١٢٦
الفصل الرابع ١٢٩
٧- سيل العرم..... ١٣١
٨- الغرق..... ١٣٢
٩-كارثة تسيونامي..... ١٣٥
١٠- اعصار كاترينا ١٣٧
١- المبادئ الوضعية تفتقر إلى المعصوم وكفاءته ١٤٠
٢- الحاجة إلى المعصوم ١٤١
٣- المبادئ الوضعية والمعصوم ١٤٣
٤- حقيقة وجود المعصوم في المبدأ الإسلامي ١٤٥
٥- الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ١٥٠
٦- تواتر خبر ولادة الإمام المنتظر عليه السلام..... ١٥١
٧- ظروف ولادته عليه السلام..... ١٥٢
٨- حتمية وقوع غيبة الإمام المهدي عليه السلام..... ١٥٤
٩- علة الغيبة وفلسفتها ١٥٦
١٠- رعاية الإمام المهدي للكيان الإسلامي والأمة ١٥٨

١١- واجبات المؤمنين تجاه الإمام في الغيبة وآثارها ١٦٣
١٢- الآثار التربوية والوجدانية للانتظار ١٦٤
١٣- ماذا يعني الانتظار ؟..... ١٦٦
١٤- حتمية قيام دولة المهدي عليه السلام..... ١٦٩
١٥- سيرة الإمام المنقذ عليه السلام..... ١٧٠
١٦- الإيمان بالمصلح المنقذ العالمي تجسيد لحاجة فطرية ١٧٥
١٧- الخلاصة ١٧٩

القسم الثاني

الفصل الأول ١٨٥
١- الحكم والحكومة في المنظور الإسلامي ١٨٧
٢- تعريف الحكم لغة واصطلاحا ١٩٢
٣- الإمامة الامتداد الطبيعي للنبوة ١٩٦
٤- الرسول صلى الله عليه وآله وموقف الأمة ٢٠٢
٥- أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله في علي وخلافته ٢٠٥
٦- موقف علي عليه السلام من الرسول والرسالة..... ٢١١
الفصل الثاني ٢٢٣
١- علي عليه السلام وموقف الأمة ٢٢٥
٢- إجماع المؤرخين والرواة ٢٢٨
٣- موقف علي عليه السلام وحواريه من السقيفة ٢٢٩
٤- موقف الزهراء عليها السلام من السقيفة ٢٣٢
٥- نصيحة من القلب ٢٣٥
٦- التبصر والوحدة الدينية والوطنية..... ٢٤٠
الفصل الثالث ٢٤٧
١- وقفة مع الشيخ العالم سليم البشري شيخ الأزهر ٢٤٩

٢- وقفة مع نص فتوى شيخ الأزهر الأستاذ محمود شلتوت ٢٥٣
٣- وقفة مع الشيخ محمد الإنطاكي مفتي وقاضي قضاة حلب ٢٥٧
٤- وقفة مع الشيخ معتصم سيد احمد الكاتب السوداني ٢٥٩
٥- وانكشف الزيف ٢٦١
٦- علماء السنة ومثقفوها يتشيعون ٢٦٤
٧- نتيجة البحث في النصيحة والتبصر والوحدة..... ٢٧٢
الفصل الرابع ٢٧٣
١- الإمامة والبشارة ٢٧٥
٢- الإمامة بين البيعة والانتخاب ٢٧٨
٣- أمهات مسائل الإمامية ٢٨٥
٤- الحاكمية في زمن الغيبة ٢٨٦
٥- الحكومة والحاكمية في عصر الغيبة الكبرى ٢٩٣
٦- تشخيص ولي الأمر ٢٩٦
٧- الحاكم والحكومة في منظور الإمام علي عليه السلام كما جاء في عهده النادر
وإليه على مصر الاشتر النخعي (رض) ٢٩٧